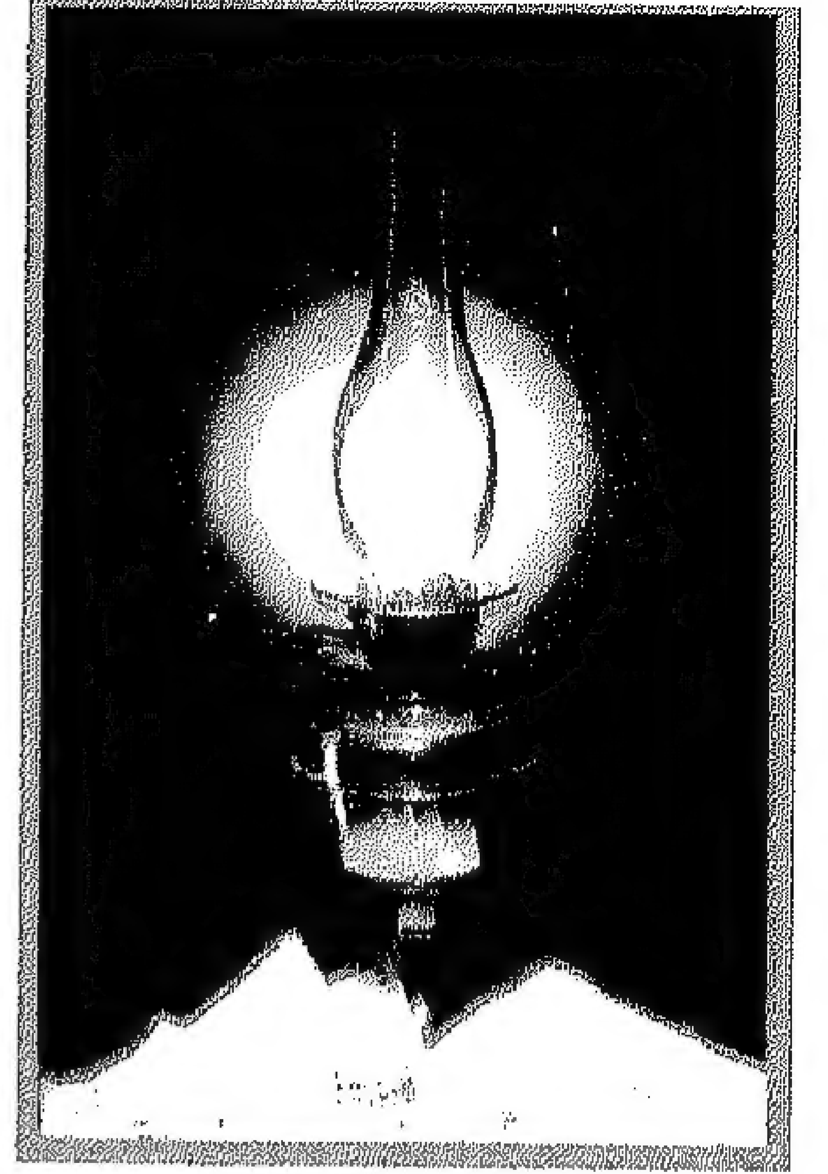
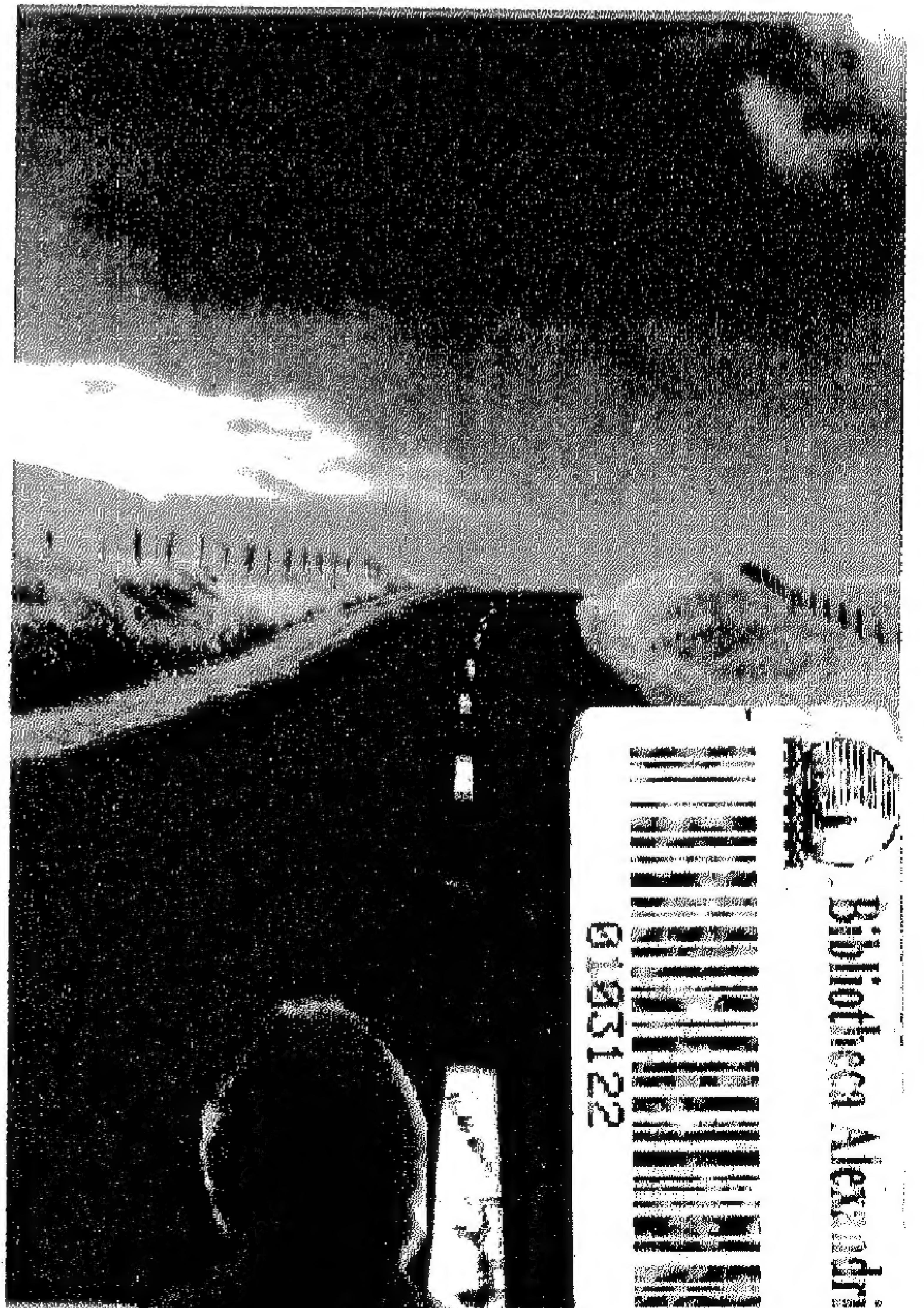


موسوعة كتب
علم النفس الحديث

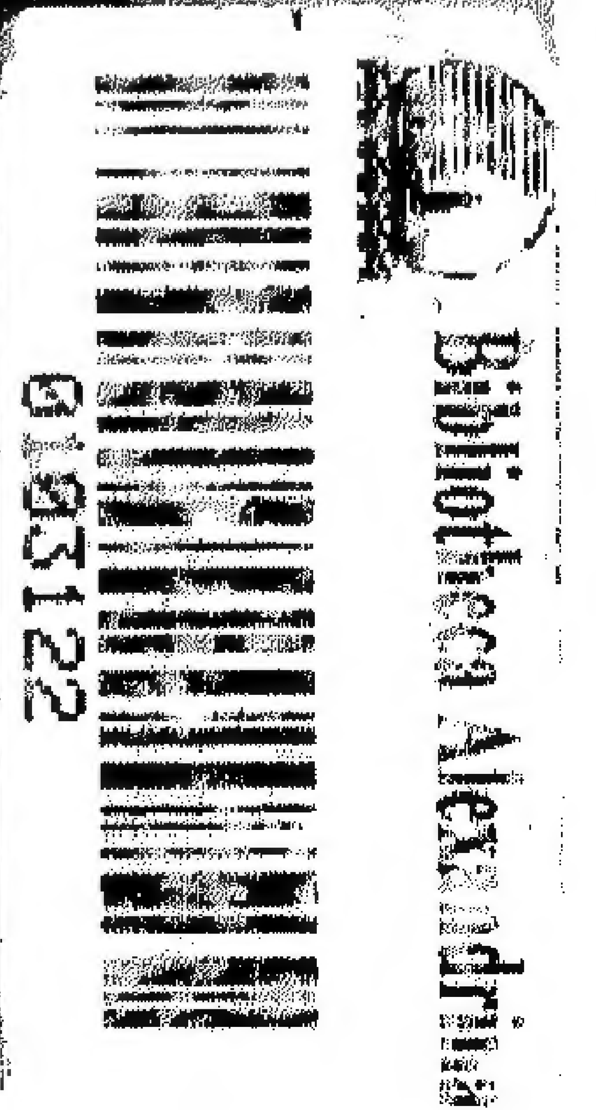
الوعي السيكولوجي

الدكتور عبد الرحمن العيسوي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية





دار الراتب الجامعية
DAR EL-RATEB AL-JAMIAH



الوعي السيكولوجي



الناشر:

دار الراتب الجامعية: بيروت/لبنان
سلاسل سوفنير

ص.ب ١٩/٥٢٢٩ بيروت - لبنان
تلكس: Rateb - LE 43917
تلفون: 862480 - 313923 - 317169

موسوعة كتب
علم النفس الحديث

الوعي السيكولوجي

تأليف

الدكتور عبد الرحمن العيسوي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

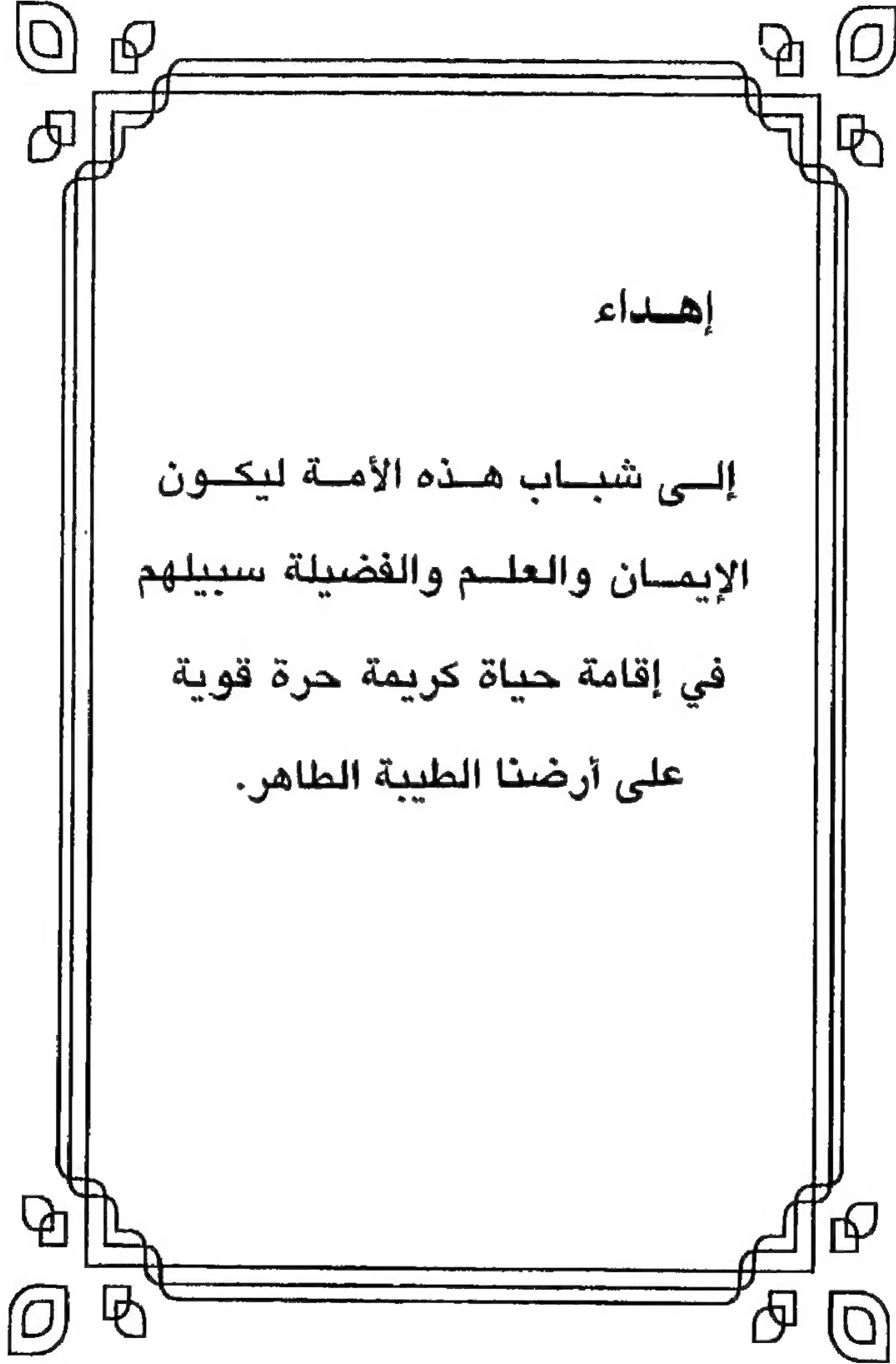
دار الراتب الجامعية
DAR EL-RATEB AL-JAMIAH

من خير ما نتآسي به

﴿ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾

صدق الله العظيم

المؤمنون/ ٢٣



إهــداء

إلــى شبــاب هــذه الأمــة ليكــون
الإيمــان والعلــم والفضيلة سبيلهم
في إقامة حياة كريمة حرة قوية
على أرضنا الطيبة الطاهر.

تقديم

يسرني أن أقدم للقارىء العربي الكريم الذي اعتاد على الاطلاع على مؤلفاتي واحداً من سلسلة علم النفس الحديث في الحياة المعاصرة. تلك السلسلة التي تستهدف نشر الوعي السيكولوجي وبيان الدور الذي يمكن أن يؤديه علم النفس الحديث في الحياة المعاصرة لكل منا طفلاً أو شاباً أو كهلاً أو شيخاً. ذلك لأن جميع تصرفات الإنسان وسلوكياته تنطوي على عنصر نفسي. وأن هذا العنصر يزداد قوة مع تعقد الحضارة الحديثة وازدياد تشابكها وارتفاع مستويات الطموح بين الشباب وارتفاع حدة المنافسة والتوتر والقلق إلى الحد الذي جعل البعض يصفون هذا العصر بأنه عصر القلق.

وليس غريباً على علم النفس أن ينجح في أن يمد يده وخدماته ومبادئه إلى كافة مجالات الحياة العصرية، وأن يفرد فرعاً من فروعه لدراسة كل مجال من هذه المجالات ولذلك نجد علم النفس الارتقائي أو علم نفس النمو، وسيكولوجية المراهقة، وسيكولوجية الشباب، وعلم النفس الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والحربي والتجاري والفسيولوجي والقضائي والقانوني والتربوي والبيئي وعلم نفس التنمية. وكلما زاد تعقد الحياة ظهرت الحاجة إلى علم النفس ولذلك أخذت آفاقه في الاتساع وظهرت فروع جديدة منه تعلم النفس البيئي والمعماري والسياحي

والإعلامي.. ذلك لأن هناك عنصراً نفسياً في كل مجال من هذه المجالات. وعلى علم النفس أن يعكف على دراسته. والمأمول أن تتسع قاعدة التفكير العلمي لدى إنسان العصر، فيتخلص من الجهل والعبودية والجمود والتطرف والعنف ومن مشاكل كالإدمان والجريمة وغير ذلك ليحيا حياة حضارية سعيدة.

والله ولي التوفيق

د/ عبد الرحمن العيسوي

الفصل الأول

الثقافة السيكولوجية ومشكلات العصر

- اتساع آفاق علم النفس الحديث ليخدم الطوائف السوية من المجتمع
- الثقافة السيكولوجية الحديثة
- الوقاية والتشخيص والإرشاد
- الوعي السيكولوجي
- العلاج النفسي عند أطباء الإسلام
- مفهوم الثقافة والوعي الثقافي
- علم النفس الثقافي
- علم النفس والتنمية
- دور علم النفس في الحياة المعاصرة

الثقافة السيكولوجية ومشكلات العصر

مقدمـة:

في عصر تتعرض فيه مجتمعاتنا العربية والإسلامية إلى كثير من الضغوط والتحديات والصعوبات، وتحاك ضدها المؤامرات، ويصدر إليها الغزو الفكري والثقافي للنيل من عضد الشخصية العربية، ومن مقوماتها، المستمدة من تراثنا الإسلامي الخالد، في هذا العصر، لم يعد مقبولاً أن يظل العلم والبحث العلمي قاصرين على الترف العلمي والنظر والتنظير، وتقليب وجوه التراث والغوص فيه، ولكن لا بد، لمجتمع يريد أن يعبر هوة التخلف وأن يجتاز التبعية، وأن يدعم الاستقلال والحرية، من أن يكرس كل جهود علمائه وأبحاثهم بكل معطيات العلم ومبادئه وقواعده في خدمة الإنسان وأرضه وبيئته.

ومن بين فروع العلم الحديثة علم النفس، ذلك العلم الفتي والشاب، والذي اقتضته ظروف الحياة الحديثة وضغوطها، فلا بد وأن تجد مبادئه طريقها إلى حيز التطبيق العلمي في كافة مجالات الحياة وعلى كل جوانب شخصية الفرد.. حياة الفرد وحياة الجماعة. ذلك لأن العلم هو الدعامة الأولى لإحراز التقدم والتنمية والرخاء والقوة والعزة والمنعة والتفوق، وهو سبيل التطور والازدهار، وهو عاصم من التخلف والجهل والردة والرجعية والتأخر، بل أنه دعامة من دعامات الديموقراطية الحديثة ومؤشراً للحياة الكريمة..

وإذا كانت العلوم جميعاً جديرة بالتطبيق، فعلم النفس أولاها بهذا التطبيق، لأنه العلم الذي يهتم بأغلى وأثمن ما يوجد في هذه الحياة، وأعني به الإنسان، أي الثروة البشرية التي هي أغلى الثروات جميعاً، وتفوق في قيمتها أثمن الجواهر الثمينة. بل إنه يهتم بأغلى ما في هذا الإنسان وهو «عقله» مصدر تكريم الإنسان وتميزه عن سائر الكائنات، ومصدر حضارة الإنسان وإنجازاته وإبداعاته وفنونه وآدابه وثقافته ونظمه وقواعده ورقيه.. علم النفس يهتم بأغلى جزء في الإنسان وهو العقل ويسعى لتمتع الإنسان بالصحة العقلية السوية والحياة النفسية السعيدة والمثمرة أو المنتجة والفاعلة.

اتساع آفاق علم النفس الحديث ليخدم الطوائف السوية من المجتمع

كان علم النفس في بداية نشأته، يرتبط أكثر ما يرتبط بخدمة الطوائف الشاذة في المجتمع، كالشواذ أو المرضى العقليين والنفسيين والمجرمين والجانحين والمدمنين، ولكنه سرعان ما مد خدماته لتشمل طوائف اجتماعية أخرى سوية كرجال القوات المسلحة ورجال التربية والتعليم وجماهير الطلاب ورجال الاقتصاد وجمهور المستهلكين ورجال الحكم والسياسة والإدارة والأطفال والمراهقين والشيوخ. وتتضح هذه الصورة المشرقة والبراقة لهذا العلم الفتي الوثاب من تعدد فروعه الجديدة وشمولها لكافة مجالات الحياة العصرية السوية وغير السوية، ومن هذه الفروع علم النفس المهني أو الصناعي وعلم النفس الاجتماعي والسياسي والتجاري والسياحي والإعلامي والإداري والتربوي والفسيولوجي وعلم النفس الارتقائي والعسكري أو الحربي، وعلم نفس الشخصية وعلم نفس المراهقة والقياس النفسي وعلم النفس الفارقي وعلم النفس المقارن وعلم نفس الحيوان إلى جانب علم النفس المرضي أو علم نفس الشواذ وعلم النفس الأكلنيكي والتحليل النفسي وعلم النفس القضائي والقانوني والجنائي. وما زال المأمول أن تظهر فروع أخرى كعلم نفس التنمية أو علم نفس الإدمان أو الجنس. وعلم نفس البيئة، ذلك العلم الذي تزداد الحاجة إليه يوماً

بعد يوم من جراء ما يقع على بيئة الإنسان وحضارته من الاعتداء الصارخ والتدمير والتلوث والتخريب والقضاء على ما فيها من جمال وإبداع وخضرة وحياة. فالإنسان إذا ترك وشأنه فسوف يقضي على كوكبه هذا.

الثقافة السيكولوجية الحديثة

لا شك أن هناك ضرورة متزايدة لنشر الثقافة السيكولوجية أو الثقافة النفسية، بالمثل كما أن هناك ضرورة ملحة لتنمية الوعي الأمني والوعي الغذائي أو الصحي أو الطبي والوعي القومي والوعي المروري والاقتصادي والسياسي والوطني وما إلى ذلك.

هناك ضرورة لنشر الوعي السيكولوجي أو الثقافة السيكولوجية لمواجهة ما يتعرض له إنسان العصر من التوترات والصراعات والتأزم والتنافس الحاد والبغيض، ومن ارتفاع مستوى طموحه وتطلعاته عن حد اقتداره أو ما يتوفر لديه من الإمكانات الذاتية والخارجية، ولحماية الفرد: طفلاً ومراهقاً وشاباً وشيخاً، مما يتعرض له من سوء المعاملة أو الجهل بأصول التعامل العلمي الحسن، ونحن في سبيلنا إلى تربيته أو تنشئته. ومن شأن الوعي السيكولوجي المستنير أن يمنع تعرض الطفل، مثلاً، لخبرات القسوة والعنف والتردد والطرد والنبذ والكره والبغض والإهمال والفشل والإحباط أو المعايرة والتوبيخ والتأنيب أو التعنيف المستمر والزائد عن الحد، أو الإسراف في الحماية الزائدة أو التدليل الزائد بحيث يصبح الطفل ذلك الطاغية الصغير في مملكة الأسرة.

يقتضي الوعي السيكولوجي الحديث أن نحسن معاملة مرضانا، بل نسعى لوقايتهم أصالة قبل أن يقعوا فريسة في مستنقع المرض العقلي أو الإدمان أو في براثن الجريمة والجنوح والانحراف والفساد وقبل أن يجرفهم تيار رفقاء السوء.

من المفاهيم الأساسية والأنشطة العلاجية والمهنية في علم النفس والتي

يتضمنها الوعي السيكولوجي الوقاية والتشخيص والإرشاد والعلاج والتي تستخدم في مواجهة ما يقابل إنسان العصر من الأزمات.

الوقاية والتشخيص والارشاد والعلاج

الوقاية تستهدف حماية الإنسان من الإصابة بالاضطراب قبل أن يصاب به، وتنبع أهميتها من المثل السائر والقائل بأن «الوقاية خير من العلاج». وتتضمن كافة الوسائل التي تمنع تعرض الإنسان للأمراض النفسية أو العقلية أو الاضطرابات السلوكية كالإدمان أو الأمراض النفجسمية. ومن أساليب الوقاية التوسط والاعتدال في معاملة الطفل، مثلاً، فلا إفراط في القسوة عليه وصده وزجره وطرده ونبذه أو إهماله، ولا تفريط في تأديبه وتربيته تربية صالحة على الإيمان والعلم والوطنية والعروبة لكي يكون مواطناً صالحاً سوياً ومنتجاً. وفاعلات الوقاية تتضمن عدم تعرض الطفل للحوادث والسموم والأمراض كالأنيماء وغيرها وتوفير الغذاء الجيد والقدوة الحسنة والمثال الطيب.

أما إذا أصيب الإنسان بمرض ما، فلا بد من تشخيص هذا المرض تشخيصاً دقيقاً، للتعرف على كمه وكيفه، أي نوعه، ومقدار شدته. ويتطلب التشخيص الخبرة والدراية والكفاة العلمية والمهنية في من يقوم به، وأن يعتمد قراره التشخيصي على الاختبارات والمقاييس المقننة تقنيناً جيداً أي التي تم التحقق من «صدقها» فيما تقيس أي أنها تقيس فعلاً المرض أو العرض أو القدرة أو السمة التي وضعت لقياسها، وأن تكون هذه الأدوات «ثابتة» بمعنى أنها تعطي نفس النتائج كلما أعيد تطبيقها على نفس الأفراد وتحت نفس الظروف. فالاختبار الجيد والثابت كالمسطرة المدرجة تدريجاً دقيقاً.

ولعملية التشخيص أهمية كبيرة إذ على أساسها يتم رسم برامج العلاج. فإذا كان التشخيص خاطئاً كانت المعالجة كذلك وتدهورت الحالة.

ويتضمن الوعي السيكولوجي أو المعرفة السيكولوجية الإلمام بأساليب الإرشاد وهو ضرب من النشاط المهني التخصصي يقوم به إنسان مؤهل ومدرب ومتفهم لمشاكل العميل، وهي مشاكل أخف وطأة من تلك التي تتطلب «العلاج» النفسي. ويستخدم الإرشاد في جميع مجالات الحياة، فهناك الإرشاد النفسي في مجال العمل والمهنة بغية تحقيق تكيف الفرد المهني، وهناك الإرشاد التربوي لحل مشاكل الحياة التربوية. وهناك الإرشاد الأسري والاجتماعي وما إلى ذلك.

أما العلاج النفسي، فضرب من النشاط العلمي والمهني يوجه إلى أصحاب المشكلات النفسية والعقلية والسيكوسوماتية والأخلاقية الأكثر حدة وخطورة، والتي تتطلب تدخلاً حاسماً من قبل المعالج، ولا يقوم به إلا إنسان مؤهل ومدرب. ويستهدف العلاج إعادة تكيف الفرد مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش في كنفه بما في ذلك تحريره من التوترات والصراعات ومشاعر القلق والألم والضيق والاكتئاب والهواجس والوساوس والخيالات والأوهام والأرق وغير ذلك من الأعراض. على أن العلاج الصائب هو الذي يستهدف إزالة أسباب المرض ولا يقتصر فقط على تخفيف الأعراض لأنها إذا بقيت الأسباب قائمة، فإنها سرعان ما تعود ثانية أو تنتقل إلى عضو آخر في جسد ذات المريض، أو في عقله أو نفسه. وهناك مناهج متعددة تستخدم في العلاج النفسي، منها العلاج بالتحليل النفسي، والعلاج السلوكي، والعلاج بالموسيقى وبالفن، وبالعمل، وبالماء، وبالكتب، وهناك علاج أسرة المريض نفسها أو بيئته، والعلاج الفردي المخصص لمريض واحد، والعلاج الجماعي، والعلاج المتمركز حول المريض والمتمركز حول الطبيب، ولكل ضروراته ومزاياه ونقائصه. وقد نستخدم أكثر من منهج مع معريض بذاته كأن نستخدم العلاج بالتمثيل أو السيكودراما مع المريض وكذلك العلاج السلوكي.

الحياة الحديثة تتطلب وجود أخصائي نفسي في كل تجمع بشري:

هناك ضرورة لتوفير أخصائي نفسي في كل تجمع بشري لمواجهة الحياة الحديثة بما تحتويه من صراعات ومنافسات محتدمة ومشاكل وأزمات وتوترات، ونظراً لما يمتاز به شباب اليوم من ارتفاع مستوى طموحه بما يفوق مستوى اقتداره أو قدراته وإمكاناته، والعصر كله وما يلج فيه من القلق والحروب والاضطراب وغير ذلك مما يهدد حياة الإنسان وأمنه النفسي وإلى جانب تعقد الحضارة الحديثة وما تلقيه من ضغوط على كاهل الفرد تنؤبها قدراته فيسقط صريع المرض... لكل هذه الأسباب وغيرها هناك حاجة إلى تعيين أخصائي نفسي في كل تجمع إنساني كالمدرسة والمصنع والكلية أو المعهد العلمي والنادي والشركة والبنك والجيش والشرطة والمستشفى والعيادة والساحات الشعبية، وذلك لتقديم الرعاية النفسية لهذه التجمعات. والمعروف، على سبيل المثال، إن علم النفس المهني قد ضرب بسهم وافر في زيادة الإنتاج وغزارته وتحسين جودته كيفاً وفي حماية العمل من حوادث العمل وإصاباته وفي تدريبهم وتأهليهم واختيارهم ورضاهم عن العمل وتكيفهم المهني ورفع روحهم المعنوية وتحسين العلاقة بينهم وبين الإدارة وتقليل حالات تمردهم وتمارضهم.

فكم نحن في حاجة إلى تلك الثقافة السيكولوجية الحديثة التي أصبحت ضرورة لا لأهل الاختصاص وحسب.. وإنما للأم والأب والزوجة والزوج والعامل والصانع والفلاح والشاب نفسه..

الوعي السيكولوجي

مقدمة:

للوعي السيكولوجي أهمية متزايدة في ظل حضارة العصر التي تتسم بالتعقيد وبحدة المنافسة ويتعرض الفرد للصراعات والتوترات ومشاعر القلق والفشل والإحباط والحرمان والشعور بالنقص والدونية، إلى جانب ارتفاع مستوى طموح الشباب بما يتجاوز مستوى اقتدارهم أو قدراتهم.أو الإمكانات المتاحة أمامهم، علاوة على ارتفاع مستويات التخصص العلمي والمهني مما يلقي بأعباء ثقيلة على كاهل الفرد. يضاف إلى ذلك الجهل أو عدم الإلمام بمبادىء التربية الصالحة والتنشئة الدينية أو الروحية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية وإساءة معاملة الفرد، وخاصة في سنّ الطفولة، مما يعرضه للإصابة بالاضطرابات.

وإذا كان وعي الإنسان المعاصر بكافة مجالات الحياة العصرية ضرورة، فإن الوعي السيكولوجي يصبح أكثر أهمية، لأنه يتناول الإنسان أغلى ما في هذا الوجود. ومن بين الثقافة النفسية الهامة التعرف على أسباب الإصابة بالأمراض النفسية، ذلك لأن في العلم وقاية من خطر الإصابة.

أسباب الأمراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية والأمراض السيكوسوماتية:

لا شك أن معرفة أسباب الإصابة بالأمراض، نفسية كانت أو عضوية تقي من شر الإصابة بها، وهناك كثير من العوامل التي قد تؤدي للإصابة بالأمراض النفسية والعقلية، يمكن إيجازها في ثلاث مجموعات من الأسباب:

١ ـ **العوامل الوراثية:** وأعني بها ما ينقل من الآباء والأمهات والأجداد عبر ناقلات الوراثة أو الجينات إلى الأبناء أو الذرية على أن ما ينقل ليس من الضروري أن يكون المرض بذاته وإنما قد يكون استعداداً للإصابة بالمرض، إذا توفرت ظروف غير مؤاتية من جانب البيئة وما تسقطه من مؤثرات فوق الإنسان. ويؤيد الاتجاه الوراثي ما يلاحظ من أن الأب أو الأم المريضة قد تنجب طفلاً مريضاً أيضاً، وأن المرض قد يستمر في الأسرة الواحدة عبر عدة أجيال، ويؤيد ذلك ما يوجد من «معاملات ارتباط» بين الأقارب في كثير من السمات والقدرات والأعراض. يزداد هذا الترابط كلما زادت درجة القرابة.

٢ ـ **العوامل البيئية:** التي تؤدي للإصابة بالأمراض، وهي كثيرة ومتنوعة كالقسوة والحرمان والخبرات الفاشلة والقاسية والإصابة بالأمراض والحوادث والتعرض للسموم والأوبئة...

٣ ـ **العوامل الميلادية:** وهي عوامل ليست وراثية وليست مكتسبة من الاحتكاك بالبيئة بعد الميلاد، ومع ذلك يولد الطفل مزوداً بها، من ذلك صدمات الميلاد، التي قد يتعرض لها الطفل في الولادة المتعثرة أو ما تتعرض له الأم في أثناء الحمل من الأمراض والحوادث والإصابات، من ذلك الحصبة الألمانية، وفقر الدم، أو ما قد تتعاطاه الأم الحامل من الخمور والمخدرات، أو ما تمارسه من رياضات عنيفة، أو ما تتعرض له من انفعالات حادة.

لم يعد مقبولاً في التراث العلمي إرجاع الأمراض النفسية والعقلية إلى عامل واحد، كالوراثة أو البيئة، وإنما النظرية المقبولة الآن هي نظرية العوامل المتعددة، تلك العوامل التي يقوم بينها التفاعل والأخذ والعطاء.

ومن ضرورات الوعي السيكولوجي الإلمام بالأمراض النفسية والعقلية الشائعة في الوقت الراهن.

الأمراض:

١ ـ هناك مجموعة من الأمراض النفسية التي يطلق عليها «الأعصبة النفسية» وهي أمراض نفسية أقل وطأة وخطورة من الأمراض العقلية أو الذهانية. من هذه الأمراض النفسية القلق أو الحصر، والاكتئاب، والفوبيا أو الخوف الشاذ، والهستيريا، والوسواس القهري، وتوهم المرض، وعصاب الوهن أو الضعف، وعصاب الحرب أو الصدمة والعصاب المؤسسي.

٢ ـ وهناك مجموعة أخرى من الأمراض أكثر شدة وخطورة على حياة المريض وعلى وظائفه العقلية، هي الأمراض «الذهانية» ومنها ذهان الاكتئاب، وذهان الفصام، والجنون الدوري، وجنون العظمة وجنون الاضطهاد، وذهان الشيخوخة وما إلى ذلك.

٣ ـ مجموعة الأمراض السيكوسوماتية، وهي تلك الأمراض النفسجسمية أي التي ترجع أسبابها إلى عوامل نفسية كالقلق والتوتر، ولكن أعراضها تتخذ شكلاً جسمياً، من ذلك ضغط الدم المرتفع والربو والسمنة وقرحة المعدة والقولون والإثني عشر، وبعض قرح اللثة والفم وبعض الأمراض الجلدية.

٤ ـ مجموعة الاضطرابات السلوكية وتتضمن الإدمان والشذوذ الجنسي والجريمة والجنوح والنزعات السيكوباتية، وهي التي تتسم بانعدام الضمير وقلة الشعور بالذنب أو لوم الذات، والأنانية، والانتقام، والعدوان، والاستغلال والابتزاز والجريمة.

العلاج النفسي عند أطباءِ الاسلام

لنا نحن أبناء الإسلام أن نفخر ونعتز بفضل سبق إسلامنا الحنيف في كافة مجالات العلم والمعرفة ومراعاة حقوق الإنسان ورعايته، ففي الوقت الذي كان يتعرض فيه المرضى العقليين في أوربا في العصور الوسطى، عصور الظلام الحضاري الحالك، في الوقت الذي كان يعامل فيه المرضى هناك معاملة وحشية وحيوانية ويتعرضون للقسوة والتعذيب، حيث كان المريض تغله السلاسل والأغلال الحديدية، وكان يضرب بالسياط ويكوى بالأسياخ المحمية، ويلقى به في ظلمات السجون، كان علماء الإسلام يعالجون المرضى علاجاً طبياً ويعاملونهم معاملة إنسانية.

فلقد كان الشيخ الرئيس بن سينا يعالج مرضاه بالمجان، بل كان يكسوهم ويعيدهم إلى ديارهم على حسابه الخاص.

على كل حال تتحسن صورة العلاج ومعاملة المرضى يوماً بعد يوم، فلقد تحرروا من الأغلال والسلاسل وأصبحوا يعاملون معاملة إنسانية وتنوعت مناهج العلاج، فمنها العلاج بالتحليل النفسي والعلاج السلوكي المبني على مبادىء التعلم الشرطي والذي ينظر إلى المرض أو السلوك المرضي على أنه نتيجة تعلم، ولذلك يكمن العلاج في محو أو إزالة هذا التعلم الخاطىء، وتعليم المريض عادات سلوكية أخرى إيجابية.

ومن أساليب العلاج الحديث أيضاً العلاج بالماء وبالموسيقى وبالعمل وبالفن التشكيلي وبقراءة الكتب وبالتمثيل أو ما يعرف بالسيكودراما حيث يتم الشفاء عن طريق تمثيل الأعراض التي يعاني منها المريض أو قيامه بمشاهدة ذلك، وهناك العلاج الجماعي الذي يقدم لمجموعة من المرضى دفعة واحدة، وهناك العلاج الفردي الذي يتناولهم فرداً فرداً، ثم هناك العلاج المتمركز حول المريض الذي تتاح فيه الفرصة للمريض لكي يفصح، بحرية وانطلاق، عن كل ما يعتمل في صدره وما يجول بخاطره وما يتألم منه، ثم هناك العلاج المتمركز حول الطبيب وفيه يتولى الطبيب إدارة الحوار

وجلسة العلاج. وهناك العلاج الجشطلتي، وهناك العلاج البيئي الذي لا يتناول المريض وحسب، وإنما يتناول أيضاً أسرته ومحيطه. وهناك العلاج عن طريق العمل حيث يمتص العمل فائض الطاقة عند المريض ويشغل ذهنه ويشعره بأن له قيمة وفائدة.

الأمراض العضوية والأمراض الوظيفية:

ويقتضي الوعي السيكولوجي الإلمام بالأمراض العضوية والوظيفية والفرق بينهما. فالأمراض العضوية هي تلك الأمراض التي ترجع إلى سبب عضوي أي إلى عطب أو خلل يصيب أحد الأعضاء بجسم الإنسان كوجود تدمير في خلايا الدماغ أو أي جزء من الجهاز العصبي أو الغدّي أو وجود إصابات أو طلقات نارية تصيب الرأس أو الإصابة ببعض الفيروسات التي تسبب الأورام أو استسقاء الدماغ. وقد يكون من الأمراض العضوية الشلل أو الصرع أو التسمم.

أما الأمراض الوظيفية ففيها يكون العضو سليماً ومع ذلك لا يؤدي وظيفته، فالعطب يصيب وظيفة العضو وليس العضو كأن تكون العين سليمة ومع ذلك لا ترى كما هو الحال في العمي الهستيري» أو كأن تكون الأذن سليمة ومع ذلك لا تسمع كما هو الحال في «الصمم الهستيري» أو الخرس. وكأن يكون الدماغ سليماً ومع ذلك لا يقوم بوظائفه في التفكير والاستدلال وإدراك العلة والمعلوم.

ويلاحظ أن معظم الأمراض العقلية والنفسية هي أمراض وظيفية أي ترجع إلى أسباب نفسية كالضغوط والتوترات والانفعالات وخبرات الفشل والأحباط.

فالثقافة النفسية في خدمة إنسان العصر في كل مناحي حياته.

مفهوم الثقافة والوعي الثقافي

إذا كانت الثقافة، في مجتمع ما، تتضمن العلوم ومن بينها علم النفس بالطبع والفنون والآداب والفلسفات السائدة في المجتمع، إلى جانب العادات والتقاليد والقيم والأعراف، وأنماط السلوك السائدة، فإن علم النفس الحديث يعد من المقومات العلمية لثقافة العصر، تلك الثقافة التي يتعين أن يلم بها أبناء المجتمع على مختلف مستوياتهم العمرية والتعليمية، ذلك لأن الثقافة الموحدة آداة من أدوات اللحم أو الالتحام والالتصاق والتوحد والتماسك والتساند والتآلف بين أبناء المجتمع. كذلك الثقافة أحد مكونات الفكر، ولذلك يزداد المجتمع تماسكاً كلما كانت ثقافته مقبولة ومعروفة لدى أبناء المجتمع.

ولذلك ففي وقت تشتد فيه الصراعات النفسية والأزمات والتوترات والمنافسات، وتنتشر فيه الأمراض النفسية، لا بد فيه لأبناء المجتمع من الإلمام بالوعي السيكولوجي أو الثقافة السيكولوجية تعد الثقافة السيكولوجية مقوماً أساسياً من مقومات ثقافة المجتمع في الوقت الراهن، ولذلك يتعين الإلمام بها استرشاداً بما تتضمنه من المبادئ والقيم والحقائق في سلوك الفرد، وفي علاقاته مع الآخرين، وفي مسار نموه، وفي تعامله مع أبنائه وخاصة فيما يتعلق بعملية التنشئة الاجتماعية Socialization.

وفيما يلي مجموعة مقتبسة من التعاريف العلمية من عدد من المراجع العمد في مجال الثقافة والدراسات الثقافية واللغوية والأنثروبولوجية والاجتماعية من أبلغها مؤلفات: عاطف عيث وزملائه، وعبد المنعم الحفني وفرج عبد القادر طه وأسعد رزوق وغيرهم ممن تناولوا قضية الثقافة وشرح مفهومها.

ثقافة Culture وعلاقتها بعلم النفس:

هي طرق الحياة المختلفة الصادرة عن السلوك الإنساني وإنتاجاته من معايير وقيم ومعتقدات وفن وعلم وآثار ونظم وقوانين وقواعد ومثل.

والثقافة، بهذه الصورة، ككل متكامل من الأفكار، والمعايير، وطرق كسب الرزق، وتربية الأبناء، والأعمال اليدوية التي تنقل عبر الأجيال المختلفة، وللثقافة كما تبين جانب ملموس يتمثل في المباني والآلات، وآخر غير ملموس أي معنوي يتمثل في القيم والفنون[1]. وتتضح العلاقة بين الثقافة وعلم النفس في النقاط الآتية:

١ ـ إن علم النفس باعتباره علماً يعد أحد مقومات الثقافة أو عناصرها تلك التي تتضمن العلوم والفنون.

٢ ـ إن الثقافة صادرة عن سلوك، وعلم النفس عبارة عن علم دراسة السلوك.

٣ ـ وإذا كانت الثقافة تتضمن طرق كسب الرزق فعلم النفس أحد أدواتها من حيث ما يقدمه في عمليات التدريب المهني والاختيار المهني والتأهيل المهني وكافة موضوعات علم النفس المهني. وكذلك طرق تربية الأبناء أو التنشئة الاجتماعية لهم.

وهناك تعريف آخر يتناول الجوانب الأخلاقية من الثقافة:

كل ما فيه استثارة للذهن وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد، والحكم لدى الفرد، أو في المجتمع، وتشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن والأخلاق، وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه. ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية، ولكل جيل ثقافته التي استمدها من الماضي وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر، وهي عنوان المجتمعات البشرية.

---

(١) فرج عبد القادر طه، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ب.ت، ص ١٦٢.

ويفرق بينها وبين الحضارة، على أساس أن الأولى ذات طابع فردي وتنصب بخاصة على الجوانب الروحية، في حين أن الحضارة ذات طابع اجتماعي ومادي.

غير أن الاستعمال المعاصر يكاد يسوي بين المصطلحين.. وفي الإمكان التمييز بينهما بالقول بأن الحضارة هي الجانب الراقي من الثقافة ويرتبط مفهوم الثقافة على هذا النحو بعلم النفس وموضوعاته من حيث أن الثقافة هي كل ما فيه استثارة وعلم النفس يتولى دراسة المثيرات المختلفة التي يتولد عنها سلوك الإنسان. ويتضح هنا الدور التربوي والأخلاقي للثقافة فهي تهذب الذوق وتنمي الأخلاق وغيرها من القدرات. والثقافة كل نامٍ ومتطور يستقبله الجيل الحالي ويضيف إليه فهي عبارة عن تراكم ما يتعلمه الفرد أو يكتسبه من خبرات.

وفي تعريف الثقافة يقول عاطف غيث ورفاقه:

١ ـ من العسير أن نعتمد على تعريف واحد لهذا المصطلح البالغ التعقيد والأهمية ولهذا يفضل أن نقدم مجموعة تعريفات، يكمل كل منهما الآخر.

وهناك صيغة تأليفية تشتمل على معظم العناصر التي حظيت بموافقة علماء الاجتماع في الوقت الحاضر «فالثقافة تتألف من أنماط، مستترة أو ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول، عن طريق الرموز، فضلاً عن الإنجازات المتميزة للجماعات الإنسانية، ويتضمن ذلك الأشياء المصنوعة، ويتكون جوهر الثقافة من أفكار تقليدية، وكافة القيم المتصلة بها، أما الأنساق الثقافية فتعتبر نتاج السلوك من ناحية، وتمثل الشروط الضرورية له من ناحية أخرى». وينظر هذا التعريف للثقافة في جانبها السلوكي المكتسب والمنقول.

وهناك تعريف آخر يعتبرها فئة من السلوك «فئة أو مقولة عامة للسلوك تظهر عند جماعة معنية».

أما ظهور فكرة الثقافة وبلورتها في صورة مصطلح فني في الأنثربولوجيا، فقد كان على يد العالم البريطاني تايلور وحدد معناها بطريقة منظمة حتى أنها أصبحت مفهوماً رئيسياً، بعد ست سنوات، «فالثقافة بالمعنى الأنثوجرافي الواسع هي ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادة، وكل المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع».

٢ ـ وبعد عدة سنوات من ظهور هذا التعريف، صيغت تعريفات أخرى للثقافة كمفهوم رئيسي في الأنثروبولوجيا. وقد حلل كل من كروبير وكلاكهون ما يزيد عن ١٦٠ تعريفاً كتبت باللغة الإنجليزية، قدمها علماء الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، والطب النفسي وغيرهم. وأمكنها تصنيف التعريفات وفقاً لاهتماماتها الرئيسية. فهناك تعريفات اهتمت بالحصر والوصف، وتعريفات أخرى تاريخية، وثالثة معيارية، ورابعة ذات طابع نفسي، وخامسة بنائية، ثم أخيراً تعريفات تطورية». ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى الطابع النفسي في مفهوم الثقافة ومضمونها ومحتواها وإبراز العلاقة بين علم النفس والثقافة.

ويعتبر تعريف فرانز بواس Boas نموذجاً للتعريفات الوصفية؛ إذ أن الثقافة تتضمن كل مظاهر العادات الاجتماعية في المجتمع المحلي، واستجابات الأفراد نتيجة لعادات الجماعة التي يعيشون فيها، ومنتجات النشاط الإنساني، أما التعريفات التاريخية، فهي تنتقي جانباً معيناً من الثقافة مثل التراث الاجتماعي وذلك على نحو ما يذهب رالف لينتون. والمجموعة الثالثة تنظر إلى الثقافة كطريقة متميزة في الحياة مثلما ذهب كلينبرج O. Klinberg إلى القول بأن «الثقافة هي ذلك الكل المتعلق بأسلوب الحياة، كما تحدده البيئة الاجتماعية». على حين يقول سوروكين «إن المظهر الثقافي لعالم ما فوق العضوي يتكون من المعاني، والقيم، والمعايير، والتفاعل، والعلاقات بينها، والأشكال المتكاملة أو مكتسب اجتماعياً، وهي فوق كل ذلك

ضرورية كحافز للفعل» وربما كان التجديد إلهام الذي شهدته الأنثروبولوجيا البريطانية في هذا المجال، ما ذكره ماير فورتس M. Fortes حينما اعتبر «الثقافة المظهر الكيفي للوقائع الاجتماعية، بينما استخدم مفهوم البناء لدراسة الملامح المميزة للأحداث الاجتماعية التي تبدو من الناحية المثالية، قابلة للتحليل[1].

علم النفس الثقافي

في ضوء هذا الارتباط بين الثقافة وعلم النفس، يمكن اقتراح تأسيس فرع جديد من فروع علم النفس يختص بدراسة الظواهر الثقافية كالعادات والتقاليد والقيم والأعراف والمثل العليا والنظم والقوانين والقواعد والعقائد والمعايير وأنماط السلوك المقبولة. والتفاعل بين الإنسان وبين الثقافة أي التأثير المتبادل بين الإنسان وثقافته العامة أو الفرعية، ذلك لأن الثقافة هي من صنع الإنسان وهي، بما تحمله من تراكمات الماضي، ومؤثرات الحاضر، تؤثر في شخصية الإنسان وفي نموه وفي سلوكه، ثم دراسة دور الإنسان فى تطوير الثقافة وتجديد دمائها ومدى تقبله لها أو رفضه إياها أي الامتثال للثقافة وتأثير ذلك في عمليات التكيف النفسي والاجتماعي للفرد، فهناك ثقافات فرعية في بعض المناطق المتدنية المستوى اجتماعياً تقبل فكرة العدوان وفكرة السرقة. ويتجسد كل ذلك في الأفعال الظاهرة في العالم الواقعي الثقافي ـ الاجتماعي». أما التعريفات ذات الطابع النفسي فإنها تميل إلى إبراز جوانب معينة من التكيف، والتعلم، والعادات. وتنظر إلى الثقافة أساساً باعتبارها مجموعة أساليب فنية تحقق إشباع الحاجات، وحل المشكلات، والتكيف مع البيئة. ويقول فورد C.S. Forde «إن الثقافة تتكون من الأساليب التقليدية لحل المشكلات. . . وهي تمثل مجموعة الاستجابات المقبولة التي حققت نجاحاً، وهي تعبر باختصار عن الحلول المألوفة والمتعلمة لهذه المشكلات»، وتميل بعض هذه التعريفات إلى إرجاع فكرة الثقافة إلى العمليات السيكولوجية. أما التعريفات البنائية،

---

(١) عاطف غيث وآخرون.

فيبدو أنها لم تظهر في التراث قبل عام ١٩٤٥ م، وأهم ما يميزها اهتمامها بالطابع النوعي للثقافة، والعلاقات المتبادلة بين جوانبها المختلفة. ولهذا، فإن الثقافة ـ من منظور هذه التعريفات ـ هي تجريد، أو نموذج تصوري، ولكنها ليست هي السلوك ذاته. وقد أكد كلاكهون وكيلي «أن الثقافة هي نسق تاريخي مستمد من الأساليب الظاهرة والكامنة للحياة، التي يشارك فيها كل أعضاء الجماعة أو بعضهم». ومع ذلك، فإن علماء الأنثروبولوجيا بصفة عامة لا يقبلون تماماً فكرة الثقافة كتصور منطقي افتراضي، أو كنموذج يرتكز على تجريد بعض أنماط السلوك، وإن كان بعضهم مثل رالف لينتون، وبيدني Bidney، وهوايت، يعتبرون الثقافة ممثلة[1] للسلوك الواقعي، ويستخدمون في الوقت ذاته تعبيرات خاصة مثل الأساليب النمطية للسلوك، وأشكال السلوك.

أما التعريفات النشوئية، فهي تسعى إلى الإجابة عن تساؤلات مثل: كيف ظهرت الثقافة؟ وما هي عوامل نموها وتدهورها؟ وتركز بصفة عامة على أصول الثقافات ومصادرها، ومن التعريفات الممثلة لهذا النوع، ذلك التعريف المختصر الذي صاغه كار L.J. Carr وذهب فيه إلى أن الثقافة هي «النتاج التراكمي المنقول للسلوك السائد في المجتمعات». ويضيف عاطف غيث وزملاؤه في شرح مفهوم الثقافة أنه:

٣ ـ ومنذ عام ١٩٣٥ تقريباً أخذ علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية يتجمعون نحو استخدام مصطلح البناء الاجتماعي، أكثر من استخدامهم لمصطلح الثقافة، لكن ذلك لم يمنع بالطبع من ظهور بعض التعريفات المشابهة لتلك التي قدمها العلماء الأمريكيون، فقد كتب فيرث R. Eirth يقول «إذا نظرنا إلى المجتمع على أنه يمثل مجموعة من الأفراد، فإن الثقافة طريقتهم في الحياة، وإذا اعتبرناه مجموعة العلاقات الاجتماعية، فإن الثقافة هي محتوى هذه العلاقات. وإذا كان المجتمع يهتم بالعنصر الإنساني، ويتجمع الأفراد، والعلاقات المتبادلة بينهم، فإن

---

(١) محمد عاطف غيث وآخرون، مرجعهم السابق.

الثقافة تعني بالمظاهر التراكمية المادية واللامادية التي يتوارثها الناس، ويستخدمونها ويتناقلونها. وللثقافة محتوى فكري ينظم الأفعال الإنسانية، وهي من وجهة النظر السلوكية[1]، سلوك متعلم مع دراسة عمليات التعلم وتكوين العادة ومدى إشباع الثقافة لحاجات الإنسان ودورها في حل مشكلات الفرد.

والثقافة هي هذا الكل المعقد من المعرفة والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعرف والعادات، وكل ما يمكن أن ينتقل إلى الإنسان عن مجتمعه. ويزعم البعض أن الثقافة شيء متعلم، ويدعي آخرون أنها متعلمة موروثة، وركز البعض على الترشيد في الثقافة، وأصر آخرون على دور العادات، الأمر الذي أثار جدلاً كثيراً حول نشأة الدولة والديانات والأنظمة الاجتماعية، كالزواج وغيره، وما إذا كان الإنسان واحداً في كل مكان، وأن الظروف المتماثلة تخلق عادات متماثلة، وجعل البعض يقول بتأثير الثقافة في تشكل الشخصية، بمعنى أن الثقافة تنمو منظمة حياة الجماعة، وأنها أثناء ذلك تخلق مجموعات جديدة من الدوافع، لا بد أن توفر لها الثقافة الإشباع كي تحافظ على نفسها، ومن ثم تقوم المؤسسات (مثل الدين) والعادات كوسائل إشباع. وتخلق الثقافة، والحاجات التي تفجرها. والوسائل التي تسمح بها للإشباع، تخلق شخصية عظيمة، هي الشخصية الوطنية، وتغرس سمات هذه الشخصية في كل مواطنيها"[2].

وواضح أن هذا التعريف سيكولوجي في طبيعته، حيث ينظر للثقافة على أنها ذلك الكل المعقد أي المتشابك والمكون من عدة عناصر ثقافية وإنها منقولة للإنسان من مجتمعه فهي جزء من المؤثرات البيئية وهي مكتسبة ومتعلمة وإن كانت موروثة فبالمعنى الاجتماعي للوراثة وليس المعنى البيولوجي وهناك أنماط ثقافية متعددة Culture Patterns فليست الثقافات نمطاً واحداً.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) عبد المنعم الحفني، مرجعه السابق ص ١٨٦.

ويتشكل النمط الثقافي من خلال الأسبقية النسبية التي تعطي لعناصر مختلفة ضمن إطار الكل، وعبر درجة التقدم النسبية التي تتبدى على مستويات متنوعة، مع تشديد خاص على الجانب التربوي. وترد هذه اللفظة الاصطلاحية غالباً في صيغة الجمع: الأنماط الثقافية[1]. من ذلك النمط الديمقراطي والدكتاتوري أو الاستبدادي أو التسلطي أو التسامحي والمفروض أن تسهم مؤسسات المجتمع وخاصة مؤسساته التربوية في تنقية الثقافات الفرعية وغربلتها من الشوائب وأن تعمل على نقلها للأجيال الصاعدة وعلى تطويرها وتحديثها وتحصيرها وتجديد دمائها بإضافة كل ما هو جديد ونافع إليها. ومن ذلك نشر الوعي السيكولوجي وأساليب التربية السيكولوجية والإنسانية.

وهناك تعاريف أخرى للنمط الثقافي منها ما يورده عاطف غيث ورفاقه على النحو الآتي:

والنمط الثقافي قد يعني:

١ ـ تنظيم مركبات الثقافة، التي تؤلف الصيغة الثقافية الكلية لمجتمع ما، أو القيم والمعتقدات السائدة التي تميز ثقافة بعينها، والتي اكتسبت قدراً من الاستمرار النسبي.

٢ ـ وقد استخدم علماء الأنثروبولوجيا النمط الثقافي كمصطلح شامل منذ عام ١٧٨١، واستمر هذا الاستخدام في كتابات ويزلر عن تتابع الأنماط القائمة، ثم انتشر استخدامه دون أن يكتسب معنى محدداً منذ عام ١٩٢٠ بين علماء الاجتماع، والنفس، وغيرهم من المتخصصين في العلوم الاجتماعية. وربما كان أفضل تحديد للنمط الثقافي هو الذي قدمه عالم الأنثروبولوجيا سابير حينما ذهب إلى أنه «أسلوب تعميمي للسلوك يعزي إلى المجتمع أكثر مما يتعلق بالفرد..». ويعتقد سابير أننا نستطيع فهم الثقافة بصورة أفضل حينما نقوم بتحليل عناصرها المكونة

---

(١) أسعد رزوق، ص ٣١٩.

لها، والصور المختلفة التي تتخذها هذه العناصر. فكأن فهم الثقافة لا يتم إلا في ضوء التعميق وراء الأشكال الظاهرة لها.

٣ ـ وجدير بالذكر أن روث بندكست لم تقدم تعريفاً محدداً للأنماط الثقافية وإنما ذهبت إلى أنها توازي الأغراض المميزة، أو الدوافع، والعواطف، والقيم التي اكتسبت طابعاً مستقراً في الثقافة. كذلك حاول كلاكهون أن يحدد محور فكرة النمط فذهب إلى أن «البناء هو أكثر المظاهر التركيبية وضوحاً في فكرة النمط . . . والنقطة المرجعية هنا هي دائماً الصورة لا المحتوى. لكن النمط الثقافي ليس مجرد بناء، وإنما ينطوي على درجة من المسايرة من جانب عدد من الأشخاص، وإذن فالنمط بمعناه الواسع هو انتظام بنائي».

٤ ـ وهناك تعريف متخصص للنمط الثقافي قدمه كروبير مؤداه: «الأنماط الثقافية هي روابط أو صلات قائمة بين السمات الثقافية يفترض أنها تشكل بناءاً محدداً ومتماسكاً، يؤدي دوراً وظيفياً، ويكتسب قيمة تاريخية ويحقق استمراراً في الوجود»[١].

ولا تسير العناصر الثقافية دائماً سيراً مطرداً، فقد يعتريها التخلف والتأخر Cultural lag حيث تبقى عناصر ثقافية لا تتواءم مع الظروف الجديدة. حيث تستمر العادات والاتجاهات والمنتجات الخاصة بثقافة ما رغم قدمها وتخلفها بالنسبة لمعايير من وضع ثقافة أخرى أو ثقافة فرعية. والتخلف الثقافي من الأمور السلبية التي تعاني منها معظم المجتمعات العربية في الوقت الحاضر إذ أننا في حاجة إلى ثورة ثقافية متجددة.

والتخلف الثقافي قد يشير إلى:

١ ـ موقف تتغير فيه بعض جوانب الثقافة بمعدلات أسرع من تغير الجوانب الأخرى، مما يؤدي إلى عدم تكامل أو توازن عمليات تغير الثقافة، فتتخلف بعض العناصر الثقافية، نتيجة لتفاوت معدلات السرعة في التغير. ويرتبط التخلف الثقافي بهذا

(١) محمد عاطف غيث وآخرون، مرجعهم السابق.

المعنى، بالتفكك الاجتماعي وظهور بعض المشكلات في المجتمع. كذلك يستخدم المصطلح للإشارة إلى الفترة التي توجد بين اقتراب أكثر من عنصر واحد، من عناصر الثقافة، من تحقيق أهدافه بدرجات متفاوتة.

٢ - ويرجع إلى وليام أوجبرن W.F. Ogburn فضل إدخال هذا المصطلح ضمن تراث علم الاجتماع؛ وذلك حينما طبقه على المجتمعات الغربية التي تتطور فيها الثقافة المادية بمعدلات تفوق سرعة تطور الثقافة اللامادية، إلا أنه أصبح من الضروري بعد تأكيد المظهر الرمزي للثقافة التكنولوجية، أن يعاد النظر في تعريف التخلف الثقافي، فنجد بارسونز - مثلاً - يذهب إلى أن صياغة أوجبرن للتخلف الثقافي تمثل تطبيقاً غير ملائم للقضايا التي قدمها ڤيبلن Veblen حول السلوك الاجتماعي المرتبط بالعوامل التكنولوجية وبغريزة الصنعة، كذلك هجر هارت H. Hart في تصوره للتخلف الثقافي فكره أوجبرن حينما ذكر أنه يشير إلى «التقصير الناتج عن الفترة التي تتوسط مرحلتين من تطور المركبات الثقافية، وهو تقصير محتمل ومتوقع على أساس التخطيط الاجتماعي»[1].

ولقد عانت أوربا من انفصام الثقافة حين أقامت نهضتها الحديثة على أساس من التقدم العلمي والتكنولوجي وأغفلت التقدم المعنوي أو الروحي أو الأخلاقي فتخلف هذا الجانب المعنوي من الثقافة وأصبحت تعيش ثقافة مبتورة عرجاء تتقدم في جانب وتتخلف في الجانب الآخر. وعلى سبيل المثال حين نجحت في تفتيت الذرة وإنتاج الأسلحة النووية لم يواكب هذا التطور المادي الخطير تطور في القيم والمثل والمعايير والأخلاق التي تضبط سلوك استخدام هذه الطاقة في الخير والنفع ولذلك انحرف السلوك وقس على ذلك كل مظاهر التمدين الحديث.

وللثقافة معايير مستمدة منها يحكم بها على سلوك الأفراد بالقبول أو الرفض أو الاستهجان أو الاستحسان Cultural norms وتقتضي نظرية الامتثال Conformity أن

---

(١) محمد عاطف غيث وآخرون، مرجعهم السابق.

يخضع الفرد للمعايير الثقافية السائدة في المجتمع الذي يعيش[1] في كنفه، فالمعيار الثقافي عبارة عن المستوى السلوكي المقبول من قبل مجتمع ما، فهو يستمد من سلوك الجماعة الأصغر في ثقافة معينة أو هو نمط من السلوك معترف به ومقبول من الجماعة ويقارن به سلوك الأفراد في هذا المجتمع.

ومن الجدير بالإشارة أن تحليل العناصر الثقافية يكشف أنها ليست مطلقة ولكنها نسبية ومتطورة ونامية أو ديناميكية في طبيعتها

النسبية الثقافية Cultural Relativism:

أ ـ وجهة النظر التي تقول بأن القيم الثقافية ليست مطلقة وإنما ترتبط بثقافة معينة.

ب ـ وجهة النظر التي تؤكد أن نتائج البحوث النفسية التي تجري في ثقافة معينة لا يمكن تطبيقها مباشرة في ثقافات أخرى[2].

ومن ذلك محاولات غربلة الثقافة الغربية قبل أن نستفيد منها نحن العرب والمسلمون في الاقتباس ذلك لأنه لا ينبغي أن ننقل إلا كل ما يتمشى مع أمهات الثقافة الإسلامية والعربية.

«إن المنتجات الثقافية وهي الفن والأدب والموسيقى والمخترعات إلميكانيكية، لا يمكن مقارنتها إلا بالنسبة للثقافة التي نشأت فيها، وليس بالنسبة لأية ثقافة أخرى، أو أن معايير السلوك لا يمكن الحكم عليها إلا بالنسبة لهذه الثقافة وحدها، أو أن قوانين علم النفس صلاحيتها ثقافية، أي لثقافة معينة، وليست لكل العالم». وتطبيقاً لهذا المبدأ لا يتم نقل استخدام الاختبارات والمقاييس النفسية من مجتمعاتها الأصلية إلا بعد إعادة تقييمها.

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣.

(٢) عبد المنعم الحفني، مرجعه السابق.

الانتقال الثقافي Cultural Transmission:

انتقـال المعـاييـر والمنتجـات الثقـافيـة مـن جيـل إلـى جيـل[1]. وهـذه مهمـة المؤسسات التربوية على أن يشترط في النقل التصفية والغربلة للعناصر الجيدة فقط.

والنسبية الثقافية من معانيها وتعريفها ما يلي:

١ ـ مبدأ يعني أن الإنسان لا يستطيع أن يفهم أو يفسر، أو يقيم الظواهر الاجتماعية والنفسية، دون النظر إلى الظاهرة موضوع الدراسة. والرجوع إلى الدور الذي تقوم به في النسق الاجتماعي الثقافي الكبير. فلا يمكن الحكم على عادات ثقافية معينة، ولا يمكن تقييمها إلا في ضوء ماهية القيم المرتبطة بها، والحاجات التي تقوم بإشباعها، وعلاقتها العامة بالالتزامات الأخرى والتوقعات والقواعد الخلقية.

٢ ـ أي أن النسبية الثقافية تعني أنه يتعين الحكم على كل عنصر للسلوك في علاقته بالمكان، والبناء الفريد للثقافة. وقد أكد فرانز بواس F. Boas ضرورة الاهتمام باستكشاف التنوعات والتباينات الثقافية التاريخية، لأن كل جانب للثقافة من اللغة إلى أشكال الزواج، يجب أن يدرس في السياق العام الذي يظهر فيه. ويعارض هذا الاتجاه كل من يؤمنون بفكرة عمومية الثقافة، التي ترجع إلى تشابه أو تماثل المواقف الإنسانية في الزمان والمكان، فقد كتب لينتون يقول: «إنه يكمن خلف التنوع في الأنماط الثقافية، نوع من الوحدة والأطراد الأساسي»[2].

٣ ـ وقد علق بارسونز وشيلز على النسبية الأخلاقية بقولهما: «إن رواد هذه النظرية قد أكدوا أن كل مستوى أخلاقي نوعي بالضرورة، ولعل ذلك ينطوي على حساسية جمالية عظيمة تبرر هذه الدعوى، لكنها ليست مقنعة منطقياً، ولا تحقق ثراءاً علمياً».

---

(١) عبد المنعم الحفني، مرجعه السابق ص ١٨٦.

(٢) محمد عاطف غيث وآخرون، مرجعهم السابق.

وللنسبية الثقافية صدى في الدراسات النفسية متمثلاً في وجهة نظر مدرسة الجشطالت التي لا ترى الأشياء إلا في إطار الصيغة الكلية التي توجد فيها، فليس للشيء أو للجزء معنى خاصاً في ذاته وإنما هو يستمد معناه من الكل الذي يحتويه[1].

الاستيعاب الثقافي أو التمثيل Cultural Assimilation:

عملية تعلم وامتصاص العادات والتقاليد، وغير ذلك مما يتميز به مجتمع آخر، بحيث يمكن للفرد المستوعب لها أن يندرج تماماً ضمن أفراد الجماعة الثقافية أي هضم المادة الثقافية واستدماجها في كيان الشخصية.

الصراع الثقافي Cultural Conflit:

القوى المتعارضة التي تفرض نفسها على الأفراد والجماعات التي تدين بالولاء لثقافتين مختلفتين كالصراع بين الفقراء والأغنياء أو بين رجال الإدارة والعاملين أو بين الحكام والمحكومين.

فهو الصدام بين جماعتين اجتماعيتين من ثقافتين مختلفتين يعيشان متقاربين. أو الصراع داخل الفرد بين دوافعه وأنماطه السلوكية بسبب انتمائه وتوزعه بين ثقافتين مختلفتين، وهو صراع يعانيه المهاجرون كثيراً[2]. وكلما خلت الثقافة من الصراع كلما زاد تماسك المجتمع وزادت وحدته.

والصراع الثقافي عبارة عن صراع عقلي عند فرد معين، أو مجموعة أفراد، تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين، تكونان موضع اتفاق جزئي، ولكنهما يزودان الأشخاص ببعض معايير السلوك المتناقضة والمتعارضة، مثال ذلك القروي الذي يعيش ثقافة المدينة، وهو لا يزال يحمل رواسب ثقافية من المجتمع القروي. والمصطلح لا

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، دراسات سيكولوجية دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.

(٢) عبد المنعم الحفني، مرجعه السابق.

يستخدم عادة للإشارة إلى الصراع بين جماعتين. ويميز علماء النفس بين عدة أنواع من الصراعات منها صراع الإقبال/ الإقبال حين يكون المرء في موقف يتطلب منه أن يختار بين هدفين لكل منهما جاذبية إيجابية كوجود وظيفتين مرموقتين أمام الشاب عليه أن يختار واحدة منهما وصراع الأحجام/ الأحجام، حين يواجه الفرد موقفاً يصبح عليه أن يختار بين شيئين لكل منهما جاذبية سلبية كالاختيار بين تناول محلول الطعام أو شراب الخل. وصراع الإقبال/ الأحجام حين يكون المرء في موقف تتجاذبه الأمواج بين شيئين لأحدهما جاذبية سلبية كاللعب وترك الاستذكار وبين الرغبة في الاستذكار والتفوق (عبد الرحمن العيسوي، دراسات في علم النفس الاجتماعي).

انتقال ثقافي Cultural Transmission:

عملية يتم من خلالها نقل الثقافة من جيل إلى جيل آخر، عن طريق التعليم سواء بصورة رسمية، أو غير رسمية. فهي إذن تمثل استمرار التراث.

عموميات ثقافية Cultural Universals:

الأفكار، والعادات، والاستجابات الانفعالية المشروطة التي تعتبر عامة عند جميع أعضاء المجتمع. والعنصر الثقافي العام في مجتمع معين، قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر. وقد تكون العموميات الثقافية ممثلة لبعض المظاهر التي تتحقق عند الجنس البشري كله، ومرد ذلك أنها تشبع حاجات عضوية عامة. ويستخدم المصطلح بصيغة أخرى، فيقال النمط العمومي للثقافة Universal Pattern of Culture.

تنوع ثقافي Cultural Variation:

يشير مصطلح التنوع الثقافي عموماً إلى الاختلافات القائمة بي المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها. وقد كان موضوع التنوع الثقافي من بين الموضوعات التي حظيت باهتمام علماء الأنثروبولوجيا، خاصة فيما يتعلق بمدى هذا التنوع، وارتباطه، والعوامل المؤدية إليه. وهناك نظريات تفسر هذه الظاهرة بالاعتماد

على المنظور التاريخي، وأخرى تميل إلى دراستها من وجهة النظر البنائية الوظيفية «بينما تجد نظريات أخرى حتمية تعتمد على عامل وحيد. وتتخذ هذه الحتمية صوراً متعددة، منها الحتمية العنصرية، والجغرافية، والاقتصادية. كذلك يهتم علماء الأنثروبولوجيا بتصنيف الثقافات إلى نماذج مختلفة، يمكن معها الإحاطة بالتنوع الثقافي الملاحظ في المجتمعات الإنسانية[١].

تغير ثقافي Cultural Change:

الثقافة شأنها شأن الكائن الحي تنمو وتتنوع وتتحرك وتتغير وتنتشر أو تضمحل وتذبل وهي جزء من المجتمع الذي توجد فيه تتقدم بتقدمه وتزول بزواله أو تضعف بضعفه. ووفقاً لتعريف محمد عاطف غيث وزملائه فإن التغير الثقافي يشير إلى:

١ ـ أي تغير يطرأ على جانب معين من جوانب الثقافة المادية أو اللامادية سواء عن طريق الإضافة، أو الحذف، أو تعديل السمات أو المركبات الثقافية. ويمكن أن يحدث التغير الثقافي نتيجة لعوامل متعددة، ولكنه في الغالب يحدث بفعل الاتصال بثقافات أخرى، أو التجديدات والمخترعات التي تدخل ثقافة معينة.

٢ ـ ويمكن تعريف هذا المصطلح على أنه يشير إلى تعديلات تشهدها الثقافة خلال الزمن، ويظهر بوضوح عند تحليل المواقف والعمليات الأساسية في الحياة الاجتماعية، في ضوء تعريفنا للثقافة، والعلاقة بينها وبين المجتمع والشخصية. ومع أن استخدام مصطلح التغير الثقافي ينتشر بين علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيين، في حين يفضل علماء الاجتماع استخدام مصطلح التغير الاجتماعي، فإن معظم العلماء الاجتماعيين يتجهون في الوقت الحاضر إلى الحديث عن التغير الاجتماعي والثقافي، بل إنهم يستخدمون في الغالب مصطلح التغير الاجتماعي الثقافي Socio-Cultural Change.

---

(١) عاطف غيث واخرون مرجعهم السابق.

٣ ـ وقد كانت دراسات التغير الثقافي تمثل أحد الاهتمامات الأساسية المبكرة للأنثروبولوجيا، لكنها أخذت مضامين نظرية مختلفة خلال سنوات تطور هذا العلم؛ ففي منتصف القرن التاسع عشر حينما انفصلت الأنثروبولوجيا الثقافية وعلم الاجتماع عن التاريخ والفلسفة الاجتماعية، كان الاهتمام الأساسي هو تفسير التقدم من العبودية إلى المدنية، في محاولة لكشف القوانين العامة التي تحكم تطور الثقافة للمجتمع، ويظهر ذلك في أعمال مورجان وسبنسر. ثم حدث عام ١٨٩٦ تطور في اتجاه هذه الدراسات، تمثل في الهجوم الذي أثاره كل من ريفرز Rivers وبواس Boas وغيرهما على الإفراط في تبسيط التعميمات التي يعتمد عليها الاتجاه التطوري، مما أدى إلى توجيه الاهتمام إلى تاريخ ثقافات معينة بالذات، فظهرت النظريات التاريخية والانتشارية عن النمو والتغير. وفي عام ١٩٢٠ اتجه المدخل الوظيفي نحو دراسة الاتصال الثقافي والتثقف، كما ازدهرت الأنثروبولوجيا التطبيقية، التي عنيت بتحليل عمليات التغير الثقافي ونتائجها في مجتمعات مختلفة[١].

والتغير الثقافي مفروض أن يسير في الطريق المنشود نحو الإيجابية والتطور والتقدم والرقي وللإنسان دور كبير في تحقيق هذا التغير الثقافي المنشود.

تقارب (التقاء ثقافي) Cultural Convergence:

١ ـ تطور سمات ثقافية متشابهة في ثقافتين أو أكثر، إما عن طريق الانتشار، أو من خلال ما يسمى بالتوازي الثقافي، الذي يشير إلى سمات ثقافية متشابهة في منطقتين جغرافيتين منفصلتين نشأتا نشأة مستقلة. وقد اقتصر بعض الكتاب في استخدامهم لهذا المصطلح على هذه الظاهرة الأخيرة. ومعنى ذلك بعبارة أخرى، أن التقارب الثقافي هو عملية تغير يحدث خلالها نمو وتطور للسمات غير

---

(١) محمد عاطف غيث وآخرون.

المتجانسة في الثقافات الخاصة بشعوب منعزلة عن بعضها جغرافياً، بحيث تتجه هذه السمات نحو تحقيق درجة عالية نسبياً من التشابه والتماثل وذلك في ضوء عامل الزمن.

٢ ـ يرتبط مصطلح الالتقاء الثقافي بمصطلح آخر وثيق الصلة به هو التوازي الثقافي Parallelism وغالباً ما يستخدم كلا المصطلحين للإشارة إلى التماثل بين ثقافات الشعوب، مما يوحي بوجود أصل مشترك لهذه الثقافات، وهذا التماثل. ويذهب بعض الباحثين إلى أن تشابه البيئة الطبيعية ربما يكون من العوامل الهامة لتطور السمات الثقافية تطوراً مستقلاً، إذا سلمنا بأن هذا الاستقلال أمر واقعي. ويعارض هذه الفكرة أصحاب النظريات الانتشارية، فنجد باحثاً مثل روبرت لوي R. Lowie يتفق مع فرانزبواس Boas في القول بعدم وجود التقاء كامل، ويستبدل ذلك بمصطلح آخر هو التطور المتقارب Convergent Evolution وقد رفض جولد نفايزر هذا المصطلح، باعتبار أنه يتضمن مماثلة زائفة بالتطور العضوي. ولكنه يقرر «أن كل حالة توازي تتضمن بالضرورة نوعاً من التقارب الثقافي، فكل ثقافة تتضمن عدداً محدوداً من السمات وهذا التحديد للعدد، ولطابع السمات، مع تعدد المصادر التاريخية والسكولوجية المحتملة، يفرض بعض القيود على احتمالات النمو، ويؤدي بالضرورة إلى التقارب».

٣ ـ والواقع أن معظم الدراسات الحديثة تدور حول المسائل التي أثارها جولد نفايرز فذهب هونجمان إلى أن التقارب يرتكز على فكرة الاحتمالات المحدودة التي تحكم التغير في موقف معين. لكن تعميم هذه الفكرة ينطوي على بعض الصعوبات، إذ أن الاحتمالات المحدودة قد تكون أكثر الميكانيزمات شيوعاً، لكنها بالتأكيد ليست هي العامل الوحيد[1].

(١) محمد عاطف غيث وآخرون، مرجعهم السابق.

تطور ثقافي Cultural Evolution:

١ ـ يشير هذا المصطلح إلى عملية انتظام الظواهر الثقافية وتغيرها من مرحلة إلى أخرى خلال الزمن. والتطورية الثقافية، اتجاه يحاول تطبيق النظرية التطورية العامة على الظواهر الثقافية. وقد حدد تايلور مضمون نظرية تطور الثقافة حين كتب يقول: «يبدو أننا حينما نلاحظ وجود فنون متطورة، ومعرفة واسعة، ونظم معقدة، نميل إلى الاعتقاد بأنها نتاج تطور تدريجي من مرحلة سابقة بسيطة للحياة. فليست هناك مرحلة في الحضارة تأتي إلى الوجود تلقائياً ولكنها تنمو وتتطور عن مرحلة أخرى سابقة عليها».

٢ ـ وقد تكون نظريات التطور الثقافي أحادية الخط، وذلك حينما ينظر الدارس إلى ثقافة الإنسان.

تكامل ثقافي Cultural Integration:

١ ـ يمكن تعريف التكامل الثقافي بأنه يمثل كافة العمليات التي تحقق وحدة الثقافة وكليتها، ويظهر ذلك بوضوح في الاتساق المنطقي، والعاطفي، والجمالي للمعاني الثقافية، والارتباط بين معايير السلوك، والتساند الوظيفي بين مختلف مكونات الثقافة من عادات، وعرف، ونظم. ومن الملاحظ أن هناك تداخلاً بين تحديد المصطلح على هذا النحو، وبين ما يشير إليه مصطلح التكامل الاجتماعي.

٢ ـ ويثير التكامل الثقافي باستمرار فكرة الشمول أو الكلية Wholeness أي اعتبار الكل أكبر من مجموع أجزائه. وهناك ثلاثة استخدامات رئيسية لهذا المصطلح في الأنثروبولوجيا، فهو يشير أولاً: إلى الاتساق النسبي بين مكونات الثقافة، وهذا هو الاستخدام الذي تتبناه الوظيفية، حينما تؤكد العلاقات المتبادلة بين جوانب الثقافة والسلوك الاجتماعي، وذلك على العكس من الاتجاه التاريخي الذي يميل إلى أن الثقافة (المفردة) تتألف من مجموعات من السمات غير المتناسقة والمستقلة النشأة والتطور». وثانياً: هناك معنى خاص للتكامل الثقافي، وإن كان لا يتعارض تماماً مع المعنى السابق. وهو الذي استخدمته روث بندكت

Benedict، فالتكامل يشير إلى تكوين الأنماط Petterning والثقافة تشبه الفرد من حيث أنها نمط متسق للفكر والعمل. ويوجد داخل كل ثقافة مجموعة أهداف متميزة، قد لا تحقق في نماذج أخرى من المجتمعات، ويتطلب تمثل هذه الأهداف، توجيه عناصر السلوك نحو التجانس والتشابه والنمطية» وقد أشارت بندكت إلى حالة ضعف التكامل الثقافي، في مقابل حالات أخرى يحقق فيها تكامل الثقافة درجة عالية جداً. ثالثاً: ينظر إلى التكامل الثقافي على أنه عملية يحقق عن طريقها النسق الثقافي المتغير، خلال الزمن، نوعاً من التشابه مع النسق القديم. وهذه الفكرة تعبر عن دخول عادات جمعية، ومعتقدات جديدة في الثقافة، بحيث يتعين على النسق الثقافي القائم أن يتكيف ويتوافق معها ويعد التخلف الثقافي، على أساس هذا الفهم، نوعاً من اللاتجانس، أو ضعفاً في الانسجام المؤقت، الذي يرجع إلى الفشل في تحقيق التكيف.

٢ ـ وما دام علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا يفترضون أن الثقافات تختلف فيما بينها من حيث درجة التكامل، فإنه من الضروري أن يوجد مقياس ملائم يمكن الاستعانة به في تقدير درجة تكامل العناصر الثقافية، وهذا مطلب منهجي ضروري في هذا الميدان[١].

تاريخ ثقافي Culture History:

١ ـ يمكن تعريف هذا المصطلح على أنه يشير إلى الصورة التكاملية للأحداث الثقافية التي ظهرت خلال الزمن، قد ظهر هذا المصطلح في الكتابات الأنثروبولوجية والأثنولوجيا وعلم الآثار. ويبدو أن المصطلح ذاع وانتشر بين علماء الآثار الذين يركزون على بحث تاريخ الثقافة من خلال منظور زمني، أكثر عمقاً من هذا الذي يستعين به علماء الأثنولوجيا، فاستطاعوا تطوير أساليب دقيقة، مكنتهم من وضع قوائم زمنية لتاريخ كل ثقافة.

(١) محمد عاطف غيث وآخرون، مرجعهم السابق.

٢ ـ وقد علق ميتلند F.W. Maitland على اهتمام الأنثروبولوجيين بتاريخ الثقافة بقوله: «إنه يتعين على الأنثروبولوجيا أن تختار بين أن تصبح تاريخاً، أو ألا تكون شيئاً على الإطلاق». كذلك ذهبت بيركت سميث Smith إلى أن «الحاضر لا يمكن فهمه إلا على أنه نتاج للماضي، وأن المشكلة الرئيسية في الأثنولوجيا يجب أن تكون تاريخية». وافتتح سابير Sapir مقاله عن المنظور الزماني بقوله: «إن الأنثروبولوجيا الثقافية تتجه أكثر فأكثر نحو الاعتراف بأنها علم تاريخي خالص، ولعل المعلومات التي تعتمد عليها، يصعب فهمها في فرديتها الخالصة أو في صلتها بعضها ببعض، ويتعين أن نفهمها على أنها نهاية تتابع معين للأحداث ذات الجذور العميقة في الماضي... إن الفهم التاريخي هام جداً لتحقيق أهداف الأثنولوجيا».

علم الثقافة Culturology:

١ ـ الدراسة العلمية التفسيرية للظواهر الثقافية بالذات، وقد استخدمه لأول مرة الفيلسوف وعالم الكيمياء الألماني فلهلم أوزفالد Kulturologie W. Ostwald ابتداء من عام ١٩٠٩ ثم استخدمه بعد ذلك عدد كبير من الدارسين ويفرق أوزفالد بين علم الثقافة وعلم الاجتماع، باعتبار أن الأخير شديد الاتساع، طالما أنه يركز على التفاعل الاجتماعي، ومن ثم فهو يشتمل على كافة الظواهر التي تدخل ضمن فئة اجتماعي ـ ثقافي. ومع ذلك، يبدو أن التركيز على التفاعل الاجتماعي، قد استبعد من مجال اهتمامه بعض الظواهر مثل الفلسفات، والفنون، وبعض السمات الثقافية الأخرى، مما يجعلنا نقول: إن مصطلحي «الاجتماعي» و «الثقافي» ليسا مترادفين.

٢ ـ وقد طور ليزلي هوايت فكرة علم الثقافة في تراث الأنثروبولوجيا منذ عام ١٩٣٩. واستخدمه في محاضراته عن الثقافة والأنساق الاجتماعية الأخرى. وحدد هوايت مجال علم الثقافة، في ضوء التعريف الكلاسيكي الشهير الذي قدمه تايلور للثقافة. فالثقافة من منظور هذا العلم شيء قائم بذاته Sui Generis، أي أنها تمثل

انتظام مجموعة من الأحداث والعناصر الرمزية كاللغة، والعادات، والمعتقدات، والأدوات. ويؤكد لوي Lowie أن دراسة الثقافة أصبحت تمثل ميداناً مستقلاً، خلال المائة سنة الأخيرة، مما يجعل لها أهمية خاصة.

٣ ـ على أن محاولات إقامة علم مستقل للثقافة، منفصل عن علم الاجتماع، قوبلت بغير قليل من النقد والاحتجاج، فالثقافة لا يمكن أن تدرس وتفهم بعيداً عن الظواهر الاجتماعية والنفسية الأخرى، فهي تؤلف مع هذه الظواهر كلاً وظيفياً متساندا(١).

الثقافة وعلم النفس:

من معاني لفظة ثقافة Culture الحراثة أو التثقيف أو الثقافة أو التهذيب أو مرحلة معينة من مراحل التقدم الحضاري أو هي الاستنبات أو الاستزراع أو نتاج ذلك. فالثقافة تشير إلى النمو والرقي والتحضر (المورد ص ٢٨٨) وفي بعض الدراسات النفسية التي تتطلب التعرف على تأثير الوراثة heredity فإن علماء النفس يستخدمون اختبارات متحررة من أثر الثقافة Culture free tests وذلك لضبط تأثير العوامل البيئية على السلوك المقاس Environmental factors (Perlman, D. and cozby .P.C. p 422)

وتهتم التربية بدراسة الثقافة وتفرد لذلك نمطاً من التعليم هو التعليم الثقافي Cultural education بقصد إثراء الثقافة وتنميتها وغرسها في النشء ولغرس مبادىء المواطنة الصالحة وهناك علم نفس العلوم الثقافية Citizenship cultural science psychology وهو عبارة عن مدرسة من مدارس علم النفس في أغلبها ألمانية يعتقد أنصارها بأن هدف علم النفس ليس شرحاً كما هو الحال في العلوم الطبيعية كالفيزياء ولكنه تفسيرياً كما هو الحال في العلوم الاجتماعية كالتاريخ مثلاً (English p. 133).

(١) محمد عاطف غيث واخرون، مرجعهم السابق.
(٢) أحمد زكي بدوي.
(٣) المجمع اللغوي.
(٤) عبد المنعم الحفني.
(٥) فرج عبد القادر طه وآخرون.

علم النفس والتنمية

في هذا البحث المتواضع محاولة لإبراز الدور الذي يمكن أن يقوم به علم النفس الحديث في معركة التنمية الشاملة، ونعني بها التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية. تلك التنمية التي لا تهتم بمنطقة دون أخرى، وإنما تهتم بالقرى كما تهتم بالمدينة. ومن الجدير بالتأكيد أن مسئولية التنمية الشاملة لا تقع على عاتق الدولة وحدها وإنما هي عملية مجتمعية تتضافر وتتعاون فيها جميع طبقات المجتمع وأفراده مع الدولة. وسوف يتضح للقارىء الكريم أن عملية التنمية تعتمد على مقومات سيكولوجية من بينها تعديل اتجاهات الناس نحو التنمية: فلسفة ومنهجاً وسلوكاً بحيث تصبح هذه الاتجاهات مؤيدة ومساندة للتنمية. تلك التنمية التي من أبرز خصائصها أنها عملية مستمرة متصلة، ذلك لأن المجتمعات الأخرى لا تقف ساكتة وإنما تلاحق الزمن في سعيها نحو التقدم والتنمية والازدهار. كذلك لا بد لمشروعات التنمية من نسق أخلاقي قويم يساندها ويؤازرها ويحمي عائداتها ومردوداتها ويحميها من براثن الفساد والتسيب والانحراف والرشوة والاختلاس والإهمال واللامبالاة. وتتضح أهمية علم النفس من حيث أن الإنسان هو صانع التنمية وهو أيضاً غايتها وهدفها الأسمى، وعلم النفس هو العلم الذي يهتم بصنع الإنسان المتكيف مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش في كنفه، والقادر على الإسهام الإيجابي والفاعل في معركة الإنتاج والتنمية والخلق والإبداع، والمهيىء للبذل والعطاء والمتحرر من الأمراض والأزمات والصراعات والتوترات تلك التي تمتص طاقته وتبدد جهده.

ويتضح دور علم النفس من حيث إقناع المجتمع باحتضان المشاريع التنموية والتحمس لها والدفاع عنها والاستفادة مما تقدمه هذه المشاريع من خدمات. فلقد كنا نرى في الماضي أن الدولة تنشيء المصحات والمستشفيات والوحدات الريفية فكان يهجرها ويقاطعها الناس. ويتدخل علم النفس من خلال وضع معالم الإدارة التنموية، تلك التي تتسم بالديمقراطية والشورى والتي يسودها جو من العلاقات الإنسانية والتي تشجع الأفراد على بذل أقصى ما يمكن أن يبذلوه من الجهد والعرق وهم راضون.

ونظراً لأهمية الدور الذي يمكن أن يؤديه علم النفس الحديث في مجال التنمية، تنمية الإنسان وتنمية المجتمع والتنمية الزراعية والصناعية والتجارية والاقتصادية والتربوية، فإن الباحث يقترح إدخال مادة علم النفس التنموي ضمن البرامج والمقررات الدراسية في أقسام علم النفس، كذلك يقترح أن يتم إنشاء مركز لبحوث التنمية يلحق بالجامعة ويعهد إليه دراسة مشاكل التنمية وأساليب تطوير الإدارة والإنتاج والتربية والعلاج.

دور علم النفس في الحياة المعاصرة

في هذا البحث ـ المتواضع ـ أتقدم باقتراح للمسئولين عن الدراسات النفسية في مصر والعالم العربي لإدخال مادة جديدة ضمن المقررات والبرامج الدراسية لطلاب علم النفس، تتناول ما يمكن أن نسميه علم نفس التنمية Psychology of Development مواكبة لتطور المجتمع. وليس ذلك بغريب على ذلك العلم الناشيء والوثّاب الذي أخذ في التطور السريع منذ انسلاخه عن أمه الفلسفة، ورغم حداثة تاريخه، إلا أنه سريع الخطى في مواكبة التطورات العملية والتكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التي تدور حوله في المجتمعات المحلية والعالمية. بل إنه كان وما يزال هو ذاته أحد أدوات المجتمع في التقدم والرقي والتحضر والتمدين Moderlization.

كما أتقدم باقتراح بإنشاء مركز لبحوث التنمية كوحدة مستقلة تابعة للجامعة تقوم بدراسة جوانب التنمية المختلفة.

اتساع آفاق علم النفس الحديث:

لقد امتدت الخدمات السيكولوجية لتشمل كافة جوانب الحياة العصرية، ولم تعد قاصرة على تقديم الرعاية للفئات الشاذة من أبناء المجتمع كالمرضى والجانحين والمجرمين وضعاف العقول[1] Abnormal groups.

وليس هناك أدل من مواكبة علم النفس واتسامه بالمرونة من إسهامه الإيجابي والفعال في الحربين العالميتين اللتين دارت رحاهما في هذا القرن، فنشأ وتطور وازدهر علم النفس الحربي أو العسكري Military Psychology إبان الحربين، وتتنوع الخدمات والأبحاث النفسية لتشمل: علم النفس التجاري، والتربوي، والاجتماعي، والفسيولوجي، وعلم نفس الحيوان، والإداري، والارتقائي، والقضائي، والمقارن، والصناعي أو المهني، علم النفس الجنائي، والاكلينيكي، وعلم نفس الطفل والمراهق ودراسات الشخصية، وعلم النفس القانوني، والإرشاد النفسي، وعلم النفس المعرفي، وعلم النفس الفارقي، والتجريبي، وعلم النفس العمالي والهندسي، وذلك إلى جانب تاريخ علم النفس ومدراسه ومناهج البحث فيه، والقياس وأدواته والإحصاء السيكولوجي وتقيناته..

علم النفس البيئي وعلم نفس الادمان:

ونضيف إلى ذلك علم نفس البيئة، ذلك الفرع الذي ظهرت الحاجة إليه بازدياد مشاكل البيئة وما أصابها من جراء التلوث Pollution والازدحام والضوضاء وبناء ناطحات السحاب والتكدس السكاني وما فيه من ضوضاء وتلوث الهواء والماء والتلوث النووي والتلوث بالضوضاء.

(التلوث مشكلة العصر للدكتور أحمد مدحت إسلام ـ عالم المعرفة ـ ١٩٩٠)

وفي ضوء المتغيرات الاجتماعية التي تطرأ على المجتمع العربي، يمكن إضافة

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، علم النفس في الحياة المعاصرة، دار المعارف بمصر، ١٩٨٦.

علم نفس الإدمان Psychology of Addiction نظراً لتفشي ظاهرة الإدمان وسقوط مئات الضحايا في مستنقع الإدمان وفي ظلماته.

وعلم النفس، شأنه في ذلك شأن شتى العلوم والمعارف الأخرى، لا يمكن أن يقف ساكناً حتى يتغير المنظر الاجتماعي من حوله ثم يأخذ في تطوير نفسه، إنما لا بد أن يكون للسيكولوجيين دور المبادأة وأخذ المبادرة في الدعوة للإصلاح والتطوير والتصدي لما يجابه المجتمع من المشكلات والأزمات والعمل على دراستها واقتراح الحلول الملائمة لها أولاً بأول.

وإذا كنا نجتاز مرحلة الصراع مع الزمن، ونلهث الأنفاس لكي نواكب ركب حضارة العصر، فلا يمكن أن تكون جهود علماء النفس ضرباً من الترف العلمي والاستغراق في النظر والتنظير، وإنما يجب أن توجه جهودهم، في المقام الأول لمعارك المجتمع وملاحم نضاله.

ولكي يتسنى للعلم القيام بخدمة المجتمع على الوجه الصائب لا بد من التعرف أولاً على أهداف المجتمع في الوقت الحاضر لأن ذلك يضيء الطريق ويوضح الرؤية أمام المشتغلين بالعلم في وطننا العربي الكبير لكي تتجه جهودهم وطاقاتهم نحوها.

أهداف المجتمع الراهنة:

لكل مجتمع، في كل حقبة من حقب التاريخ، أهداف أو أولويات يضعها نصب عينيه محاولاً تحقيقها، ونستطيع أن نقول إن مجتمعاً كالمجتمع المصري لا بد وأنه يستهدف ما يلي:

١ ـ تحقيق الرخاء وما يتبع ذلك من سداد المديونية، وتحسين ميزان المدفوعات، وزيادة الدخل القومي والفردي، ورفع مستوى معيشة الأفراد. . . إلخ.

٢ ـ تدعيم الديمقراطية فكراً وسلوكاً وإرساء مبادئها في الحرية والحق والعدل والمساواة والآخاء وتكافؤ الفرص والتعاون والمشاركة. . . إلخ.

٣ ـ صيانة السيادة والاستقلال وعدم التبعية السياسية أو الاقتصادية، ويتطلب ذلك

تحقيق القوة العسكرية والوطنية وتنويرها باستمرار واستنادها إلى قاعدة اقتصادية وسياسية واجتماعية وعلمية سليمة.

٤ ـ نشر العلم والقضاء على الأمية وتحقيق آمال الجماهير المتطلعة إلى الارتواء بماء التعليم العالي الذي تتخذ منه طبقات المجتمع، ولا سيما الطبقات الكادحة، مصعداً اجتماعياً ترتقيه للصعود دائماً إلى الطبقات الاجتماعية الأعلى، ولا شك أن التعليم في الوقت الحاضر مطلب اجتماعي ملح تصر عليه كافة طبقات المجتمع.

٥ ـ نشر الوعي الأمني والصحي والديني والخلقي، وتنمية القيم الإسلامية الخالدة في الحق والخير والجمال والعدل والإنصاف والشورى والبر والإحسان والأمانة والصدق والولاء والوفاء والتضحية والبذل والعطاء والاستشهاد... إلخ.

٦ ـ مواكبة حضارة العصر واللحاق بها ونقل التكنولوجيا المتقدمة واستيعابها، وعدم التخلف عن مسايرة العصربما فيه من علم وفكر مع المحافظة على ما لدينا من تراث وقيم ومبادىء نابعة من ديننا وتاريخنا وأمجادنا الخالدة بل العمل على إزكائها.

٧ ـ تحقيق مزيد من الأمن والاستقرار والقضاء على كل مظاهر الجريمة والإرهاب.

٨ ـ تحقيق مزيد من الوحدة الوطنية والتماسك الاجتماعي.

وسائل تحقيق أهداف المجتمع:

إذا كانت هذه أهداف مجتمعنا، أو بعضاً منها، فإن تحقيقها يتطلب اتخاذ العديد من الوسائل والإجراءات وانتهاج كثير من المناهج واعتناق الفلسفات المؤدية إلى تحقيق هذه الغايات، ومن ذلك الاهتمام بزيادة الإنتاج، وتحسين جودته، حتى يفي بالاحتياجات المتزايدة لأبناء المجتمع، وحتى يقوى على المنافسة في الأسواق العالمية. وفي سبيل تحقيق الاكتفاء الذاتي يلزم غزو الصحراء واستقطاع مساحات شاسعة من جوفها وضمها إلى الرقعة الخضراء، ومد أضواء العمران إلى أعماق الصحراء، ويتطلب غزو الصحراء هذه، من بين ما يتطلب تغيير اتجاهات الناس

العقلية نحوها. كذلك يتطلب اتباع سياسة فعالة في تحديد النسل وتنظيم الأسرة حتى لا تلتهم الزيادة المضطردة في إعداد السكان عوائد التنمية مردوداتها.

كذلك يتطلب هذا الهدف تغيير الأنماط الاستهلاكية لدى أفراد المجتمع واتباع أنماط أكثر توعية واقتصاداً، وغير ذلك من الوسائل والإجراءات التي تكفل تحقيق هذه الأهداف.

التنمية وسيلة المجتمع في تحقيق الأهداف:

ولا شك أن التنمية وخططها ومشروعاتها من بين الوسائل المهمة التي اتخذتها الدولة في كل مجتمعاتنا العربية سياسةً لها لتحقيق هذه الأهداف وغيرها وتتطلب التنمية تغييراً فكرياً وسلوكياً وإدارياً جـذرياً، وفوق كل ذلك تتطلب قيماً خلقية خاصة تكفل لها النجاح وتصون عائداتها. كذلك تتطلب التنمية استخدام العلم والتكنولوجيا في المشروعات العمرانية والإنتاجية المختلفة. وتحسين سبل الإدارة وإسهام آحاد الناس في مشروعاتها.

التنمية بمعناها الشامل:

التنميـة، بـداهـة، التطـويـر العمـدي المقصـود والهـادف، وتحسيـن الأشيـاء، والارتفاع بجودتها، أو إنشاء الأشياء الجديدة، والعمل على تقدمها وحسن تطورها، وازدهارها، ومن معانيها التوسع والامتداد، والكشف عما يكمن في باطن الأرض أو في سماء الوطن أو في مائة من خيرات واستغلالها أو ما يوجد من قوة وطاقات والعمل على تحسينها وجعلها تعطي أقصى ما تملك من خيرات. وتتضمن التنمية تقوية مصادر الخير والانتشار والنمو والتطوير وجعل الأشياء أو الأشخاص أكثر نضجاً وعمقاً وأكثر فهماً. وقد تعني التدقيق والضبط والتشغيل والاستعمال والاستكشاف وارتياد الأماكن المجهولة واكتشافها واستغلال الإمكانيات واستثمارها أو القدرات الكامنة وتتضمن معنى التعمير والتشييد، ونشر العمران في الأماكن الخالية، وكذلك عمليات التعدين أو استخراج المعادن من باطن الأرض، وتتضمن عمليات التنمة تحويل الأشياء من شكل إلى شكل آخر أكثر تطوراً كما هو الحال في الصناعات

البتروكيميائية. وعلى ذلك يمكن النظر للتنمية على أنها عملية تؤدي إلى تنمية الأشياء والناس. ويمكن النظر إليها على أنها نتائج هذه العملية، أي عملية التنمية، وقد تشير إلى عمليات التعديل والتغيير والتركيب أما ما يعرف باسم مناطق التنمية، وهي تلك المناطق التي يستشعر المجتمع أنها غير نامية، ولذلك يمد إليها يد العون في شكل مزيد من العمران والتصنيع.

وقد تتطلب عمليات تنمية المناطق المحرومة تقديم المساعدات للتدريب والتأهيل، وإعادة التأهيل للسكان وتحسين ظروف المعَيشة بما في ذلك من إمدادات المياه والإضاءة والنظافة وتعليم الحرف ونشر المهن والصناعات النافعة. ولقد تبينت المملكة المتحدة البريطانية حاجة بعض مناطقها إلى التنمية في وقت مبكر يرجع إلى عام (١٩٣٤ م). وفي عام (١٩٤٥) تحول إسم هذه المناطق من المناطق غير النامية إلى المناطق النامية بعد أن امتدت إليها يد التنمية والتعمير. ومن الوسائل التي استخدمتها إنجلترا لتنمية هذه المناطق تقديم العون والمنح والقروض لإنشاء المصانع الجديدة. والعمل التنموي، بمختلف أبعاده، ليس غريباً على أرض الإسلام، فلقد حرص الإسلام الحنيف على تنمية مواهب الفرد وقدراته وخبراته ومعارفه ومختلف قواه الجسمية، وتدعيم إيمانه بالله الخالق[1] وكذلك تنمية المجتمع الإسلامي وتقويته وتدعيمه.

الفرق بين التنمية والنمو الطبيعي:

التنمية من أكثر المفاهيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبشرية اتساعاً في عصرنا الحالي، ولا سيما في دول العالم الثالث التي اتخذت منها منهجاً للتقدم والرقي والتخلص من وهدة التخلف، واللحاق بركب حضارة العصر والتنمية لغة معناها (النماء) أي الازدياد التدريجي في الأجسام الحية. ويقال نما المال نمواً. ويستخدم اصطلاح التنمية بمعنى الزيادة في رفع مستوى المجتمع اقتصادياً واجتماعياً.

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والتنمية البشرية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ١٩٨٨.

وهنـــاك أنـــواع أو أبعـــاد مختلفـــة مـــن التنميـــة، منهـــا التنميـــة الاقتصـــاديـــة Economic Development ويختلف مدلول التنمية الاقتصادية عن النمو الاقتصادي Economic Growth الذي يشير إلى التقدم الاقتصادي التلقائي أو الطبيعي أو العفوي.

ويختلف مفهوم التنمية أو النماء عن مفهوم التغير، لأن التغير لا يؤدي، بالضرورة، إلى التقدم والارتقاء في المجتمع، كما هو الحال في حالة الحرب الذي يؤدي إلى تغيير أوجه الحياة في المجتمع، ولكن إلى الأسوأ.

أما النمو فيختلف عن مفهوم التنمية، لأنه قد يحدث بصورة تلقائية دون التدخل المعتمد من قبل المجتمع. والتنمية يقصد بها التدخل المقصود لتحقيق النمو بصورة سريعة الخطى في حدود فترة زمنية تحددها خطط التنمية، فزيادة السكان في مجتمع ما قد تنمو وتتزايد دون تدخل من قبل الدولة أو المجتمع. والحقيقة أن الفرق بين مفهوم النمو والتنمية كالفرق بين التطور وعملية التطوير المقصودة.

وبينما يحدث النمو من خلال تطور تدريجي بطيء، فإن التنمية تحتاج إلى دفعة قوية تحركها قدرات إنسانية خبيرة، تخرج المجتمع من حالة الركود إلى التقدم، كما أن الفرق بين التغير والتنمية يتمثل في أن التنمية يفترض سيرها في خط مستقيم صاعد يميزها عما كان، كما تفترض حكماً تقويمياً يصفها بأنها تسير إلى الأفضل، بعكس التغير الذي لا يفترض فيه الأحسن على طول الخط، وإنما قد يكون تغيراً إلى أسوأ[(١)].

والحقيقة أن التنمية عملية شاملة متكاملة تتضمن كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبشرية والقانونية والتعليمية والسياسية[(٢)] والأخلاقية.

وعلى ذلك فالتنمية لا تقتصر على مجرد تقديم الخدمات الاجتماعية. ويذهب بعض المفكرين إلى جعل موضوع التنمية من مهام العديد من العلوم الإنسانية كعلم

---

(١) زكي محمد إسماعيل، التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الرابع، ١٤٠٠ هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص ١٥٠.

(٢) المرجع السابق.

الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم السياسة والإدارة والطب الاجتماعي والزراعة وتخطيط المدن والدين والتربية ويغفلون بذلك فرعاً هاماً من العلوم الإنسانية ألا وهو علم النفس والدراسات النفسية التي تقوم بالنصيب الأكبر في إعداد أهم عنصر من عناصر العملية الإنمائية ألا وهو الإنسان نفسه. فيسعى هذا العلم للتعرف على طبيعة نموه، وأساليب تفكيره، وطرق إعداده، وتعليمه، وأساليب علاجه، وتحريره من المشكلات والأزمات. وتنمية قواه العقلية والنفسية والصحية وصقل شخصيته وتنمية سماته. ولذلك فإن لعلم النفس دوراً لا يقل عن العلوم الأخرى في معارك التنمية وفي تحقيق أهدافها إن لم يكن أكثر منها.

تعريف هيئة الأمم للتنمية:

ومهما تعددت مفهومات التنمية، فإنها تتفق في الهدف العام منها وهو تحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته، فالتنمية، وفقاً للمفهوم الذي تتبناه هيئة الأمم المتحدة، تشير إلى العمليات التي تؤدي إلى تقدم المجتمع اقتصادياً واجتماعياً، وذلك عن طريق تضافر الجهود الحكومية والشعبية. ويشار، أحياناً، إلى التنمية Development على أنها التغيير الاجتماعي Social Change الذي يتضمن إضافة أفكار جديدة إلى النظام الاجتماعي Social System بهدف تطوير أحوال الناس، وتوفير الخير الاجتماعي Social Wellbeing بينما يرى بعض مفكري التنمية أن التنمية عبارة عن زيادة فرص الحياة أمام الناس. ويهتم الفكر التنموي الحديث بتحقيق الرفاهة البشرية أو تحقيق الحياة الجديدة. وهناك أبعاد كثيرة لهذه السعادة منها البعد المادي، أو البعد الاقتصادي والبعد البشري أو البعد الإنساني، والبعد الاجتماعي، والبعد البيئي. ومؤدى هذا أن العملية التنموية عملية متعددة الأبعاد، حيث تتضمن البعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والبيئي.

جهود الدولة وجهود الأفراد:

ومن الجدير بالذكر أن نشر إلى مفهوم التنمية في إطار الفكر التنموء الشامل. فالتنمية (هي النمو المدروس على أسس علمية، والذي قيست أبعاده بمقاييس علمية

سواء كانت تنمية شاملة ومتكاملة أو تنمية في أحد الميادين الرئيسية مثل الميدان الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي أو الميادين الفرعية كالتنمية الصناعية أو التنمية الزراعية. . . إلخ[1].

ومن التعاريف التي قبلتها هيئة الأمم المتحدة في عام (١٩٥٦) للتنمية، ذلك التعريف الذي يعتبر التنيمة (العملية التي بمقتضاها توجه الجهود لكل من الأهالي والحكومة لتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمم والإسهام في تقدمها بأفضل ما يمكن[2].

والحقيقة أن مفهوم التنمية، بمعناها الشامل، لا ينتمي إلى علم واحد من العلوم، ولكنه يتطلب تضافر مجموعات من العلوم والتخصصات الحديثة. ويعتبر الإنسان الهدف الرئيسي للتنمية الاجتماعية. كذلك فمما لا شك فيه أن العنصر البشري هو أقصى العناصر المؤثرة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهو العنصر الذي يساعد على تحقيقها، وهو أيضاً الهدف الذي توجه التنمية من أجله[3].

ومن تعاريف التنمية، بصفة عامة، أنها التحريك العلمي، المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال إيديولوجية معينة لتحقيق التغير المستهدف من أجل الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة يرجى الوصول إليها. وترتبط التنمية من حيث أهدافها وتصوراتها وعملياتها بالإطار الفكري للمجتمع[4].

وعلى الرغم من أن التنمية عملية موحدة تسعى لأحداث تغير كمي ونوعي في المجتمع على مراحل زمنية مخطط لها، إلا أنه قد جرى العرف على تقسيمها إلى تنمية اجتماعية وتنمية اقتصادية، ويمكن إضافة أقسام أخرى كالتنمية البشرية.

---

(١) عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، «مدخل الإسلامي» مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٢.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.

قصور التنمية الاقتصادية وحدها:

والحقيقة إن مفهوم التنمية هو نفسه قد نما وتطور واتسعت آفاقه. والمأمول أن تزداد دائرة هذا الاتساع. فلقد نشأت الدراسات التنموية، أول ما نشأت، في الإطار الاقتصادي، حيث استهدفت التعرف على الأساليب التي أدت إلى تغير شكل الحياة في المجتمعات الأوروبية من نظام الإنتاج التقليدي المتخلف إلى نظام الإنتاج الراقي والمتطور. ولقد كان، في الماضي، يسود الاعتقاد بأن التنمية الاقتصادية التي تتمثل في رفع مستوى دخل الأفراد، كفيلة وحدها لتحرير الناس من مشاكلهم الاجتماعية والسياسية والتعليمية. . . إلخ، وكان مما يساق في تأييد هذا الرأي الاستشهاد بالثورة الصناعية الأوربية التي أدت إلى انخفاض معدلات الوفيات، وارتفاع متوسط عمر الفرد، وتحسين الغذاء، وارتفاع مستوى الدخل الفردي، وزيادة عدد المساكن الصحية وما إلى ذلك.

والحقيقة التي كشفت عنها دراسات كثيرة، أن التكنولوجيا فشلت في حل مشكلة الإنسان الأوربي، فلقد حدث تطور كبير في جانب واحد من حياة المجتمع، وهو الجانب المادي أو التكنولوجي، ولم يواكبه تقدم في الجوانب المعنوية والقيم الأخلاقية. ومن ذلك أن انتشار الآلة أدى إلى انتشار البطالة التي أدت، بدورها، إلى العديد من الأمراض الاجتماعية الخطيرة. ونتج عن الثورة الصناعية، كذلك، ضعف الروابط الأسرية، وضعف سلطان الرجل، ونزول المرأة لميدان العمل الخارجي، ومن ثم قلت الرعاية الوالدية للأبناء مما كان له أسوأ الأثر في التنشئة الاجتماعية ومن هنا يتضح ضرورة مواكبة التنمية الاجتماعية للتنمية الاقتصادية. فالتنمية الاقتصادية، وحدها، تشبه الآلة التي لا تجد من يديرها من القوى البشرية، كما تشبه التنمية الاجتماعية التي لا تجد سنداً اقتصادياً المخبز الذي لا يوجد به دقيق.

بل إن تضافر العناصر الاقتصادية والاجتماعية لا يكفي لتحقيق التنمية الشاملة «إلا إذا كان المجتمع النامي نفسه متمتعاً بالحساسية الأخلاقية النابعة من أداء الواجب للواجب، ومراعاة الضمير، والبعد عن السلبيات العديدة التي تنخر في عملية التنمية نخر السوس في العظام المتهالكة، كالانتهازية، والأنانية، والوصولية، والرشوة،

وعدم تقدير المسئولية، والبحث عن الثراء الحرام، والانحرافات الجنسية وقضايا الفساد والتسيب، فتلك سلبيات لا يمكن أن تتحقق معها تنمية مجتمع ما مهما توافرت له سائر العناصر الاقتصادية والاجتماعية[1].

فالتنمية الاقتصادية، مهما بلغت دقة الأدوات المستخدمة فيها لا بد لها من تحريك النظم الاجتماعية والإدارية وترشيدها، ولا بد من الوعي ونشر روح تحمل المسئولية وتنمية قدرة الأفراد على استيعاب التكنولوجيا ومستحدثاتها الجديدة، وحسن استخدامها. ولا بد من توفر العلاقات الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، التي تكفل إشراك الناس في التخطيط التنموي، والتنفيذ والمتابعة، واتخاذ القرارات والإشراف، ثم الانتفاع الأمثل بثمرات التنمية.

أهمية العنصر البشري:

ومهما اختلف العلماء حول أهمية العنصر الاقتصادي والاجتماعي فإنه يمكن القول بأن قيمة العنصر البشري في التنمية لا يماثلها أية قوة أخرى، لأن الإنسان هو صانع التنمية، وليس العكس، والإنسان المشار إليه هنا هو ذو الكفاية الإنتاجية والأخلاقية المرتفعة والذي ينال قسطاً وافياً من التعليم، ويتمتع بصحة جيدة، وتتوفر له وسائل الحياة الآمنة في حاضره ومستقبله[2].

ولقد بلغ من تقدير أهمية العلم في التنمية أن قال أحد علماء الاقتصاد وهو (مارشال) أن فئة متعلمة من الناس لا يمكن أن تعيش فقيرة، ذلك لأن الإنسان بالعلم والمعرفة والوعي والطموح والقدرة على العمل والإنتاج والإبداع، يستطيع أن يسخر كل قوى الطبيعة ومصادرها وكل ما في باطن الأرض، وما فوقها لصالحه، والارتفاع بمستوى معيشته، وتوفير الحياة الكريمة له»[3].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر ص ١٥٤.

(٣) نفس المصدر ص ١٥٤.

وإذا كان علماء الاقتصاد يركزون، في عملية التنمية، على الاقتصاد والتكنولوجيا، إلا أن علماء الاجتماع، يرون أن أساس العملية التنموية ينبع من العنصر الإنساني أساساً، من حيث المهارات والخبرة والمستوى التعليمي، وإعداد البرامج وتخطيط الأهداف وتقدير الحاجات والاحتياجات، من منطلق موضوعي مدروس»[1].

ويشاركهم في ذلك رجال الدين الذين يرون أن التنمية الاجتماعية يجب أن تهتم أولاً بالمحافظة على كرامة الإنسان، باعتباره خليفة الله في الأرض. ويرون أن أساس التنمية هو التعاون المثمر لخير المجتمع ونفعه ومن هنا كان الأبد للتنمية، في نظرهم، أن تقوم على أساس المشاركة والشورى وتستهدف التنمية استخلاص ما في الأرض من خيرات وثمار، وأن العمل التنموي يقوم على الاتقان والتحسين والتجويد والإجادة.

ومن خصائص العملية التنموية أنها مستمرة ومتصلة ومتجددة، ذلك لأن طموحات الإنسان لا تعرف الحدود. وإذا كانت التنمية ضرورية في كل المجتمعات، فهي أكثر ضرورة في المجتمعات الفقيرة حتى تتخلص من الفجوة التي تفصل بينها وبين دول العالم المتقدم.

أهداف التنمية:

للتنمية أهداف متعددة، وتؤدي هذه الأهداف إلى نجاح التنمية ويمكن تحديد أهداف تنمية المجتمع فيما يلي:

١ ـ استثمار الموارد البشرية أو القوى البشرية في المجتمع وتنميتها.

٢ ـ تحسين المستوى المادي للمجتمع وأفراده[2].

وهكذا يتضح لنا أن التنمية هي فلسفة المجتمعات النامية المعاصرة وهي سبيلنا الأوحد في التطور والقوة والمنعة.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) عبد الهادي الجوهري، مرجعه السابق.

الفصل الثاني

دور الوعي السيكولوجي في
مكافحة الجريمة والإرهاب والإدمان

- دراسة ميدانية حول استصار الشباب للارهاب
- أدوات البحث
- عينة البحث
- مفهوم الإرهاب
- مفهوم الشباب وتصوراتهم وتعريفاتهم للإرهاب
- الخطورة النسبية للإرهاب، والتطرف، والعنف
- الأضرار الناجمة عن الإرهاب
- الإرهاب جريمة ضد أمن المجتمع واستقراره
- الأسباب المؤدية للإرهاب
- الاتجاه العام نحو استنكار الإرهاب
- انتشار المخدرات بين الشباب «الأسباب والأعراض»
- الإدماء يسبب الجنون

دراسة ميدانية حول استبصار الشباب للارهاب

مقـدمـــة:

الإرهاب يمثل مشكلة اجتماعية وسياسية وأمنية واقتصادية لكثير من المجتمعات إن لم يكن في كل المجتمعات التي أصبح يوجد بها لون أو آخر من ألوان النشاط الإرهابي بدرجات وكثافة مبتاينة، وتختلف معدلاته في ذات المجتمع باختلاف العصور وفي الآونة الأخيرة لوحظ زيادة معدلات السلوك الإرهابي في عدد من المجتمعات العربية من بينها المجتمع المصري[١] ويعد الإرهاب مشكلة خطيرة جديرة بأن نوجه إليها الاهتمام والدراسة والبحث العلمي، لمكافحة وحماية المجتمع من أخطاره وزيادة انتشاره وتبدو أهمية العلم والمنهج العلمي، إذا علمنا أن الإرهابيين يستخدمون أنفسهم أساليب متطورة في ارتكاب جرائمهم، وفي الهروب من قبضة العدالة، وبعضها يخضع لدرجة من التخطيط والتنظيم، والبعض الآخر يتخذ شكل السطو[٢] المسلح الجماعي أو الهجوم والاعتداء على الأفراد وعلى المنشآت وخاصة رجال الأمن، يضاف إلى ذلك أن النشاط الأمني أصبح يعتمد على المناهج العلمية في

---

(١) وقعت بعض الجرائم الإرهابية في كل من مصر والجزائر في الآونة الأخيرة من أظهرها الاغتيالات السياسية والاعتداء على رجال الشرطة وضرب السياح إلى جانب الاعتداء على أندية الفيديو وعلى بعض الأقباط.

(٢) من ذلك قيام مجموعة إرهابية مرتدية زي الشرطة ومسلحة بالرشاشات في السطو المسلح على أحد محلات الذهب بحي عين شمس للحصول على الذهب لتمويل عمليات الإرهاب من ريعه.

ضبط الجريمة ومكافحتها[١] ومن منطلق الاهتمام العلمي بمشكلة الإرهاب نبعت فكرة هذه الدراسة الحالية بغية إلقاء بعض الضوء على ما يدور في أذهان الشباب حول الإرهاب والتعرف على مرئياتهم حياله، والأسباب التي تؤدي إليه والعوامل التي تؤثر فيه ومرئياتهم بشأن الآثار الناجمة عن ممارسة الإرهاب أو تفشيه في المجتمع ومن واقع حياتهم أي الشباب ما الذي يقدمونه من اقتراحات وآراء لمكافحة الإرهاب والوقاية منه وعلاج الإرهابيين، الذين تورطوا بالفعل في جرائم إرهابية[٢].

أهداف الدراسة:

استهدفت الدراسة الاستطلاعية الحالية إلقاء الضوء على النقاط الآتية:

١ ـ التعرف على مفهوم الشباب أو تصوراتهم وتعريفهم للإرهاب في المجتمع في الوقت الحاضر أي التعرف على طبيعة الإرهاب[٣].

٢ ـ إلقاء الضوء على الأضرار التي يرى المشاركون في الدراسة أنها تنتج عن الإرهاب في «جميع الحالات»[٤].

٣ ـ إلقاء الضوء على اتخاذ الجماعات الإرهابية الدين ستاراً لما ترتكبه من جرائم ضد أمن المجتمع وسلامته.

٤ ـ التعرف على تقدير الشباب لمدى الخطورة النسبية لكل من الظواهر السلبية الآتية:

أ ـ الإرهاب　　ب ـ التطرف　　جـ ـ العنف

---

(١) يتبنى «المفهوم العلمي للأمن» المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب التابع لجامعة الدول العربية بالرياض وله العديد من المؤلفات والبحوث القيمة التي تدعم هذا المفهوم إلى جانب التصور الشمولي للأمن.

(٢) دائماً تسير عمليات مكافحة الجريمة في شقين هما الوقاية والعلاج.

(٣) قصد بذلك التعرف على طبيعة الإرهاب من منظور الشباب وهو المنظور الواقعي التابع من الحياة الواقعية والاحتكاك المباشر بالإرهاب أكثر من كونه تعريفاً أكاديمياً نابعاً من التراث العلمي.

(٤) تعمدت الدراسة الحالية التعرف على ما ينتج عن الإرهاب من أضرار لا في المجال السياسي وحسب، وإنما في جميع المجالات بما في ذلك حياة الأفراد والجماعات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأسرية، وذلك تعميقاً لإحساس المشاركين في الدراسة بأضرار العمليات الإرهابية تلك الأضرار التي تنعكس على حياتهم الشخصية الأمر الذي يؤدي إلى استنكار كل المجتمع للنشاط الإرهابي ونبذه، ولقد حدث ذلك بالفعل.

بمعنى أيهما أكثر خطورة وأيهما يليه في الخطورة على حياة المجتمع، وذلك للحصول على حكم مقارن لخطورة كل من الإرهاب والتطرف والعنف[1].

٥ ـ إلقاء الضوء على مقولة أنه لا يوجد لدينا في الوقت الحاضر إرهاب حقيقي «كظاهرة عامة» ومقولة إن ما يحدث إنما هو مجرد جرائم فردية تمارسها قلة[2].

٦ ـ التعرف على العوامل التي يراها أفراد عينة البحث تؤدي إلى الإرهاب في المجتمع في الوقت الراهن، أي المسببات أو العوامل السببية أو دوافع السلوك الإرهابي.

٧ ـ هناك فرضية تقول إن الإرهاب الحالي يرجع إلى أما إلى:

أ ـ تحريض بعض الدول علينا، على اعتبار أن هناك من يتربصون بالإسلام والعروبة أو بمصر، ويستهدفون تدمير القوى الإسلامية والعربية في أي مكان أو آن.

ب ـ المسئول عن الإرهاب هم القلة الإرهابية المصرية وحدها.

٨ ـ تصور الشباب لشخصية الإرهابي، وعما إذا كان مختل العقل أو مريض عقلياً أو نفسياً أم لا؟

٩ ـ ومهما كان مبلغ استنكار الغالبية الساحقة من أفراد المجتمع للإرهاب، فهل يعتقد المشاركون أن هناك قلة بسيطة تؤيده أم أن جميع الناس تعارضه.

١٠ ـ إلقاء الضوء على موقف الشباب القاطع أو الرافض رفضاً كلياً للإرهاب تحت كل الظروف.

١١ ـ إلقاء الضوء على مقترحات أفراد العينة للقضاء على الإرهاب في بلادنا.

---

(١) رؤى التعرف على أن الانحرافات (الإرهاب والعنف والتطرف) أكثر خطورة في نظر الشباب، حتى يصبح الأكثر خطورة بؤرة اهتمام الدولة والمجتمع لتوجه إليه العناية والجهود والأموال الكافية لمكافحته والوقاية منه وإعطائه الأولوية.

(٢) وذلك بقصد التعرف على شعور الشباب نحو الإرهاب، وإذا لم يكن قد وصل في تصورهم إلى حد «الظاهرة العامة» ففي ذلك أبلغ الرد على أعداء المجتمع الذين يروجون للإرهاب ويبالغون في ضخامته وفي تصوير المجتمع على أنه قد اهتز من جراء انتشار الإرهاب وتفشيه فيه.

أداة البحث

اعتمدت هذه الدراسة على إجراء مقابلات شخصية مع عدد من الشباب الجامعي وغيرهم من الخريجين ومناقشتهم في قضية الإرهاب، والتعرف على انطباعاتهم حيال هذه المشكلة، من حيث أسبابها ومحركاتها، وآثارها وكيفية معالجتها.

وإلى جانب هذه المقابلات الشخصية صمم الباحث استبانة للحصول على المعطيات التي تخدم أغراض الدراسة وتحقق أهدافها تكونت من (١٢) مفردة بعضها مفتوح النهاية لإعطاء الحرية للمشارك للتعبير الحر الطليق عن آرائه ومشاعره وانطباعاته ومرئياته حول قضية الإرهاب، وبعضها متعدد الاختيارات وخاصة فيما يتعلق بوسائل مكافحة الإرهاب والوقاية منه.

عينة البحث

طبقت هذه الدراسة على عدد كبير من الشباب الجامعي وخريجي وطلاب الدراسات العليا ممن تراوحت أعمارهم ما بين ١٩، ٣٨ عاماً وبلغ المتوسط الحسابي لعمر العينة (٢٧,٨) عاماً، وتضمنت عدداً كبيراً قوامه (٩٥٠) شاباً وشابة من منطقة الاسكندرية.

مفهوم الارهاب

تشتق كلمة الإرهاب من الفعل Terror ومن جناية إثارة الرعب والذعر والفظاعة أو الهول والهلع وإثارة الرعب في نفوس الناس والقلق وترويع الناس الآمنين وإزعاجهم وإثارة القلق في نفوسهم وزعزة شعورهم بالأمن والآمان والاستقرار والثقة.

والإرهاب كمذهب Terrorism فيشير إلى الذعر الناشيء عن ممارسة الإرهاب. ومن معاني الإرهاب قيام الشخص الإرهابي Terrorist بترويع الناس وإكراههم على أمر ما بطريقة الإرهاب أي إخضاع الناس لإرادة الإرهابي وهي إرادة شاذة ولا شك[1] ومنحرفة والإرهابي مجرم خارج على القانون وعلى الجماعة التي ينتمي إليها. فالإرهاب جريمة كبرى ذات آثار عامة وشاملة ومروعة ومن هنا يختلف الإرهاب عن الجريمة العادية لاتساع مدى آثاره المؤذية على الناس كافة أو على قطاع كبير منهم.

وممارسة الإرهاب تسبب في الناس الشعور بالخوف الشديد والرعب والأهوال والفزع وتوقع الخطر في أية لحظة دون أدنى سبب فالإرهاب يخلق شعوراً بعدم الأمان ويشعر الفرد بأن الإرهاب قد يلحقه أو أبنائه أو زوجته، وقد ينال من عرضه أو شرفه فقد يصبح أي منا ضحية للإرهاب بلا أدنى مقدمات.

فالإرهاب يثير الرهبة، ويتوعد الناس بالشر والأذى والانتقام والإرهابيون يسلكون طريق العنف في المجتمع، وذلك لتحقيق أهداف غير مشروعة في السياسة والاقتصاد أو الدين.

والإرهاب مرض من الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي تؤذي الأفراد والجماعات والشخص الإرهابي مختل، من الناحية النفسية، وبعيد عن السواء والحكمة والاتزان والتعقل وبعيد عن الالتزام واحترام القانون. وهو شخص أناني لا يقيم وزناً لحياة الناس الأبرياء ولا بد أن في حياته الأولى من الخبرات ما جعله يسقط في مستنقع الإرهاب ويمارسه فقد يكون فاشلاً أو تربى على الحرمان والإجرام ولم يجد في سن طفولته من يقوم على تنشئته تنشئة سياسية واجتماعية وأخلاقية ودينية سوية، وافتقر بالضرورة إلى المثال الطيب والقدوة الحسنة، ولا بد أن شعوره بالنقص الداخلي هو الذي يدفعه للإعلان عن نفسه ولفت الأنظار إليه، ولكن للأسف بصورة إجرامية وشاذة ومنحرفة[1].

---

(١) يعتزم الباحث، بعون الله تعالى، إجراء دراسة أكثر عمقاً في موضوع الإرهاب وشخصية الإرهابي ودوافعه.

ولمواجهة الإرهاب الحالي يتعين تغليظ العقوبات الرادعة والحسم في تنفيذها فورياً. مع قيام الحملات الوطنية لعزل الإرهابيين وشجب عدوانهم واستنكار سلوكهم الإجرامي.

الشخص الإرهابي يعتقد في استخدام العنف لحقيق مآربه وفي الغالب ما يكون ذلك في إطار أيدولوجية معينة. ولكن كشفت الحالات الإرهابية في مصر أنها عديمة الفكر وإجرامها عبارة عن طياش مدفوع الأجر وخيانة للوطن وليس ورائه أيدولوجية فكرية مفهومة.

عرض النتائج وتحليلها:

تم تحليل استجابات المشاركين على جميع مفردات الاستبانة المستخدمة في الدراسة وتم إيجاد تكرارات الموافقة ونسبتها المئوية ورؤى لاكتفاء بهذا الأسلوب من التحليل على اعتبار أن لهذه الدراسة طبيعة استطلاعية لكشف ما يدور في أذهان الشباب عن قضية من أخطر القضايا التي تجابه المجتمع في الوقت الراهن.

مفهوم الشباب وتصوراتهم وتعريفاتهم للارهاب

كشف تحليل السؤال مفتوح بالنهاية الخاص بهذه الجزئية عن تنوع التعاريف التي تدور في أذهان الشباب عن الإرهاب واتساع أفق تصوراتهم عنه، بحيث أمكن تحديد عشرين مفهوماً كان أكثرها أن الإرهاب «اعتداء على أرواح البشر، وتدمير المجتمع الذي يأمرنا بالبعد عن التطرف». أو أنه «عملية إجرامية يقوم بها قلة من أفراد ليس لديهم أي مبدأ بهدف وضع البلاد في حالة توتر دائم» أو أنه «كل الأعمال الإجرامية وغير المشروعة والتي تدمر المنشآت وتؤثر على اقتصاد البلد». بحركات ضد المجتمع مثل الحريق والتدمير.

وتكشف تصورات الشباب عن الخصائص الآتية للإرهاب:

١ ـ إنه يتضمن إزهاق أرواح الناس الأبرياء.

٢ ـ يؤدي إلى تدمير المنشآت وهدم الاقتصاد.

٣ ـ تكشف التعاريف عن إدراك أفراد العينة للطبيعة الإجرامية للسلوك الإرهابي وعدم مشروعيته.

٤ ـ اتخاذ الإرهاب للدين ستاراً، حيث يتستر الإرهابيون وراء دعاوي دينية، في حين أن الدين بريء كل البراءة من[١] كل مظاهر العنف والإرهاب والتطرف.

٥ ـ ترى العينة إن الإرهاب يرتبط بالتطرف والعنف والتعصب السياسي أو الديني.

٦ ـ إنه ينال من الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع.

٧ ـ إنه ناتج من تحريض بعض الدول علينا.

٨ ـ إنه سلوك معادي ومضاد لقيم المجتمع.

٩ ـ إنه بعيد كل البعد عن المبادىء الإنسانية، إذ يتضمن القتل والحرق والتخريب والتدمير.

١٠ ـ تقوم به قلة لتثير المتاعب والشغب والفزع والرعب والقلق والتوتر في نفوس الناس.

١١ ـ الإرهاب يهدد ما نتمتع به من «الحريات»[٢] وهو ضد الدين وعبارة عن تعدي على حقوق الغير.

١٢ ـ قد يرجع الإرهاب لوجود معتقدات خاطئة[٣] في ذهن مرتكبيه، وقد يكون تنفيساً «مرضياً» عن مشاعر مكبوته نتيجة لأوضاع يعتقد الإرهابيون أنها موجودة في النظام وإنها خاطئة.

---

(١) من الحقائق الدافعة أن ديننا الإسلامي لا يقر العنف ولا التطرف ولا التعصب ولا الإرهاب أو القتل وسفك الدماء وإنه يقوم على التسامح والجدال بالحسنى ويدعم السلام العالمي والسلام الاجتماعي.

(٢) هذا الإحساس من قبل الشباب له ما يبرره، إذ قد يضطر المجتمع لمواجهة الإرهاب إلى قمع الحريات وبسط نظام الدولة البوليسية وفعلاً كانت هذه الفكرة معروضة فعلاً ولكن رفضتها القيادة العليا في مصر.

(٣) الإرهابي ما لم يكن مأجوراً فلا بد أن ذهنه يمتلىء بالأفكار الخاطئة التي تدفعه لارتكاب الجريمة.

جدول[1] يوضح استجابات المشاركين على المفردة رقم (١) والمعبرة عن تعريفاتهم وتصوراتهم للإرهاب في المجتمع. نسب مئوية

مسلسل تعريف الإرهاب في نظر المشاركين	نسب مئوية
١ ـ إنه اعتداء على أرواح البشر وتدمير المجتمع الذي يأمرنا بالبعد عن التطرف.	٨,٤٢
٢ ـ عملية إجرامية يقوم بها قلة من أفراد، ليسوا لديهم أي مبدأ بهدف وضع البلاد في حالة قلق وتوتر دائم.	٧,٣٦
٣ ـ الإرهاب هو كل الأعمال الإجرامية وغير المشروعة، والتي تدمر المنشآت وتؤثر على اقتصاد البلد.	٧,٣٦
٤ ـ الإرهاب هو عبارة عن مجموعات متطرفة تتخذ الدين ستاراً لها لارتكاب جرائم لا تمت للدين بأية صلة.	٦,٣١
٥ ـ عبارة عن بلبلة وعدم استقرار، وخسارة مادية للدولة من ناحية السياسة والاقتصاد.	٦,٣١
٦ ـ الإرهاب هو من تحريض بعض الدول علينا لهدم نظام المجتمع.	٥,٢٦
٧ ـ الإرهاب هو كل تصرف وفعل أو قول يعارض أو يعادي قيم المجتمع ويؤثر على استقراره.	٥,٢٦
٨ ـ الإرهاب نوع من التطرف والعنف بطريقة غير شرعية.	٥,٢٦
٩ ـ هو مجموعة من العمليات المنافية للمبادىء الإنسانية من قتل وحرق وتخريب.	٤,٢١
١٠ ـ الإرهاب نوع من التعصب سواء كان تعصباً دينياً أو سياسياً.	٤,٢١
١١ ـ الإرهاب هو أعمال عنف يقوم بها أفراد من المصريين وغير المصريين يكون نتيجتها عدد من الخسائر للأفراد والمنشآت.	٤,٢١
١٢ ـ قلة من الناس تثير المتاعب وتثير الشغب.	٤,٢١
١٣ ـ الإرهاب هو عدم شعور الفرد بالأمن والأمان وتهديد حياة الأسرة.	٣.١٥

١٤ ـ نوع من التطرف والتعصب لا يمت بأية صلة للدين الإسلامي. ٣,١٥

١٥ ـ الإرهاب هو الخروج على القواعد الشرعية والابتعاد عن العرف والتقاليد التي اعتاد عليها المجتمع الشرقي. ٣,١٥

١٦ ـ الإرهاب هو بعض الأعمال التي تهدد حريتنا وهي أعمال ضد الدين. ٢,١٥

١٧ ـ الإرهاب تنفيس لمشاعر مكبوتة نتيجة لأوضاع خاطئة يرونها في نظام الحكم في الدولة. ٢,١٠

١٨ ـ قيام بعض الناس بالتعدي على حقوق الغير وحريته. ٢,١٠

١٩ ـ الإرهاب هو وجود معتقدات خاطئة في فكر الشباب. ٢,١٠

٢٠ ـ هو القيام بحركات ضد المجتمع مثل الحريق، وتدمير الأفكار. ١,٠٥

٢١ ـ الإرهاب ظاهرة إجرامية بحتة تحيط كل الشعوب وليس في مجتمعنا فقط. ١,٠٥

٢٢ ـ الإرهاب نوع من الاعتداء ليس له معنى إلا أنه نوع من الإجرام. ١,٠٥

٢٣ ـ الإرهاب تفجير لطاقات الشباب الذي يشعر بالفراغ والبطالة وسوء التربية. ١,٠٥

٢٤ ـ هو مزيج من الجهل والفقر والمرض النفسي والعضوي علاوة على ذلك سوء التنشئة الاجتماعية. ١,٠٥

٢٥ ـ الإرهاب من الأمور السلبية في المجتمع فهو عنف وتطرف ودمار. ١,٠٥

٢٦ ـ الإرهاب هو سلوك لا إنساني ينفرد به قلة انتزعت منهم مشاعر الإنسانية. ١,٠٥

٢٧ ـ الإرهابي شخص يرى نفسه على الصواب وكل الآخرين خاطئين. ١,٠٥

٢٨ ـ الإرهاب هو الخروج عن القانون وهو صورة من صور الكفر والتعدي على حدود الدولة. ١,٠٥

الخطورة النسبية «للارهاب» و «التطرف» و «العنف»

إذا كان من المسلم به أن كلاً من الإرهاب والتطرف والعنف من الأمور السلبية في المجتمع، فأيها أكثر خطورة، لقد طلب من المشاركين ترتيب هذه السلوكيات السالبة حسب شدة خطورتها في نظرهم وتم حساب المتوسط الحسابي لهذه الخطورة باستبدال مستويات الخطورة اللفظية الآتية:

بالدرجات من ٣ ـ ١ على النحو الآتي:

أ ـ الأكثر خطورة = ٣ درجات.

ب ـ يليه في الخطورة = ٢ درجتان.

جـ ـ الثالث في الخطورة = ١ درجة واحدة.

ووجدت المتوسطات الحسابية (م) الآتية الدالة على جسامة الخطورة[1] النسبية:

م. الإرهاب = ٢,٥٥

م. التطرف = ١,٧٨

م. العنف = ١,٦٥

فالإرهاب أكثر خطورة على حياة المجتمع: أفراداً وجماعات عن التطرف الذي يقع في المرتبة الثانية، وذلك لأن التطرف الفكري قد يقود إلى السلوك الإرهابي ويرتبط به ويأتي في المرتبة الثالثة، من حيث الخطورة، العنف. فالإرهاب أكثر هذه السلبيات، في نظر المشاركين، خطورة، ومن ثم وجبت مكافحته بكل الطرق العلمية والأمنية، ووجبت الوقاية منه باقتلاع جذوره، وكشف أسبابه وعلاجها، حتى لا يسقط أي من شبابنا في مستنقع الإرهاب وبراثن الجريمة عامة.

---

(١) السيد محمد خيري، الإحصاء في البحوث النفسية والاجتماعية والتربوية دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧ م.

إلى أي مدى يتخذ الارهابيون من الدين ستارا لأعمالهم الارهابية؟

لإلقاء الضوء على ما يتصوره المشاركون في هذا الصدد تم توجيه المفردة الآتية: «٣ اعتقد أن الدين الإسلامي بريء كل البراءة من أي مظهر من مظاهر الإرهاب». ذلك لأنه لوحظ إن الإرهابيين يتسترون وراء الدين في تبرير اعتداءاتهم، مثلاً على السياح بالقول بأن السياحة محرمة دينياً أو ما يذهبون إليه من تكفير المجتمع كله بحجة عدم تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض الأحكام.

لقد جاءت النتيجة قاطعة وحاسمة في رفضها لارتباط الدين الإسلامي بأي مظهر من مظاهر العنف، وإنه بريء كل البراءة من أي مظهر من مظاهر الإرهاب. لقد أجابت بالإيجاب على هذا السؤال الغالبية الإحصائية العظمى والتي بلغت (٩٨,٩٤٪) من المجموع الكلي لأفراد العينة. فالتصور العام والواضح في أذهان الشباب إن ما يدعيه الإرهابيون محض افتراء على الدين، وإن الدين بريء من كل مظاهر الإرهاب بل على العكس من ذلك يحفل تراثنا الإسلامي الخالد بكل مبادىء التسامح والسلم والسلام والمودة والمحبة والتآخي والتماسك والتكافل والتساند والتعاون والتراحم وصلة الأرحام والعطف والشفقة والرحمة والمسالمة والطاعة واحترام حقوق الناس وصيانة أرواحهم وعدم إزهاقها وتقدير المصلحة العامة والإيثار، وإماطة الأذى عن الطريق ونبذ العنف الذي لا يكون في شيء إلا شأنه والدعوة للحلم الذي لا يكون في شيء إلا زانه مع الدعوة للحوار بالحسنى. وفي هذا الصدد يقال إن هدف الإرهاب هو الاستيلاء على الحكم[١].

---

(١) صحيح البخاري وصحيح مسلم والترمذي ومنهاج المسلم لأبي بكر جابر الجزائري.

(١) عبد الستار الطويلة، أمراء الإرهاب، كتاب اليوم، القاهرة، ١٩٩٣ م.

هل ما وقع في المجتمع المصري في الآونة الأخيرة يشكل ظاهرة إرهابية عامة أم أنه مجرد جرائم فردية ترتكبها فئة قليلة من الشباب؟

لقد عالجت المفردة رقم (٦) من الاستبانة هذه القضية إذ نصت على ما يلي: «هل تعتقد أن لدينا إرهاب حقيقي في الوقت الحاضر أم أنها مجرد جرائم فردية»؟

لقد أسفر تحليل هذه المفردة عما يأتي:

أ ـ لدينا إرهاب حقيقي (٢٧,٣٦٪)

ب ـ مجرد جرائم فردية تمارسها قلة (٧٢,٦٤٪)

وتدل هذه النتيجة، دلالة واضحة، على أن ما يحدث في المجتمع المصري إنما هو مجرد جرائم فردية تمارسها قلة، وإنها لا تشكل أو تمثل ظاهرة عامة. وتدعو هذه النتيجة إلى الاطمئنان وإلى الثقة في استقرار المجتمع وأمنه، وإن ما يجري في أذهان الشباب ينبىء بأن المجتمع ما يزال بخير، وفي ذلك أبلغ الرد على الهيئات والجهات التي تبالغ في إذاعة أبناء الإرهاب وتضخيم من شأنه، بقصد تشويه صورة المجتمع المصري، في نظر الغير لمحاربته اقتصادياً وسياسياً، ودفع السياح والمستثمرين لتحاشي القدوم إلى مصر. ولكن الشباب المشاركين، هم يعايشون الأحداث يوماً بيوم، لا يعتقدون بأنه يوجد لدينا إرهاب حقيقي. وهو تقدير نابع من واقع الحياة الفعلية، ومن عينة تعاصر الأحداث وتعايشها وتتفاعل وإياها، ولذلك لهذا الحكم ما له من المصداقية.

ما هي الأضرار التي تنتج عن الارهاب في «جميع المجالات»

لقد عالجت المفردة رقم (٢) هذه القضية بتوجيه السؤال الآتي المفتوح النهاية: «ما هي الأضرار التي تتصور أنها تنتج عن الإرهاب في جميع المجالات؟

الجدول الآتي يوضح استجابات المشاركين على هذه المفردة:

جدول يوضح استجابات المشاركين الحرة على المفردة رقم (٢) عن أضرار الإرهاب، نسب مئوية

مسلسل	الأضرار الناجمة عن الإرهاب	النسب المئوية
١	تفكك المجتمع وانتشار الرذيلة.	١٥,٧٨
٢	إلحاق الأضرار بالشباب وقتل آمالهم نفسياً ومعنوياً.	١٥,٥٢
٣	تدهور في اقتصاد البلد ـ عدم الشعور بالأمان.	١٥,٥٢
٤	انهيار المجتمع ـ قلة الإنتاج وتدهوره ـ الفشل في تنفيذ خطط الدولة.	٨,٤٢
٥	انخفاض الروح المعنوية للأفراد في المجتمع، وسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية عامة.	٦,٣١
٦	فقد الأمن والأمان.	٥,٢٦
٧	البطالة والغلاء.	٥,٢٦
٨	الفقر والفوضى ـ فقدان موارد الدولة.	٥,٢٦
٩	هز القيم والمثل والمبادىء المستقرة.	٥,٢٦
١٠	خسائر اقتصادية كبيرة خسائر في الأفراد، يسبب الذعر والقلق للشعوب.	٥,٢٦
١١	يسبب تدهوراً في المجالات الاقتصادية والسياسية.	٤,٢١
١٢	انتشار الفوضى وعدم الاستقرار.	٣,١٥
١٣	يسبب التخريب والدمار والتفكك والفوضى.	٣,١٥
١٤	نوع من العنف من أناس ليسوا مسلمين وانهيار قيم المجتمع.	٣,١٥
١٥	ضياع الأمن والأمان ـ تهديد السياحة إذا كان الإرهاب موجهاً للسياح.	٣,١٥
١٦	يسود عدم الاستقرار في المجتمع.	٣,١٥
١٧	قتل الأرواح البريئة وهدم بعض المؤسسات والمنشآت.	٣,١٥
١٨	عدم الشعور بالأمن والأمان.	٣,١٥

١٩ ـ انهيار الاقتصاد وفساد في العلاقات الاجتماعية.	٣,١٥
٢٠ ـ يؤثر على عمليات التقدم والتنمية.	٢,١٠
٢١ ـ يجعل المجتمع يعيش في فزع ورعب ويسبب الإساءة للدين الإسلامي.	١,٠٥
٢٢ ـ يسبب نوعاً من التوتر في العلاقات مع الدول الأخرى.	١,٠٥
٢٣ ـ ضياع أرواح بريئة ـ تدمير الناحية الاقتصادية ـ ضياع أمن الوطن.	١,٠٥

جاءت الاستجابات معبرة عن تعدد الأضرار الناجمة عن الإرهاب، وعدم اقتصارها على جانب واحد من حياة المجتمع، وإنما اشتملت على إلحاق الأضرار والأذى بالنواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعلى الإضرار بحياة الأفراد والنيل من مصالحهم ففكر الشباب، في هذا الصدد يتسم بالتنوع وسعة الأفق والشمول لكل ما يمكن أن ينجم من أضرار وإساءات من جراء ممارسة قلة قليلة للإرهاب.

وكان أظهر هذه الأضرار وأكثرها تكراراً وانتشاراً بين أفراد العينة ما يلي على الترتيب:

١ ـ تفكك المجتمع وانتشار الرذيلة[١].

٢ ـ إلحاق الأضرار بالشباب وقتل آمالهم نفسياً ومعنوياً.

٣ ـ تدهور في اقتصاد البلد وعدم الشعور بالأمان.

٤ ـ انهيار المجتمع وقلة الإنتاج وتدهوره والفشل في تنفيذ خطط الدولة في التنمية.

أما أقل الأضرار انتشاراً في رأي المشاركين، فكانت ما يلي:

١ ـ الإرهاب يجعل المجتمع يعيش في فزع ورعب ويسبب الإساءة للدين.

---

(١) مصدر هذه الاستجابة المتعلقة بتفشي الرذيلة من جراء الإرهاب أن بعض الإرهابيين ضبط يعاشر بعض النسوة معاشرة غير شرعية.

٢ ـ يسبب نوعاً من التوتر في العلاقات مع الدول الأخرى.

٣ ـ يسبب ضياع أرواح بريئة، وتدمير الاقتصاد وضياع أمن الوطن.

هذا وأمكن استخلاص الحقائق الآتية من تحليل استجابات المشاركين بصدد الأضرار التي تنتج عن ممارسة الإرهاب:

١ ـ من الأضرار النفسية عدم شعور الناس بالأمن والأمان، وانخفاض الروح المعنوية بين الناس، والشعور بالخوف والرعب والفزع والقلق والتوتر والزعر.

٢ ـ لقد أدرك المشاركون الأضرار الاقتصادية لممارسة الإرهاب والتي تتمثل في أنه يعوق مشروعات الدولة وخططها في التنمية [(١)].

ويؤدي إلى تدهور الاقتصاد، وقلة الإنتاج، وفقدان موارد الدولة وإلى زيادة الغلاء وتفشي الفقر، والبطالة، وينجم عنه تخريب المنشآت والمؤسسات التي يدمرها الإرهابيون أو المرافق العامة التي يفجرونها.

٣ ـ الأضرار الأخلاقية ومنها تفشي الرذائل وانتشارها وهز القيم الأخلاقية المستقرة والنيل منها.

٤ ـ الأضرار الاجتماعية وتتمثل فيما رآه المشاركون من تفكك المجتمع وانهياره. وتفشي الفوضى بين ربوعه وسوء الأحوال الاجتماعية وفساد العلاقات القائمة بين الناس إذا ما انتشر الإرهاب. وتفشي الطائفية والخلاف بين المسلمين والأقباط.

٥ ـ يؤدي الإرهاب، بنوع خاص، إلى إلحاق الضرر بالشباب، لأنه يعوق الخطط الموضوعة لتحقيق أهدافهم.

٦ ـ يسبب خسائر بشرية في الأرواح وفي الإصابات.

٧ ـ يسبب الإساءة إلى الدين الإسلامي الحنيف.

---

(١) من الموضوعات التي يقترحها الباحث للدراسة الميدانية العلاقة بين الجريمة عموماً بما في ذلك «الإرهاب والتنمية» الاقتصادية والاجتماعية والبشرية ولا شك أن الجريمة أحد معوقات التنمية بل أنها تمتص وتبدد طاقات المجتمع في مطاردة الإرهاب ومن جراء خسائره.

٨ ـ يؤدي إلى توتر العلاقات بيننا وبين بعض الدول الأخرى، فأضرار الإرهاب متنوعة ومتعددة، وبعيدة الأثر، وأظهرها أضراره النفسية لأنها بعيدة الأثر، وتحرم الفرد من نعمة الشعور بالأمن، ويضحى خائفاً على حياته وحياة أبنائه وأعراضهم.

الارهاب جريمة ضد أمن المجتمع

دلت نتائج الدراسة الحالية، في هذا الصدد، على إجماع الآراء على أن الإرهاب جريمة فعلاً ضد أمن المجتمع واستقراره، وبلغت نسبة الموافقة المطلقة (١٠٠٪) أي كل عينة المشاركين.

وتعبر هذه النتيجة عن الوعي الأمني، والفهم لطبيعة الإرهاب، وما يسببه من خلل في النظام الأمني بالمجتمع. ويتضمن هذا الأمن، بالطبع الأمن العام والأمن السياسي والأمن النفسي، والأمن الاجتماعي والاقتصادي وما إلى ذلك من ضروب الأمن والأمان. وهذه النتيجة قاطعة في إدانتها للإرهاب واستنكاره وشجبه من قبل جميع المشاركين في الدراسة الحالية. وهي انعكاس لاتجاه صحي وإيجابي وقانوني.

وإذا كانت هذه هي الأضرار الجسيمة التي تنجم عن الإرهاب، فما هي إذن أسبابه ذلك لأن وضع أيدينا على أسباب الظاهرة السلبية مدعاة إلى التحكم فيها والتنبؤ بها ومن ثم مقاومتها ومنع ظهورها[1].

الأسباب المؤدية للارهاب

من المنظور العلمي فإن الإرهاب عبارة عن سلوك وإذا كان سلوكاً فلا بد، وفقاً

(١) في هذا الصدد يذكر دائماً إن أهداف العلم وصف الظواهر وتصنيفها وتفسيرها أي التعرف على أسباب حدوثها ثم التنبؤ بحدوثها والتحكم فيها وتعديلها، طالع مشكوراً «مناهج البحث في علم النفس» للدكتور عبد الرحمن محمد العيسوي «المكتب العربي الحديث بالاسكندرية».

لنظرية «الحتمية[1] السلوكية» أن يكون له أسباب تكمن ورائه وتدفع مرتكبيه للإتيان بالسلوك الإرهابي، ولا يمكن أن يكون آت من فراغ أو ليس له دوافع أو أسباب أولاً تحركه قوى «شاذة» بالطبع في داخل مرتكبه وفي كيانه، وفي الظروف المحيطة به وفي خياله أو أوهامه[2] وشطحاته، ولذلك استهدفت الدراسة الحالية التعرف على أسباب الإرهاب كما تراها جماعة المشاركين في الدراسة.

ولقد وردت المفـردة رقم (٧) من الاستبانة على هذا النحو: «إذا كان هناك إرهاب فعلاً في مجتمعنا، فما هي أسبابه في نظرك»؟:

يستعرض الجدول الآتي استجابات الأفراد موضحة أسباب الإرهاب في نظرهم:

---

(١) الحتمية السلوكية أو السيكولوجية Psychological determinism مؤداها إن لكل معلول علة بالضررة فالسلوك الإنساني مهما بدا بسيطاً أو تلقائياً لا بد وأنه تكمن ورائه مجموعة من العلل أو الأسباب السابقة على السلوك. راجع مشكوراً محمد عاطف غيث وآخرين مرجعهم السابق. وأحمد زكي بدوي مرجعه السابق.

(٢) طالع مشكوراً المصادر التي تعني بتفسير الجريمة ونظرياتها ومنها مؤلفات محمد زكي أبو عامر وعاطف عبيد، ورمسيس بنهام، وجلال ثروت وعبد الرحمن العيسوي، وحسن المرصفاوي، ومحمد عوض وفتحي سرور وفوزية عبد الستار وخاصة كتاب المؤلف مبحث الجريمة وكتاب علم النفس الجنائي.

جدول يوضح استجابات المشاركين الحرة عن الأسباب المؤدية للإرهاب في نظرهم
نسب مئوية = المفردة رقم (٧)

مسلسل	أسباب الإرهاب	النسب المئوية
١	ـ عدم الشعور بالانتماء للوطن.	١١,٥٧
٢	ـ التعصب في الدين.	١٠,٥٢
٣	ـ عدم انتشار الوعي الديني.	٦,٣١
٤	ـ الجهل وانتشاره في القرى.	٦,٣١
٥	ـ أسباب سياسية كعدم وجود ديمقراطية متكاملة.	٤,٢١
٦	ـ الفوضى والغلاء والفقر.	٤,٢١
٧	ـ انتشار البطالة ـ وارتفاع الأسعار.	٤,٢١
٨	ـ عدم تمسك الشباب بتعاليم الدين وفهمهم الخاطىء.	٣,١٥
٩	ـ قلة الدخل الاقتصادي للأسرة وعدم التدين الكامل وعدم استغلال وقت الفراغ بين الشباب.	٣,١٥
١٠	ـ الفقر والتخلف.	٣,١٥
١١	ـ أسباب ثقافية كعدم وجود الوعي الكافي بين الأفراد.	٢,١٠
١٢	ـ انتشار الجرائم العامة والعناصر المخربة.	٢,١٠
١٣	ـ عدم الإلمام بقيم الدين.	٢,١٠
١٤	ـ انتشار الجماعات المنحرفة التي تجذب الشباب.	٢,١٠
١٥	ـ الأوضاع غير الصحية في المجتمع والبعد عن الدين الحنيف.	٢,١٠
١٦	ـ أسباب اجتماعية كوجود فوارق بين طبقات الشعب المختلفة.	١,٠٥
١٧	ـ كثرة الفوضى والانحراف في الشباب.	١,٠٥
١٨	ـ عدم اهتمام الدولة بفئة الشباب وهم يمثلون الغالبية العظمى في المجتمع.	١,٠٥

جاء تشخيص الشباب للإرهاب شاملاً لعدد كبير من العوامل «السببية». ولم ينحصر التشخيص في سبب واحد، وإنما عدة أسباب متنوعة. مما يتفق مع الاتجاه المتعدد العوامل في تفسير السلوك[1] الإجرامي أو المرضي من أكثرها تكراراً ما يلي حسب الترتيب:

١ ـ عدم الشعور بالانتماء.
٢ ـ التعصب في الدين.
٣ ـ عدم انتشار الوعي الديني.
٤ ـ الجهل وانتشاره في القرى (وقعت بعض جرائم الإرهاب في قرى مصر)[2].

من الجدير بالذكر والملاحظة أن أظهر الأسباب هي أسباب نفسية تتمثل في عدم الشعور بالانتماء أو ضعف الشعور بالانتماء عند هؤلاء الإرهابيين والشعور

---

(١) الاتجاه المتعدد العوامل في تفسير نشأة المرض أو الانحراف يشير إلى تضافر أو تفاعل مجموعة من العوامل ـ وليس عاملاً واحداً في أحداث ـ المرض أو الانهيار أو الانحراف هذه العوامل هي:

أ ـ مجموعة العوامل الوراثية Hereditary Factors

ب ـ مجموعة العوامل البيئية Environmental Factors

جـ ـ مجموعة العوامل الميلادية والتي يولد بها ولكنها ليست منقولة إليه من الآباء والأجداد Cangenital Factors.

إضافة إلى توفر عامل الزمن Time بمعنى تفاعل هذه القوى في الإنسان عبر فترة معقولة من الزمن إذ لا يكفي وجودها بصورة وقتية أو عارضة. هذه المؤثرات تسقط ضغطاً Stress على الإنسان، فإن زاد الضغط على مقدار مقاومة Resistance الفرد حدث الانهيار المرضي.

(٢) وقعت بعض جرائم الإرهاب في بعض القرى مثل قرية (صنبو وديروط) وكذلك في الأحياء العشوائية المتدنية المستوى كامبابة، وعين شمس حيث يقل الوجود الأمني وتنعدم الخدمات، ولم تنتشر في الأحياء الراقية.

بالتعصب[1] في أمور الدين، والتعصب أيضاً من الحالات النفسية السالبة أما أقل الأسباب انتشاراً فكانت لما يأتي:

١ ـ وجود فوارق كبيرة بين طبقات الشعب المختلفة.
٢ ـ كثرة الفوضى وتفشي الانحراف بين الشباب.
٣ ـ عدم اهتمام الدولة بفئة الشباب وهم يمثون الغالبية العظمى في المجتمع.

ولاستجابات المشاركين الخصائص الآتية:

١ ـ تنوع هذه العوامل السببية وتعددها، فمن الأسباب النفسية قلة الشعور بالانتماء[2] الوطني لدى الإرهابي، والشعور بالتعصب الديني مع الفهم الخاطىء لمبادىء الدين وتعاليمه السمحة، وعدم انتشار الوعي الديني الصائب بينهم، وعدم تمسكهم بمبادىء الدين الأصلية، وقلة الوعي الثقافي أو ما يعرف «بالتربية الوطنية» أو «التربية القومية» تلك التي أهمل تدريسها في الوقت الراهن.

٢ ـ من أسبابه الاقتصادية تفشي الغلاء والفقر، واستمرار ارتفاع الأسعار بصورة دائمة، وتعطل الشباب أو انتشار البطالة[3].

٣ ـ من العوامل الاجتماعية اعتقاد الإرهابيين في عدم وجود قدر كاف من الديمقراطية وانتشار التخلف والجهل وخاصة في القرى التي حدثت فيها بعض جرائم الإرهاب

---

(١) يشار إلى التعصب Prejudice بأنه اتجاه سلبي عديم الأساس العقلي أو المنطقي أو الطبيعي، وفي الغالب ما يتضمن العدوان والتحيز وهو بذلك يختلف عن الاتجاه العقلي Mental Attitude الذي يتضمن جانباً معرفياً وآخر عاطفياً وثالث نزوعياً أو سلوكياً Cognitive Affection, and behovioural فالاتجاه يستند إلى وقائع ومعارف.

(٢) في هذا الصدد يشار إلى معاناة كثير من الشباب من الشعور بالاغتراب Alienation أي الاغتراب أو البعد أو العزلة عن المجتمع أو عن أعمالهم أو عن ذواتهم، وهو حالة نفسية سالبة انفصالية وبذلك لا يتوحد Identi fication الفرد مع مجتمعه.

(٣) إبراهيم بن مبارك الجويري «البطالة خطرها وسبل مواجهتها» مجلة الأمن السعودية، العدد الخامس ١٤١٢ هـ وزارة الداخلية السعودية.

ووجود جماعات منحرفة تستطيع أن تجذب الشباب إليها وتقوم بعملية غسل أدمغتهم[(١)] ووجود فوارق بين طبقات المجتمع، والاعتقاد بوجود بعض الأوضاع الخاطئة في المجتمع، وانتشار الفوضى والانحراف بين بعض الشباب وعدم اهتمام الدولة بفئة الشباب وعدم توفير أساليب جيدة لاستغلال أوقات الفراغ.

٤ ـ من الأسباب الأمنية انتشار الجرائم العامة أو قلة الاهتمام بالأمن العام كما ينبغي. ومصدر هذا السبب الأخير، إن الجريمة واحدة، وإن السلوك الإجرامي شأنه شأن المرض المعدي، ينتقل عدواه من الأمن العام إلى الأمن السياسي فالجرائم العامة على آحاد الناس لا تقل خطورة عن الأمن السياسي، ومؤدي ذلك ضرورة الاهتمام بكل جوانب الأمن وتوفير الدعم المادي والبشري والعلمي والتشريعي والسياسي لأجهزة الأمن لكي تنهض وتتحمل ما يلقى عليها من أعباء ومسئوليات تتزايد يوماً بعد يوم، لا يضمن المجتمع بالإمكانات والإنفاق الكفء على موقع بالغ الأهمية كالمرفق الأمني.

هل الارهاب ناجم من تحريض بعض الدول علينا أم أن المسئول عنه القلة الارهابية المصرية وحدها؟

وجهت الدراسة الحالية المفردة الآتية للمشاركين:

«٨ ـ في نظري الإرهاب الحالي يرجع إلى:

أ ـ تحريض بعض الدول علينا (   ).

ب ـ المسئول عنه القلة الإرهابية المصرية وحدها (   ).

وكانت النتيجة كما يلي:

أ ـ تحريض بعض الدول علينا، موافق (٦٢,١١٪).

ب ـ المسئولة عنه القلة الإرهابية المصرية وحدها (٣٧,٨٩٪).

---

(١) عملية غسل الدماغ Brown washing تستهدف حمل الناس عنوة وقسراً وكرها لتغيير اتجاهاتهم وعقائدهم وآرائهم ومواقفهم وسلوكهم ونزع اتجاهاتهم القديمة واستبدالها بغيرها بممارسة الضغوط البدنية والسيكولوجية والإيحاء، وتمارسه الجماعات والأحزاب المتطرفة كالنازية ويمارس أيضاً على أسري الحروب لهز ولائم وللحصول على معلومات منهم.

حيث رأت الغالبية أنه من جراء تحريض بعض الدول علينا، وإن كان هناك ما يزيد عن ثلث العينة ترى أن قلةً مصرية هي التي تقوم به وحدها.

وفي ضوء ذلك من المرجح أن يكون العاملان معاً بمعنى أن بعض جرائمه من جراء التحريض الخارجي والبعض الآخر نابع من ذات الجماعات الإرهابية نفسها.

الاتجاه العام نحو استنكار الارهاب

أجاب المشاركون في الدراسة على السؤال الآتي:

«١٠ ـ أعتقد أنه لا يوجد من الناس» العاديين من يؤيد الإرهاب الحالي:

أ ـ جميع الناس تعارضه (   ).

ب ـ قلة بسيطة تؤيده (   ).

دلت الدراسة على أن الغالبية الإحصائية الساحقة تعارض الإرهاب وتستنكره وتشجبه وبلغت هذه النسبة (٧٣,٦٩٪) وإن هناك قلة ربما حاقدة أو ذات أطماع أو ميول مريضة تؤيده (٢٦,٣١٪) أو فاقدة الوعي السياسي والوطني ولذلك رأتها العينة على أنها تؤيد السلوك الإرهابي.. وهذا أمر غير متوقع أو المفروض مثالياً أن ترى العينة أن جميع الناس على وجه الإطلاق تعارض الإرهاب ولقد اتصل بهذه النقطة مفردة أخرى.

---

(١) السيكوباتية Psgchopathy انحراف خلقي أو سلوكي أو إجرامي يدفع صاحبه للإتيان بالسلوك المضاد للمجتمع Antisacial behaviour ويجعله يهدر القيم والمثل والمعايير ويميل إلى الكذب والغش والخداع. والنصب والاحتيال والابتزاز والجمود العاطفي، والخيانة ويسبب ضعف ضميره الخلقي لا يشعر بتأنيب الذات أو لومها أو تعنيفها ولا يستفيد من تجاربه السابقة ولا يجدي معه العقاب ولا العلاج وكان يطلق على هذا الانحراف قديماً العته الأخلاقي أو الجنون الأخلاقي.

مؤداها أنه تحت كل الظروف «لا ينبغي» أن يؤيد أحد الارهاب:

وكانت النتيجة كما يلي:

أ - موافق (٩٧,٩٠٪)

ب - غير موافق (٢,١٠٪)

العينة كلها (تقريباً) أي (٩٧,٩٠٪) من مجموعها ترى أنه تحت كل الظروف لا ينبغي أن يؤيد الإرهاب وهذه النتيجة لا تتناقض مع سابقتها، لأن الأولى تتضمن حكماً تقويمياً أو تشخيصياً واقعياً، بينما تمثل الثانية الجانب «المثالي» أو ما ينبغي أن يكون وهو الإجماع التام والمطلق لرفض الإرهاب وعدم تأييده واستنكاره.

شخصية الارهابي:

ما هو حكم عينة الدراسة على شخصية الإرهابي الذي يرتكب جرائم؟ هل هو إنسان سوي في نظرهم أو يعتبرونه يعاني من مظاهر الشذوذ العقلي أو المرض العقلي أو الخلل العقلي؟

«٩ - أعتقد أن الشخص الإرهابي في معظم الأحيان يكون مختل العقل أو مريض عقلياً أو نفسياً» نعم/ لا.

أجابت «بالإيجاب» على هذا السؤال نسبة كبيرة من أفراد العينة بلغت (٧٠,٥٢٪) من مجموع أفراد العينة. بالطبع التعميم هنا إجراء خاطىء ولا يتفق مع النظريات العلمية التي وضعت في تفسير السلوك الإجرامي والتي رأت أن هناك أسباباً متعددة تدفع إليه.

سبل الوقاية من الإرهاب:

واضح تنوع هذه الوسائل والأساليب والمقترحات وشمولها لجوانب أمنية وقانونية وقضائية وتربوية واقتصادية وإرشادية وكان أكثرها تكراراً ما يلي:

١ ـ القضاء على مشاكل البطالة والغلاء والتطرف والعنف والإدمان (٧٣ , ٩٤٪)

٢ ـ تدعيم دور الوعظ والإرشاد لنشر الوعي الديني السليم (٦٨ , ٩٣٪)

٣ ـ رعاية الشباب في الخارج حتى لا يقع فريسة في يد أعداء الوطن بالخارج (٥٢ , ٩٠٪)

٤ ـ تعيين أخصائي نفسي[1] في كل تجمع يوجد به عدد كبير من الناس. كالمدارس والمصانع والنوادي والمستشفيات للوقاية والعلاج (٢٠ , ٨٤٪)

وواضح إن وسائل الوقاية والمكافحة التي تحتل مكان الصدارة هذه تتناول ضرورة معالجة المشاكل الأخرى التي قد تقود إلى الإرهاب والتي ترتبط به.

وهي البطالة والغلاء والتطرف والعنف والإدمان، وهي من أخطر أمراض المجتمع وإذا لم تقاوم، فهي كفيلة بأن تقضي على أقوى المجتمعات.

ومن حسن الطالع أن يأتي في المرتبة الثانية مباشرة دور رجال الوعظ والإرشاد الديني تقديراً لدور الدين والإيمان الصحيح في الاستقامة والتقوى والوطنية الصالحة ومن الجدير بالاهتمام كذلك أن تحتل المرتبة الثالثة قضية الاهتمام بشبابنا في الخارج الذي يتعرض للضياع والجوع والتشرد، ومن ثم يكون عرضه للوقوع فريسة في يد الجهات المعادية أو عصابات التجسس. ومن الجدير بالاهتمام أن يجد اقتراح العينة بتعيين أخصائي نفسي في كل تجمع بشري أن يجد طريقة إلى حيز النفاذ المعجل لتوفير الوقاية والمعالجة اللازمة من الناحية النفسية لتتكامل الصورة مع الإرشاد الديني الصائب وكانت أقل وأصغر الاقتراحات تكراراً ما يلي:

١ ـ إقامة معسكرات عمل يعمل بها الإرهابيون بصفة دائمة (٦٢ , ٣٢٪)

٢ ـ تدعيم الأمن والحراسات (٤٢ , ٦٨٪)

٣ ـ توفير مزيد من الديمقراطية (٤٢ , ٦٨٪)

---

(١) طالع مشكوراً كتاب باثولوجيا النفس للدكتور عبد الرحمن العيسوي، دار الفكر الجامعي، بالاسكندرية، ١٩٨٩ وكتاب علم النفس الطبي لذات المؤلف، منشأة المعارف بالاسكندرية.

وواضح أن هذه الوسائل وإن أتت في مؤخرة قائمة المقترحات إلا أن نسباً كبيرة تقررها (من ٦٢, ٣٢ ـ ٤٢, ٦٨٪) من مجموع أفراد العينة المشاركة في الدراسة، الأمر الذي لا يقلل من أهمية التفكير في تنفيذها.

وتشتمل المقترحات على الوسائل التي تدور في المحاور الآتية:

١ ـ تشديد العقوبات أو تغليظها على جرائم الإرهاب.

٢ ـ سرعة المحاكمات للإحساس بالردع السريع.

٣ ـ تدعيم الأمن والحراسات.

٤ ـ إعلان رفض الشعب كله للإرهاب، وتدعيم دور الإعلام في نشر الوعي الوطني.

٥ ـ توفير سبل العلاج والوقاية لعلاج الإرهابيين وتخصيص أخصائي نفسي في كل تجمع بشري.

٦ ـ العمل على حل المشاكل الجاثمة على صدور الناس، كالبطالة والغلاء والارتفاع المستمر في الأسعار والتطرف والعنف والإدمان والإسكان.

٧ ـ توفير مزيد من الديمقراطية وتعميق الديمقراطية فكراً وسلوكاً.

٨ ـ الاهتمام بالأسرة العربية وتدعيم دورها لتؤدي رسالتها كاملة.

٩ ـ توفير فرص التعليم الجيد والوعظ والإرشاد الديني وتدعيمها مادياً وبشرياً وعلمياً ويتطلب ذلك النهوض بـدور الدعاة.

١٠ ـ تدعيم دور الأجهزة الرقابية كالمخابرات العامة والمباحث العامة والرقابة الإدارية لمكافحة كل مظاهر الفساد والانحراف.

١١ ـ توفير الرعاية والإشراف على أبنائنا في الخارج.

الاستجابات الحرة في مكافة الارهاب والوقاية منه:

تضمنت استمارة البحث «طلب مقترحات أخرى وضحها من فضلك».

والجدول الآتي يستعرض هذه المقترحات النابعة من ضمير المشاركين ووجدانهم الذاتي للسلوك الإجرامي منها العوامل الاقتصادية والاجتماعية والأسرية والسياسية، ومن بينها ولا شك الخلل العقلي المتمثل في المجرم المجنون والمجرم العصابي والمجرم السيكوباتي وأرباب هوس السرقة وهوس الحريق ومحترفي جرائم

الدعارة والاغتصاب ومدمني الخمور والمخدرات الذين يعانون من الذهان الكحولي[1].

وسائل مكافحة الارهاب والوقاية منه:

«١٢ ـ ما الذي تقترحه للقضاء على الإرهاب في بلادنا في الوقت الحاضر»؟

قدمت الاستبانة (١٦) مقترحاًيختار المشارك كلها، أو بعضها ومن بين هذه الاقتراحات اقتراح مفتوح النهاية طلب فيه من المشارك إبداء المعالجات الأخرى لمكافحة الإرهاب والوقاية منه.

ولقد أسفر تحليل الاستجابات عما يلي:

وسيلة المكافحة المقترحة	موافق ٪
١ ـ تشديد العقوبة.	٨٠
٢ ـ سرعة المحاكمات.	٧٨,٩٤
٣ ـ تدعيم الأمن والحراسات.	٦٨,٤٢
٤ ـ رفض الشعب كله للإرهاب.	٧٧,٨٩
٥ ـ إقامة معسكرات عمل يعمل بها الإرهابيون بصفة دائمة.	٣٢,٦٢
٦ ـ علاج الإرهابيين نفسياً وعقلياً.	٧٠,٥٢
٧ ـ القضاء على مشاكل البطالة والغلاء والتطرف والعنف والإدمان.	٩٤,٧٣
٨ ـ توفير مزيد من الديمقراطية.	٦٨,٤٢
٩ ـ الاهتمام بالأسرة المصرية وتدعيمها.	٧٥,٧٨
١٠ ـ الاهتمام بالتعليم وتدعيمه مادياً وبشرياً.	٧٧,٨٩

(١) صدر أخيراً قرار إيجابي في هذا الصدد من وزارة التعليم المصرية يقضي بتعيين أخصائي نفسي في كل مدرسة على اختلاف المراحل التعليمية والمأمول أن يصدر مثله في مجال الصناعات وفي مراكز الرعاية الشباب والسجون والإصلاحيات والملاجيء ومراكز التدريب.

١١ ـ تدعيم دور الإعلام في نشر الوعي الوطني.	٧٥,٧٨
١٢ ـ تدعيم دور الوعظ والإرشاد لنشر الوعي الديني السليم.	٩٣,٦٨
١٣ ـ تعيين أخصائي نفسي في كل مجتمع يوجد به عدد كبير من الناس كالمدارس والمصانع والنوادي والمستشفيات، للوقاية والعلاج.	٨٤,٢٠
١٤ ـ تدعيم دور الأجهزة الرقابية كالمخابرات العامة.	٧٢,٦٣
١٥ ـ رعاية الشباب في الخارج حتى لا يقع فريسة في يد أعداء الوطن بالخارج.	٩٠,٥٢
١٦ ـ معالجات أخرى تراها . . . وضحها مشكوراً.	

جدول يوضح استجابات المشاركين الحرة على المفردة (١٢) بند (١٦) لاقتراحات المشاركين لعلاج مشكلة الإرهاب

م	الاقتــراح	
١	توفير فرص عمل للشباب.	١٤,٧
٢	إقامة الندوات الدينية المختلفة أسبوعياً لنشر الثقافة الدينية بين الشباب.	٨,٤٢
٣	زيادة الوعي الديني بين الشباب، وعمل ندوات ثقافية تناقش مشاكل الحياة.	٧,٣٦
٤	شغل وقت فراغ الشباب، وتشجيع الأنشطة الرياضية المختلفة.	٥,٢٥
٥	تشديد العقوبة على الإرهاب.	٥,٢١
٦	ضرورة أن يشعر الفرد بالانتماء إلى الوطن ويعد هذا أول الخطوات للقضاء على الإرهاب.	٤,١
٧	حل مشاكل الشباب.	٣,١٥
٨	مراقبة الوالدين لأبناؤهم ومعرفة أصدقائهم وتقديم النصح والإرشاد للمتطرفين منهم.	٣,١٥

٩ ـ إعطاء الشباب حرية الرأي والتصرف داخل الأسرة وإشعاره بكيانه الحقيقي في الأسرة والمجتمع الخارجي. ٢,١٠

١٠ ـ نشر الملاعب والمساحات الخضراء لكي تستنفذ طاقات الشباب. ٢,١٠

١١ ـ محاكمة الإرهابيين أمام وسائل الإعلام المختلفة بعد مناقشتهم واعترافهم بخطئهم وإنهم كانوا ضحية للأفكار المتطرفة الدخيلة عليهم. ٢,١٠

١٢ ـ عمل معسكرات للشباب. ٢,١٠

١٣ ـ القضاء على البطالة. ٢,١٠

١٤ ـ مناقشة الشباب والتعرف على أفكارهم والعمل على تصحيحها حتى لا يقعوا فريسة للأفكار المتطرفة. ٢,١٠

١٥ ـ انتشار الديمقراطية وتطبيق الشريعة الإسلامية في كل جريمة أو انحراف داخل المجتمع. ٢,١٠

١٦ ـ بث الرعب في نفوس الإرهابيين وتشديد العقوبة. ٢,١٠

١٧ ـ الاهتمام بالكتب التي توجه للشباب حتى لا تكون هدامة لأفكارهم. ٢,١٠

١٨ ـ عمل مناظرات بين زعماء الجماعات الإسلامية وبين رجال الدين لمناقشة وتبادل وجهات النظر. ١,٠٥

١٩ ـ الاهتمام بالمدارس الصناعية والزراعية والتجارية. ١,٠٥

٢٠ ـ الاتحاد الكامل بين المسلمين والمسيحيين. ١,٠٥

٢١ ـ عقد ندوات للمسلمين والمسيحيين والقيام بزيارات مختلفة للمساجد والأديرة المختلفة. ١,٠٥

٢٢ ـ الإكثار من البرامج الدينية في التلفزيون. ١,٠٥

٢٣ ـ توفير الأمن والأمان للمواطنين بصفة عامة. ١,٠٥

٢٤ ـ إدخال المناهج الدينية في جميع مراحل التعليم الجامعي على أن تكون مادة رسوب ونجاح كما هو الحال في الثانوية العامة. ١,٠٥

جاءت هذه المقترحات الحرة أيضاً متعددة الجوانب، ومعبرة عن سعة الأفق وحسن إلمام المشاركين بأزمة الإرهاب. وكان أظهر هذه المعالجات المقترحة ما يلي حسب الترتيب:

١ ـ توفير فرص عمل للشباب.
٢ ـ إقامة الندوات الدينية الأسبوعية لنشر الثقافة الدينية بين الشباب.
٣ ـ زيادة الوعي الديني بين الشباب ومناقشة مشاكل الحياة معهم.
٤ ـ شغل أوقات الفراغ وتشجيع الأنشطة الرياضية المختلفة.

ومن الأهمية بمكان أن يأتي علاج مشكلة البطالة في محل الصدارة من مقترحات العلاج وهذا أمر يبدو طبيعياً ومنطقياً وحتمياً أيضاً ويلي ذلك نشر الوعي الديني وتدعيمه وتنميته، وشغل أوقات الفراغ على اعتبار أن الفراغ مدعاة للفساد.

من أهم المقترحات الدعوة لعمل منظارات بين زعماء الجماعات الإسلامية وبين رجال الدين للمناقشة وتبادل وجهات النظر، وكذلك الاهتمام بالمدارس الصناعية والزراعية والتجارية، على اعتبار أن بعض المتهمين كانوا من خريجي هذه المدارس «المتوسطة» تحقيق الاتحاد الكامل والتام بين المسلمين والمسيحيين من أبناء المجتمع والقيام بالزيارات المختلفة للمساجد والأديرة المختلفة لتدعيم روح الآخاء والقضاء على كل ما قد يثير الطائفية وضرورة تدعيم البرامج الدينية الإذاعية والتلفازية وتوفير الأمن العام لكافة المواطنين بصفة عامة، والدعوة لإدخال المناهج والمقررات الدينية ضمن المقررات الدراسية في التعليم العالي والجامعي وجعلها مادة رسوب ونجاح[1].

---

(١) في هذا الصدد يشار بالإشادة والتقدير لنظم التعليم السعودية التي تهتم اهتماماً بالغاً بالتعليم الديني، حيث تشتمل مقرراتها الدراسية على علوم القرآن الكريم والحديث والفقه والتفسير إلى جانب الثقافة الإسلامية وهي مواد رسوب، إلى جانب تشجيع الطلاب على أداء الصلوات وكافة الشعائر الدينية الإسلامية وعدم تشجيع السلوكيات الضارة كالتدخين وخاصة في إطار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومعاهدها العلمية.

وتنحصر المقترحات الحرة في المحاور الآتية:

١ ـ القضاء على البطالة بتوفير فرص عمل لكُل العاطلين.

٢ ـ نشر الوعي الديني وتدعيمه وتنميته في نفوس الشباب.

٣ ـ شغل أوقات الفراغ وحل جميع مشاكل الشباب وتوفير الأندية والساحات الشعبية لتكون متنفساً للشباب.

٤ ـ تشديد العقوبة على الإجرام الإرهابي وعلانيتها في التنفيذ[١].

٥ ـ تنمية مشاعر الانتماء للوطن وحبه.

٦ ـ تمكين الأسرة من توفير الرعاية والإشراف لأبنائها مع حسن معاملة الأسرة لشبابها.

٧ ـ توفير فرص التعبير عن حرية الرأي وتدعيم باقي مبادىء الديمقراطية كالشورى.

٨ ـ تطبيق حكم الشريعة الإسلامية على مرتكبي الجرائم.

٩ ـ منع نشر الكتب الهدامة التي يعتقد في صحتها الإرهابيون.

الخاتمة والخلاصة وأفق البحث المقبلة:

هذه رحلة عابرة خلال ما يدور في أذهان مجموعة كبيرة من الشباب الجامعي حول قضية الإرهاب لعل فيها ما يزيد من فهمنا لطبيعة الإرهاب ومرئيات الناس حوله وأسبابه وأضراره ووسائل معالجته، والمأمول أن تجد هذه المقترحات طريقها إلى التطبيق العملي، وأن يوجه الباحث العربي اهتمامه لدراسة قضية الإرهاب أو الجريمة عامة، ذلك لأن الإرهاب إن هو إلا جريمة، وإن كانت أشد خطورة عن الجرائم الأخرى، ولكن مقترحات مكافحتها والوقاية منها تنسحب على بقية الجرائم وتسهم ولا شك، في تحقيق مزيد من الأمن العام والأمن السياسي والأمن الاجتماعي. والمأمول أن يتسع أفق الدراسات المستقبلية ليشمل جماعات الإرهابيين بين أنفسهم

---

(١) يشار بالنظم الإسلامية العقابية وفرضها علانية إنزال العقاب ليكون عظة وعبرة ورادعاً للغير، من ذلك تنفيذ العقوبات أمام حشود المصلين أيام الجمع بالمملكة العربية السعودية.

وتجري عليهم دراسة «تاريخ الحالة»[1] مكثفة للتعرف على ما يدور في أذهانهم وما أصابهم من خلل أو ما يعانون منه من الفكر الجامد أو المتعصب أو المتطرف أو الأفكار الدينية الخاطئة وكيفية سقوطهم في بئر الإرهاب، وما هي القوى التي تولت غسيل أدمغتهم. والمأمول أن تمتد يد البحث العربي لتضع «البرامج» العلمية للإرشاد والعلاج من مخاطر الإرهاب وأن تطبق هذه البرامج المقترحة على الإرهابيين. والله ولي السداد والتوفيق.

---

(١) دراسة تاريخ الحالة The case-Study Method أو دراسة سيرة الإنسان ونشأته وتاريخه الدراسي والعملي والأسري والمرضي وظروف نشأته والعوامل التي أثرت فيه وفي سلوكه

وتطبيق هذه الدراسة على الأفراد كل على حدة. وتمتاز بالعمق وإيراد التفاصيل والدقائق عن حياة الفرد.

مقياس اتجاه الشباب نحو الارهاب

١ ـ ما هو تعريفك أو تصورك للإرهاب في مجتمعنا في الوقت الحاضر؟

٢ ـ ما هي الأضرار التي تتصور أنها تنتج عن الإرهاب في جميع المجالات؟

٣ ـ أعتقد أن الدين الإسلامي بريء كل البراءة من أي مظهر من مظاهر الإرهاب.

نعم ( ) لا ( )

نعم ( ) لا ( )

٤ ـ الإرهاب جريمة ضد أمن المجتمع واستقراره.

٥ ـ من الأمور السلبية في المجتمع كل من الإرهاب والتطرف والعنف ـ رتبها من حيث خطورتها:

أ ـ الأكثر خطورة هو

ب ـ الذي يليه في الخطورة هو

جـ ـ الذي يقع في المرتبة الثالثة من حيث الخطورة هو

٦ ـ هل تعتقد أن لدينا إرهاب حقيقي في الوقت الحاضر أم أنها مجرد جرائم فردية:

أ ـ لدينا إرهاب حقيقي

ب ـ مجرد جرائم فردية تمارسها قلة

٧ ـ إذا كان هناك إرهاب فعلاً في مجتمعنا.. فما هي أسبابه في نظرك....

٨ ـ في نظري الإرهاب الحالي يرجع إلى:

أ ـ تحريض بعض الدول علينا

ب ـ المسئول عنه القلة الإرهابية المصرية وحدها

٩ ـ أعتقد أن الشخص الإرهابي في معظم الأحيان يكون مختل العقل أو مريض عقلياً أو نفسياً.

نعم (   )   لا (   )

١٠ ـ أعتقد أنه لا يوجد من الناس العاديين من يؤيد الإرهاب الحالي.

أ ـ جميع الناس تعارضه

ب ـ قلة بسيطة تؤيده

١١ ـ تحت كل الظروف لا ينبغي أن يؤيد أحد الإرهاب موافق (   ) غير موافق (   ).

١٢ ـ ما الذي تقترحه للقضاء على الإرهاب في بلادنا في الوقت الحاضر؟

١ ـ تشديد العقوبات .... (   )

٢ ـ سرعة المحاكمات .... (   )

٣ ـ تدعيم الأمن والحراسات........................ (   )

٤ ـ رفض الشعب كله للإرهاب .... (   )

٥ ـ إقامة معسكرات عمل يعمل بها الإرهابيون بصفة دائمة........ (   )

٦ ـ علاج الإرهابيين نفسياً وعقلياً .... (   )

٧ ـ القضاء على مشاكل البطالة والغلاء والتطرف والعنف والإدمان.. (   )

٨ ـ توفير مزيد من الديمقراطية...................... (   )

٩ ـ الاهتمام بالأسرة المصرية وتدعيمها .... (   )

١٠ ـ الاهتمام بالتعليم وتدعيمه مادياً.................. (   )

١١ ـ تدعيم دور الإعلام في نشر الوعي الوطني .... (   )

١٢ ـ تدعيم أدوار الوعظ والإرشاد لنشر الوعي الديني والسليم .... (   )

١٣ ـ تعيين أخصائي نفسي في كل تجمع يوجد به عدد كبير من الناس كالمدارس والمصانع والنوادي والمستشفيات للوقاية والعلاج . (   )

١٤ ـ تدعيم دور الأجهزة الرقابية كالمخابرات العامة .... (   )

١٥ ـ رعاية الشباب في الخارج حتى لا يقع فريسة في أعداء الوطن بالخارج .... (   )

١٦ ـ معالجات أخرى وضحها من فضلك ....

انتشار المخدرات بين الشباب «الأسباب والأعراض»

لقد امتد شبح المخدرات إلى أبناء الطبقات الراقية، وتفشى فيها شم الهيروين والكوكايين وغيرها من أنواع المخدرات بدرجة تفوق مثيلتها في أندية الشبيبة الشعبية التي لا يوجد بها إلا النشاط الكروي أو الرياضي. ولعل السبب في ذلك هو أن أبناء الطبقات الراقية يجدون المال اللازم والسهل لتمويل عادات الشم باهظة التكاليف، وكذلك بسبب حياة الترف وانشغال الأم والأب خارج نطاق البيت، وضعف الرقابة الأسرية، وقلة الإشراف الوالدي، والتأثر بأقران السوء، وبحكم التقليد والمحاكاة، وسيطرة التقاليد والبدع والتأثر بالغزو الثقافي الأوربي في جوانبه السيئة، والبعد عن حياة الكفاح والنضال والسعي الجاد وراء لقمة العيش، والتعود على السهر خارج المنزل. وقد يكون التدليل والدلع وترك الحبل على الغارب سبباً وراء إدمانهم، إلى جانب الشعور بالضياع والفراغ والوحدة النفسية والعزلة.

خطر انتشار المخدرات بين كل الطبقات الاجتماعية وخاصة بين أبناء الذوات:

لم يعد خطر المخدرات قاصراً، كما كان في الماضي، على أبناء الطبقات الدنيا من المجتمع، بل امتد لينال من أبناء الطبقات الراقية أيضاً، وأصبحت عادات سيئة كالشم أو تعاطي المخدرات من سمات أبناء الأغنياء، والطبقات ذات الأجور المرتفعة في المجتمع كالفنانين وأبطال الرياضة وأبناء التجار الذين تمكنهم قدراتهم المالية من الإنفاق الباهظ على عادات الإدمان السيئة.

إن مقاومة الخمور والمخدرات ليست عملاً تربوياً هادفاً، وحسب، وإنما هو

عمل إنساني ووطني وعربي وإسلامي. ذلك لأن أعداء الأمة العربية والإسلامية لا يألون جهداً في سبيل النيل من عضد الشخصية العربية، مستهدفين خورها وهدمها وتدمير كيانها، ولذلك يصدرون إلينا كميات هائلة من السموم البيضاء لإضعاف قوة الشباب العربي، والنيل من عزيمته وتثبيط إرادته والقضاء على قدراته واستعداداته ومواهبه، حتى يحققوا ما عجزوا عن تحقيقه عن طريق القوة العسكرية. ذلك لأن شبح المخدرات يستبد بالمدمن ويحيله إلى حطام وركام، ويضعف من ضميره الحي، بل يهدم في جهازه العصبي. فإذا امتنع المخدر عجز عن القيام بنشاطه وتعرض لكثير من الآلام المبرحة والتشنجات والتقلصات والهلاوس والهذاءات وذلك من جراء سحب العقار المخدر أو امتناعه.

يؤدي الإدمان إلى تدهور صحة المدمن الجسمية والعقلية والنفسية والخلقية مما يؤثر على حياته وحياة المجتمع برمته[1].

ويمكن تعريف الإدمان أيضاً، بأنه حالة التسمم المزمن ذات الآثار الضارة والمدمرة لحياة الفرد والمجتمع. ومن خصائص الإدمان ما يلي:

١ ـ إنه قوة قهرية، ورغبة ملحة لتعاطي العقار والحصول عليه بأية وسيلة.
٢ ـ الاتجاه المستمر لزيادة الجرعة.
٣ ـ الاعتماد النفسي والجسمي على العقار.
٤ ـ له أعراض جانبية شديدة عند التوقف عن أخذ العقار[2].

---

(١) د. سامي مصلح، رحلة في عالم المخدرات، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٨٦ م ص ٩.

(٢) د. أحمد عكاشة، الطب النفسي المعاصر.

الادمان بسبب الجنون

وتشير الجمعية المصرية للطب النفسي في دليل تشخيص الأمراض النفسية إلى الذهانات الكحولية، أي الأمراض العقلية الناجمة عن تعاطي أو إدمان الكحول. ويسبب الإدمان كثيراً من المخاطر للمدمن ومن ذلك، إنه يقذف به عنوة في براثن الجريمة ومخالب الإجرام والانحراف ويجعل منه عالة على المجتمع، بل يجعله أداة إعاقة وعرقلة لمسيرة العمل والإنتاج.

ما هو الادمان؟

يمكن تعريف الإدمان بأنه حالة تعود قهري مزمن على تعاطي مادة معينة من المواد المخدرة، بصورة دورية متكررة، بحيث يلتزم المدمن بضرورة الاستمرار في استعمال هذه المادة. فإذا لم يستعملها في الموعد المحدد تظهر عليه أعراض جسمية ونفسية، بحيث تجهده وتقهره للبحث عن هذه المادة وضرورة استعمالها بأي شكل من الأشكال. وأهم خصائص هذه الحالة ما يلي:

الخصائص العلمية لحالة الادمان:

١ ـ الرغبة القهرية والمتسلطة على المدمن للاستمرار في تعاطي المخدرات والحصول عليها بأي طريقة من الطرق.

٢ ـ حاجة المدمن للزيادة المضطردة في الجرعات التي يتعاطاها نظراً للنقصان التدريجي لتأثير الجرعة على الجسم كلما تعود عليها.

٣ ـ اعتماد المدمن فسيولوجياً ونفسياً وعقلياً على المادة المخدرة وعلى تأثيرها.

١ ـ الهذيان الارتعاشي.

٢ ـ ذهان كورساكوف.. ويمتاز باضطراب الذاكرة والعجز عن إدراك الزمان والمكان والتهاب الأعصاب في الأطراف.

٣ ـ الخيلولة الكحولية وتظهر فيها الهلاوس السمعية أي إدراك أشياء غير موجودة.

٤ ـ حالة كحولية البارانوية . أي التي تتسم بالشعور بالاضطهاد.

وهناك اضطرابات كحولية أخرى وحالات أخرى مقترنة بالاعتماد على العقاقير.

هل الادمان سبب أم عرض؟ هل هو الذي يسبب الجنون أم أنه أحد أعراض الجنون ونتائجه؟

وتشير الجمعية إلى إمكان كون الإدمان سبباً للإصابة بالعصاب النفسي أو الذهان العقلي، وإلى إمكان كون الإدمان عرضاً لمرض نفسي أو عقلي، ومؤدي هذا أن الأمراض النفسية أو العقلية قد تدفع بصاحبها إلى هاوية الإدمان، أو أن الإدمان قد يؤدي إلى الإصابة بالمرض العقلي أو النفسي. ويؤدي تعاطي الحشيش مثلاً إلى حالة الاعتياد أو التعود القهري المزمن أو البسيط على الحشيشة أو غيره من المخدرات، حيث يجد الفرد نفسه مدفوعاً لتعاطي العقار بصورة قهرية وكأنه مسلوب الإرادة[1].

ظهور أعراض سحب العقار المخدر وامتناعه عن متناول يد المدمن:

وتتطلب دقة تشخيص حالات الإدمان وجود دليل على استعمال المريض للمخدر بصورة تعودية أو اعتيادية يعاني فيها المريض من الحاجة الملحة المتسلطة عليه للعقار. ومع ملاحظة أن ظهور أعراض سحب العقار أو منع تعاطيه لا يكفي لتشخيص الحالة على أنها إدمان، ذلك لأن أعراض سحب العقار تظهر في حالة الأفيون ومشتقاته، ولكنها لا توجد في حالة الكوكايين والحشيش.

ما الفرق بين الادمان الفسيولوجي والادمان السيكولوجي؟

وجدير بالملاحظة أن نؤكد أن هناك نوعين من الإدمان: الأول الإدمان النفسي أو السيكولوجي وهو عبارة عن رغبة للاستمرار في تعاطي العقار لتحقيق الشعور بالانتباه. أما النوع الثاني فهو الإدمان الفسيولوجي أو الجسمي، حيث تعتاد خلايا الجسم على المخدر ولا تعمل بدونه، ويصبح الإنسان مقهوراً أمام إدمانه. ويعاني الفرد من رغبة عارمة أو اجتياح أو قهر للاستمرار في التعاطي والرغبة في زيادة الجرعة مع التدهور المستمر والمتلاحق في شخصية المريض مع ظهور أعراض الانقطاع بسرعة عند توقف إمداد المريض بالعقار.

---

(١) الجمعية المصرية للطب النفسي، دليل تشخيص الأمراض النفسية، ١٩٧٩، ص ١٩.

وهناك العديد من المخدرات، منها ما يؤثر على الجهاز العصبي تأثير التنويم أو التخدير، ومنها ما يؤدي إلى اليقظة والسهر وطرد النوم. وهناك المخدرات الطبيعية مثل الأفيون والذي يستخلص من نبات الخشخاش، والحشيش الذي يستخرج من أوراق نبات القنب الهندي، ومن أهم المخدرات المنومة أو المنومات أو المهدئة للأعصاب الحشيش والأفيون وعائلته، وتشمل هذه العائلة الكوداايين والمورفيين، ويشمل هذا الأخير أنواعاً كثيرة أهمها الهيرويين. أما المخدرات المنبهة أو المنشطة للأعصاب فمن أهمها الكوكايين والامفتيامين والريتالين وغيرها، مما يعرف بإسم عقارات الهلوسة. ومن الأقراص المهدئة للأعصاب والمجلبة للنوم الڤاليوم.

في حقيقة الأمر الخمر ليس إلا عقاراً مخدراً فهو مادة كيميائية تؤدي إلى حدوث تغيرات فسيولوجية عندما يتم هضمها، ولكن كلمة المخدرات تعني بالنسبة لكثير من الناس مجرد الأقراص والبودرة والمواد المخدرة الأخرى، وهناك أنواع متعددة من المخدرات ذات الأثر النفسي الفعال والسيء.

أ ـ مخدرات مسكنة أو مهدئة للأعصاب أو مهبطة أو مجلبة للنوم:

وتشتمل على الحشيش والكوداايين والأفيون «في شكله الخام» والمحبب والبودرة والسائل إلى غير ذلك من أشكال الاستحضار الأخرى. كما تشمل مشتقات الأفيون مثل «المورفين والهيرويين» وغيره[١].

ب ـ المخدرات المنبهة أو المنشطة وآثارها المدمرة:

ولها عكس خصائص الأولى، فتطرد النوم، وتزيد من التنبيه العصبي، ومنها الكوكايين والبنزدرين والميكالين والامفيتامينات وغير ذلك من عشرات المستحضرات الكيميائية الحديثة.

وتقسم المخدرات على أساس أصل المادة التي حضرت منها المخدرات على النحو الآتي:

---

(١) Sarason, I.G. and sarason, B.R., Abnormal psychology, 1987.

أ ـ مخدرات طبيعية: وهي إما أن تستخدم كما هي في حالتها الطبيعية أو تستخدم بعد تحويرها تحويراً بسيطاً عن أصلها النباتي كالخشخاش والقات وشجر الحشيش والكوكايين.

ب ـ المخدرات التخلقية أو المصنعة: وهي التي تصنع في المعامل أو المختبرات بالطرق الكيميائية.

وتؤثر على الأجهزة العصبية، وتنقسم إلى مواد منومة ومواد منبهة ومواد مهلوسة وتأخذ شكل الأقراص أو الحبوب أو الكبسولات أو البودرة أو السائل.

قد تقسم المخدرات على أساس اللون إلى مخدرات بيضاء مثل مكونات الأفيون الطبيعية ومشتقات المورفين ومواد منومة ومنبهة مثل الماكستون وأخرى قاتمة مثل الحشيش والأفيون. ويوجد حالياً أكثر من مائة مادة مخدرة مدرجة تحت الرقابة التخليقية غير تلك التي لم تدرج بعد كما تشكل هذه المادة الأخيرة نحو ٧٠٪ من مجموع المواد المخدرة.

أنواع الادمان:

هذا وهناك أنواع متعددة من الإدمان منها ما يلي:

١ ـ الإدمان الكحولي.

٢ ـ إدمان المنشطات.

٣ ـ الإدمان القنابي.

٤ ـ إدمان الكوكايين.

٥ ـ الإدمان الهلوسي.

٦ ـ الإدمان القاتي.

٧ ـ الإدمان الأفيوني.

٨ ـ إدمان المذيبات المتطايرة كرائحة البنزين والكولا[1].

---

(١) محمد السيد أرناؤوط، المخدرات والمسكرات بين الطب والقرآن والسنة، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣٣.

تأثير المنومات والمهدئات على الجهاز العصبي وعلى الصحة:

وهي عبارة عن ملح حامض البربتيوريك، ويستخدم كمسكن أو منوم أو لتهدئة الأعصاب. المنومات مثل عقار فينوبارميتال وكذلك المهدئات مثل الڤاليوم تصنف معاً لأن لكل منها تأثيراً في خفض نشاط الجهاز العصبي. ويحدث هذا التأثير عن طريق التدخل في انتقال التيارات العصبية عن طريق منع إفراز بعض المواد أو إفراز بعض المواد المانعة لانتقال التيار العصبي.

هذه العقاقير تقلل من حدة شعور الإنسان بالقلق أو الحصر، وتمنع حالة السهاد أو السهر أي الأرق. كما تؤثر في العديد من الوظائف البدنية.

وينتشر استخدام هذه العقاقير في مجتمع كالمجتمع الأمريكي إلى حد استخدام ٣٠٠ طناً سنوياً من هذه المهدئات والمنومات.

يصف الأطباء المنومات للراحة من الحصر أو القلق ولمنع حالات التقلص والتشنج. ومن المؤسف أن نلاحظ استخدام المدمن لخليط من هذه المنومات مع الكحول أو الهيروبين مما يضاعف من حجم الآثار المدمرة.

الجرعات الصغيرة من المنومات تساعد على النوم، ولكنها إذا استخدمت لفترات طويلة أدت لحدوث اضطرابات في النوم.

والجرعات الكبيرة تؤدي إلى الإثارة التي يتبعها اضطراب في الكلام، وفقدان التآزر، والاكتئاب الشديد، وإعاقة التفكير والتذكر.

ومن الطبيعي أن ينمي الجسم مزيداً من القدرة على تحمل كميات كبيرة من هذه المنومات، وتلك المهدئات، ونظراً لزيادة قدرة الجسم على الاحتمال، فإن المدمن يحتاج لكميات متزايدة من العقار لإحداث نفس التأثير التسممي.

هذه العقاقير تكون في المدمن عادة الاعتماد نفسياً وفسيولوجياً على العقار، فلا يستطيع الاستغناء عنه. وإذا ما تشبث الإدمان بالمريض، فإن انقطاعه المفاجىء يسبب كثيراً من المعاناة للمريض، منها الهذيان أو الهتر أو اضطراب الوعي والتقلصات أو

التشنجات. وقد تؤدي الحالة إلى وفاة المدمن. ويميل المدمنون إلى أكل المنومات أثناء النهار وأخذ جرعة عند النوم، وقد يتم التعاطي عن طريق الحقن في الوريد. ويلجأ بعض المرضى لجمع كميات كبيرة منها عن طريق زيارة أكثر من طبيب في وقت واحد، لكي يصف لهم كل منهم قدراً منها. وتستخدم في الانتحار ومحاولاته. ومن الملاحظ حدوث نكسات أو ارتداد وعودة للمخدر لأن المدمن يتصور خطأ أنه علاج سهل للهروب من التوتر والقلق أو الحصر ومن الشعور بعدم المواءبة.

ويجهل كثير من الناس الآثار الإدمانية الضارة للمهدئات. فقد تؤدي إلى الوفاة إلى جانب أعراض الانسحاب المختلفة. ويزداد خطر المهدئات عندما تؤخذ مقترنة أو مختلطة بالكحول أو غيره من العقاقير.

وهناك مواد مخدرة يفرزها المخ بصورة طبيعية، ولها تأثير المورفين في تسكين الآلام. ويمكن أيضاً تصنيع هذه المواد المخدرة، فعلى سبيل المثال ينتج المخ والغدة النخامية مادة مخدرة. ويستخدم المورفين للتغلب على الآلام. وتسبب المخدرات هذه تغيرات في المزاج وفقدان النوم والغشاوة العقلية وغير ذلك من الآثار الجسمية السلبية. وقد تؤدي الجرعات الكبيرة إلى توقف التنفس ثم إلى الوفاة.

وعندما ينسحب العقار من المريض، يعاني من العرق والآلام المبرحة في عضلاته ومن الدوخة والغثيان أو قلبان المعدة والقيء والإسهال. وفي الغالب ما يتم علاج إدمان هذه المواد المخدرة بإعطاء المرضى مواد بديلة، ولكن ليس لها خاصية الإدمان.

أما الكوكايين فيشتق من أوراق نبات الكوكا. وتعاطيه يؤدي إلى كثير من الأضرار منها زيادة معدلات ضربات القلب، وارتفاع ضغط الدم، وارتفاع درجة حرارة الجسم، ويؤدي إلى فقدان الشهية، والشعور بالألمعية واليقظة الزائدة عن الحد..والجرعات الكبيرة تؤدي إلى حالة من الهوس أي الحركة الزائدة. وقد تؤدي إلى حدوث الجلطة الدموية، والكوكايين من المواد ذات التأثير القوي الذي يصعب التحكم فيه.

أما مجموعة المخدرات المعروفة بإسم الامفتبامين، فتؤدي إلى زيادة الحركة

والحيوية، لأنها مجموعة عقارات منبهة أو منشطة. والجرعات الكبيرة تؤدي إلى النرفزة والصداع والدوخة والتهيج وغير ذلك من الأعراض. ويصبح المريض عابثاً وغير مبال للقيم والمعايير والمسئوليات الاجتماعية. كما تؤدي إلى سوء التغذية والشعور بالتعب والإرهاق وعدم الانتباه، أما عقار الهلوسة فيؤثر على قدرة المريض على الإدراك للمثيرات الداخلية والخارجية، ويجب أن يتناول العلاج منع حدوث مضاعفات في الجهاز القلبي الوعائي التنفسي للمريض.

وهناك عقار يسبب انفصال الفرد عن البيئة المحيطة به، ويعجز المريض عن فهم الحقيقة ويعاني من كثير من الاضطرابات العقلية والانفعالية.

ومعروف أن الماروانا مشتقة من الأوراق الجافة ومن الزهرة العلوية لنبات القنب الهندي، وهي أكثر المواد المخدرة غير المشروعة استعمالاً في الولايات المتحدة الأمريكية. وتؤدي إلى إعاقة التآزر الحركي والإدراك الحسي والذاكرة قصيرة المدى، كما تعوق قدرة الفرد على التعلم[1].

هذه صورة عامة عن المخدرات وأنواعها وآثارها الضارة بصحة الفرد الجسمية والعقلية والنفسية والمؤدية إلى تدهور حالته وهدم حياته وأسرته. وجدير بالتساؤل أن نعرف ما هي الأسباب التي تدفع بالبعض إلى تعاطي المخدرات؟

أسباب تعاطي المخدرات لدى الشباب المعاصر: النظرية الشمولية في التفسير:

يمكن استخلاص الأسباب التي تدفع للإدمان من خلال عدد من الدراسات الميدانية التي تناولت الإدمان في المجتمع.

ومما يزيد من ضخامة مشكلة المخدرات أن كثيراً من شبابنا العربي ومراهقينا، وهم ما يزالون في عمر الزهور يسقطون في مستنقع الإدمان ويخرجون في هاوية سحيقة من البؤس والشقاء. وتتعدد الأسباب والعوامل التي قد تدفع إلى هاوية الإدمان ـ من ذلك ما يلي:

---

(١) مرجعهما السابق ص ٣٩٥ Sarason.

١ ـ مجاراة رفاق السوء في المناسبات الاجتماعية إظهاراً للرجولة أو للنضج بمعنى حب التقليد والمحاكاة.

٢ ـ الرغبة في خوض غمار هذه التجربة وتذوق مذاق المخدر أو الخمر لدى المريض فيجرفه التيار ولا يستطيع العودة إلى بر الأمآن.

٣ ـ الاعتقاد الزائف بأن المخدرات تساعد على نسيان الهموم والمشاكل، فالتعاطي يكون هنا هروباً من مشكلة أو أزمة أو كارثة.

٤ ـ الرغبة في إزالة ما قد يعانيه الفرد من التوتر والقلق والصراع والتأزم الداخلي.

٥ ـ الرغبة في النشوة الزائفة أو الفرحة والابتهاج.

٦ ـ التأثر باعتقاد خاطىء مؤداه أن المخدرات فاتحة الشهية، مع أنها في الحقيقة تؤدي إلى فقدان الشهية. ومن ثم أمراض سوء التغذية كفقر الدم، بل إن المخدرات تؤدي بعدها إلى حالة من البؤس والكآبة والضيق والآلام، وفقدان الوعي والإدراك والتوازن والتماسك.

٧ ـ قد تؤدي العوامل الثقافية المحلية إلى انتشار ظاهرة الإدمان بين طوائف معينة من أبناء المجتمع.

٨ ـ قد يؤدي سوء التوافق النفسي أو الاجتماعي إلى اللجوء إلى المخدرات، في حالة تعرض الإنسان لكارثة شديدة كفقدان عزيز. فالأمراض النفسية أو الذهانية أو الاضطرابات الخلقية أي السيكوباتية قد تؤدي بأصحابها إلى الإدمان.

٩ ـ المشاكل الأسرية بما في ذلك التصدع والصراع والطلاق والانفصال والخيانة وما إلى ذلك. . .

١٠ ـ من العوامل الرئيسية في حدوث الإدمان قلة الوعي أو الجهل بأخطاره.

١١ ـ المعاناة من الأمراض المؤلمة قد تدفع صاحبها لاستخدام العقاقير المخدرة لتسكين الآلام، فيحدث الإدمان.

١٢ ـ وقد يتعاطى بعض الناس المخدرات اعتقاداً منهم بأنها تزيد من قوتهم في النشاط الجنسي، وخاصة ممن يعانون من بعض الاضطرابات الجنسية كضعف الانتصاب أو سرعة القذف.

١٣ ـ نشأة الفرد في جو عائلي يتعاطى المخدرات، فلقد وجد أن آباء المدمنين كانوا أيضاً مدمنين.

١٤ ـ ضعف المشاعر الدينية والوعي الديني وعدم احترام المجتمع وتقاليده وقوانينه.

١٥ ـ حرمان الطفل أو المراهق من المتابعة الوالدية أو الإشراف الأبوي الدقيق بسبب انشغال الأب أو غيابه.

١٦ ـ الإسراف في تدليل الطفل وإغداق العطف عليه وتلبية كافة متطلباته أينما وكيفما ومتى شاء ويدخل في هذا النطاق الإسراف في إعطاء النقود للمراهق مما يمكنه من العبث بها.

١٧ ـ تعرض الفرد لكثير من مواقف الفشل والإحباط والإعاقة أو الإحساس بالظلم الاجتماعي.

١٨ ـ من العوامل السيئة ذات الآثار السلبية الكثيرة البطالة الفعلية أو المقنعة التي يتعرض لها الشباب.

١٩ ـ تفشي الفساد ووجود بؤر للانحراف تعد مدارس لتعليم الإدمان وتخريج ضحاياه.

٢٠ ـ عدم توفر فرص النشاط الإيجابي لقتل أوقات الفراغ مما يؤدي إلى الشعور بالملل.

٢١ ـ الأخطاء التي ترتكبها أجهزة الإعلام العربية بتصوير مشاهد من الإدمان قد تغري ضعاف النفوس.

٢٢ ـ إساءة استعمال الحرية المعطاة للشباب.

٢٣ ـ ضعف سلطان الأسرة وتخلل الروابط بين أعضائها.

٢٤ ـ زيادة شعور المراهق بالولاء لجماعة الأنداد والزملاء أكثر من شعوره بالولاء للأسرة.

وتؤكد شعبة المخدرات التابعة لهيئة الأمم المتحدة في كتابها الذي نشرته سنة ١٩٨٢ م عن «الأمم المتحدة ومراقبة العقاقير» أن الأسباب التي تؤدي إلى إساءة استعمال المواد المخدرة كثيرة متباينة، ولعل أكثرها تأثيراً حسب الاستطلاع الذي أجري على الشباب هو:

١ ـ تأثير الشبان الآخرين عليهم.

٢ ـ ضغط الجماعة وسوء الصحبة في المدرسة أو الجامعة أو النادي أو في مكان العمل أو في السكن.

٣ ـ الأفكار الخادعة بقدرة المخدرات على زيادة الإشباع الجنسي وإتاحة المتعة والسرور والانشراح.

٤ ـ عوامل الهجرة والتحضر السريع والبطالة ونمو الأحياء الفقيرة، وهي تمثل مجموعة عوامل متشابكة مؤدية إلى اختلال النظام الاجتماعي، وتفشي المشاكل الاجتماعية، ومن أمثلة هذه المشاكل تفسخ النسيج الاجتماعي للمجتمع وتفكك الأسرة وضعف الإشراف الأبوي، وانعدام المواقف الإيجابية تجاه المجتمع، وحالات الإحباط لا سيما بين الشباب الذين واجهوا مخاطر البطالة وضعف لديهم الشعور بالانتماء.

٥ ـ وقد يؤدي الإحساس بأن الفرد غير مرغوب فيه والفقر والتوترات التي تخلقها البيئة أيضاً إلى إساءة استعمال المواد المخدرة كوسيلة للهروب، كما يبدو أن هناك علاقة بين تعاطي العقاقير وبنية المؤسسات الاجتماعية وكيفية عملها، وقد أصبح يشاع في المجتمعات الصناعية المثل القائل بأن هنالك «قرصاً لكل مشكلة» وقد أدى ذلك إلى نشوء علاقة بين الطلب المستمر على العقاقير ذات التأثير النفسي والاستعمال المتزايد للعقاقير في هذه المجتمعات الأمر الذي أصبح يفرض على الأطباء، اليقظة الدائمة للحيلولة دون إساءة استعمال العقاقير وعليهم أن يستغلوا علاقاتهم الخاصة بالمرضى في حل المشكلات النفسية والجسدية بوسائل أخرى غير تعاطي العقاقير[١].

وأخيراً لا بد من تضافر كافة المنظمات الاجتماعية لحماية الشباب من الوقوع في مستنقع الإدمان.

---

(١) محمد السيد أرناؤوط، مرجعه السابق ص ٧٧.

الفصل الثالث

الوعي السيكولوجي والأمراض العقلية

- ذهان الفصام
- أساليب تشخيص ذهان الفصام
- علاج مرض الفصام
- الدراسات العلمية في ذهان الفصام
- نظريات تفسير ذهان الفصام

ذهان الفصام

ذهان الشخصية Schizophrenia، .يعد من أخطر الاضطرابات العقلية السلوكية الوظيفية، أي تلك الاضطرابات التي لا ترجع إلى أسباب عضوية Organic Causes، حيث لا يوجد أساس عضوي لهذا الاضطراب العقلي. ولقد وجد الخلل العقلي في التراث الشرقي القديم معبراً عنه بالتماثيل وفي العصور الوسطى وصف الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه القانون في الطب بعض حالات الخلل العقلي كالحزن الشديد ولقد استخدم إميل كربلين مصطلح العته المبكر للإشارة إلى هذا الاضطراب قبل أن يعرف بإسم فصام الشخصية[1]

Emil Kraepelin used the trem dementia praecox

وفي عام (١٩١١ م) تغير هذا المصطلح إلى الفصام على يد يوجين بلولير Eugen Bleuler الذي اعتبر أن لفظ Schizophrenia أكثر تعبيراً عن حالة الانفصام في التفكير Frogmentation، تلك التي تعد العرض الأول لهذا الاضطراب أي حالة الانقسام إلى شظايا. ولقد اعتبر كريبلين هذا الاضطراب ذهاناً عضوياً أي ناجم عن خلل عضوي.

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، باثولوجيا النفس، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية ١٩٨٩ م.

فلقد عزا هذا الذهان إلى خطأ في وظائف الغدد الجنسية، ونتيجة هذا الخطأ في وظائف هذه الغدد، يحدث نوع من عدم التوازن الكيميائي الذي يؤثر بدوره في الجهاز العصبي للمريض. ولقد كانت جميع التفاسير ترجع الأمراض العقلية والنفسية إلى عوامل جسمية ولفظة Praecox اللاتينية التي تشير إلى عدم النضج استخدمها لكي تشير إلى هذا الاضطراب. وكان يعتقد أن هذا الاضطراب يحدث مبكراً في حياة الفرد، أي في مرحلة المراهقة، ثم أضاف لفظة العته Dementia لأنه اعتقد أن هناك تدهوراً عقلياً يحدث، ولا يمكن البرء منه(١). ولقد اتفق بلولير مع كربلين على أن هذا الاضطراب يرجع إلى سبب عضوي، ولكنه اختلف معه في اعتقاده بأنه يبدأ في مرحلة المراهقة أي في السن المبكرة كما أنه اختلف معه في أنه لا يمكن برؤه أو شفاؤه وأعتقد أن السمة الرئيسية لهذا الاضطراب هي انقسام الوظائف Schizein في العقل (Phren) بمعنى فقدان الترابط أو التداعي (Associmtions) ووجد عاطفة أو وجدان غير ملائم Inappropriate affect إلى جانب التذبذب الشديد أو التناقض Ambivalence. والتفكير الذاتي. والآن يستعمل مصطلح ذهان الفصام وإن كان رأي بلولير لا يؤخذ به أو لا يستعمل

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكن أن يتم تشخيص حالة الفصام(٢)؟

أساليب تشخيص ذهان الفصام

لأساليب تشخيص ذهان الفصام أهمية كبيرة Diagnosis of shizophrenia وذلك لإصدار الحكم الصائب على المريض، توطئة لوضع خطة أو برنامج صائب للعلاج. والمفروض أن يتم التشخيص أي التعرف على نوع المرض وتحديد مقدار خطورته، أن يتم على أسس موضوعية وعلمية ودقيقة، لأن للخطأ أضراراً جسيمة على صحة

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، أمراض العصر.

(٢) Shanmugam, T.E., Abnormal psychology, 1981.

الفرد وعلى أسرته[١]. ومؤدى ذلك أن التشخيص لا بد وأن يعتمد على الأدوات أو المقاييس المقننة، أي تلك التي ثبت صدقها Validity وثباتها Reliability فالمقياس الصادق يقيس فعلاً ما وضع أجل قياسه، والمقياس الثابت يعطي نفس النتائج كلما أعيد تطبيقه على نفس الفرد أو الأفراد وتحت نفس الظروف.

ومن حيث التعريف، فإن دليل الجمعية الأمريكية للطب العقلي DSM-II يحدد معنى ذهان الفصام بقوله إنه اضطراب في التفكير A thought disorder يمتاز بظهور أعراض مثل الهذيان Delusions أو الهذاءات وهي عبارة عن الاعتقاد في أفكار غير صائبة أو أوهام أو ضلالات، كأن يعتقد المريض أنه أصبح مجوفاً أو أنه مصنوع من الخزف ويخشى على نفسه من التكسير. ومن الأعراض المميزة كذلك للفصام وجود الهلاوس Hallucinations وهي عبارة عن مدركات حسية، سمعية، وبصرية، وشمية ولمسية، يدركها المريض ولكنها غير موجودة في عالم الواقع. كأن يسمع أصواتاً تسبه وتقذفه وتتوعده وتتهمه، أو يرى أشباحاً أو طيوراً أو يشم رائحة سم أو غيره دون أن يكون لذلك أي أساس في عالم الواقع. ويضاف إلى هذه الأعراض اضطرابات المزاج Mood disorders ويتضمن هذا الانفعالات غير الملائمة أو الاستجابات الانفعالية غير الملائمة والتذبذب الانفعالي أو التناقض العاطفي أو الانفعالي، كأن يشعر المريض بالحب وبالكراهية تجاه شخص بعينه Ambivalence والانفعالات العنيفة إلى جانب السلوك المضطرب، ويتضمن النكوص أو الارتداد أو الرجوع إلى الوراء Regression كالعودة بالسلوك إلى الحياة الطفلية، وسلوك الانسحاب أو العزلة أو الانطواء Withdrawal. وهناك تعريف إنجليزي لذهان الفصام أكثر دقة، حيث يشير إلى اضطرابات في الشخصية، تتضمن مشاعر بالغرور والتميز والتوجيه الذاتي، واضطرابات التفكير مع الضلالات أو الهذاءات التعليلية، والتي تتأثر بموضوعات العالم الخارجي. هذه الموضوعات قد تكون طبيعية، وقد تكون خرافية أو فوق

(١) عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الطبي، منشأة المعارف بالاسكندرية.

الطبيعة Supernatural مع وجود إحساس غير سعيد، وهذه الإحساسات المرتبطة بالهذاءات أو الضلالات أو الأفكار الزائفة مع الميل للتحدث بصوت مرتفع.

وهناك صعوبة في وضع منهج دقيق لتشخيص ذهان الفصام، وخاصة في ضوء اختلاف تعريف هذا الذهان. وهناك اختلافات نحو الأعراض المصاحبة للفصام في كل من إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا. ولكن هناك سمات عامة لهذا الاضطراب، منها أنه اضطراب فكري، وذلك من حيث الشكل والمحتوى أي من حيث تنظيم الأفكار، ومن حيث محتوى الأفكار التي يتم التعبير عنها. ففي الفصام هناك معاناة من عدم التنسيق أو التماسك أو التوحد بين العمليات الفكرية، ومن أمثلة اضطراب الشكل الحالة الآتية:

سؤال : كم يبلغ عمرك؟

الرد : لماذا أنا عمري عدة قرون؟

سؤال : منذ متى وأنت هنا؟

الرد : إنني هنا الآن في هذه الشركة حاضراً وغائباً لمدة طويلة. لا أستطيع أن أذكر هذا الوقت بالضبط لأننا مشغولون بالهواء في الليل وهم يحضرون الناس ثانية: إنهم يقتلون كل شيء، إنهم يستطيعون أن يجعلوك تكذب إنهم يستطيعون أن يتحدثوا من خلال زورك.

سؤال : من يكون هذا؟

الرد : لماذا الهواء؟

سؤال : ما هو إسم هذا المكان؟

الرد : هذا المكان يسمى النجم.

سؤال : من هو الطبيب المسئول عن عنبرك؟

الرد : جسم بالضبط مثلك يا سيدي. إنهم يستطيعون أن يجعلوك أسوداً أو أبيضاً».

نقول من الأعراض العامة للفصام اضطراب التفكير أو الفكر Thought disorder وكذلك اضطراب اللغة Disorder of Language ومن أظهر ذلك استخدام الألفاظ

الجديدة أو التعبير الجديد Neologism فقد يستخدم المريض عبارات وألفاظ ويربطها مع بعضها، ولكن دون أن يكون لها معنى، وقد تحمل معاني وأفكار واضحة. ويلاحظ على مريض الفصام ما يمكن أن نسميه خليط من الكلمات (Salad) إشارة إلى عدم تنظيم كلام المريض، ويظهر حديثه فقراً في المعاني والأفكار وتفككاً أو انحلالاً في الكلمات.

إلى جانب هذه الأعراض هناك اضطرابات في الإدراك الحسي للمريض Disorder of Perception حيث يوجد أدلة تؤكد أن مريض الفصام يدرك العالم بطريقة مختلفة عما يدركها الأسوياء، حيث يعتري إدراكهم الخطأ والخلط والفساد من حيث الزمن والحجم أي التحريف والتشويه Distortion.

كذلك يجد الفصاميون صعوبات في التعرف على الأشخاص، وفي فهم كلامهم وهم يعانون من التغيرات الشمية Offactory Changes ويشعرون أن أجسامهم تصدر روائح كريهة أو غير محببة. وفي المجال السمعي يعاني المريض من الهلاوس السمعية Auditory hullucinations ويتبعها الهلاوس البصرية Visual. يغلب الخيال على المدركات الحسيـة لدى المرضى الفصاميين Imageries ويكمن الفرق بين خيالات الأسوياء وهلاوس المرضى في مقدار البعد عن عالم الحقيقة، حيث لا يتصل بعالم الحقيقة. والخيالات لدى المرضى غير منظمة أو مضطربة. ويجد المريض صعوبة في التمييز بين ما هو مناسب وما هو غير مناسب Irrelevant إلى جانب ذلك هناك اضطراب العزلة أو الانسلاخ Disorder of Alienation حيث ينسحب مريض الفصام من عالم الحقيقة والواقع، ويشغل باله بالخيالات والأوهام Fantasis ويصاحب هذه الحالة ضيق في مجال الانتباه والتركيز وتتسم الحياة العقلية لدى الفصامي بالجمود والتحجر. ويظهر ذلك في مجرد تكرار الفصامي للكلمات آلياً، تلك التي يسمعها من الغير دون وعي ولا يستطيع الفصامي أن يتكيف بطريقة اجتماعية.

وهناك كذلك اضطراب العاطفة أو الوجدان The disorder of affect أو الشعور. فقد يعاني من الفصام التام للشعور، كأن لا يبدي أي تأثر أو أي اهتمام بما يدور حوله من الأحداث أو يبدي انفعالاً، ولكنه انفعال غير ملائم للموقف المثير. فعلى سبيل

المثال قد نراه ضاحكاً مسروراً في موقف وفاة أحد الأصدقاء المقربين، وقد يبكي إذا دخل الامتحان ويعاني مريض الفصام من الانسحاب من عالم الحقيقة والواقع Withdrawal from reality.

ففي الوقت الذي نجد فيه أرباب الفصام البسيط تربطهم علاقة غير ثابتة ومضطربة بعالم الواقع، ينسحب الفصاميون أرباب الفصام الشديد انسحاباً كلياً من عالم الواقع، وينغمسون في الأوهام والخيالات، وبذلك ينسحب المريض إلى عالمه الخاص به، حيث دلت بحوث كثيرة على أن الفصامي يفضل أن يظل على مسافة من الناس أو يظل بعيداً عن الناس. ولاحظ بعض العلماء أن الفصامي لا يحملق في البعض أو يتفرسهم، كذلك فإنه يتحاشى أو يتجنب أن ينظر إليه الآخرون، إن عالم الفصامي، وكذلك تفسيراته للعالم تتمركز حول ذاته هو، ابتسامة الناس في وجهه يأخذها بأنها سخرية أو عدم قبوله.

هناك محاولات لدراسة ذهان الفصام عن طريق أحداثه صناعياً في الأشخاص الأسوياء وذلك عن طريق الحرمان الطويل من النوم أو إعطاء بعض العقاقير التي تحدث أعراضاً تشبه الأعراض التي يظهرها مريض الفصام الطبيعي.

وهناك أنواع فرعية من ذهان الفصام مثل الفصام البسيط والفصام المبكر أو فصام الشباب Hebephrenia والفصام الكاتاتوني أو التخشبي أو التصلبي والفصام الاضطهادي وفصام الطفولة وفصام المراهقة والفصام الشعوري والفصام الحاد والفصام المزمن والفصام غير المميز وبقايا الفصام.

علاج مرض الفصام

كان علاج هذا المرض قديماً صعباً للغاية، ولكن في السنوات الأخيرة أصبح هذا الأمر ممكناً إلى حد كبير، وإن كان ما زال من الصعب تحقيق الشفاء التام والكامل[١]. فبالنسبة لمرضى العيادات الخارجية يجري إعطاؤهم المعالجات

(١) عبد الرحمن العيسوي، العلاج النفسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٣.

الكيميائية عن طريق المهدئات والمنشطات والعقاقير المضادة للقلق

Tranquilisers, energisers and antianxiety drugs

وهناك نظام يبقى فيه المريض نصف اليوم داخل المستشفى وذلك للحالات الأكثر حدة وشدة والحالات المزمنة والمرضى الذين تصدعت أسرهم. من بين المناهج العلاجية المستخدمة مع الفصاميين العلاج الجماعي، وفيه يشترك المرضى وينخرطون في مناشط جماعية، إلى جانب استخدام العلاج الفردي وفي كثير من الحالات تبين أن العلاج الجماعي أفضل من الفردي ومن تلك الوسائل العلاجية منح المرضى مكافآت مالية نظير أعمالهم وكذلك علاج البيئة

Token economy and milieu therapy

وفي هذا يقوم المريض بعمل ينظمه بنفسه، وهناك العلاج عن طريق الموسيقى والفن التشكيلي والدراما والعلاج السلوكي والعلاج بالتحليل النفسي والعلاج بالكتب وبالماء. . . إلخ.

الدراسات العلمية في ذهان الفصام

هناك كثير من الدراسات التي تجري على مرضى الفصام أي ذهان الفصام، وهو مرض عقلي وظيفي. يصيب الوظائف العقلية لدى المريض، كالتفكير والتخيل والتصور والإدراك والتذكر والاستدلال، وإدراك العلاقة بين العلة والمعلول، كما يمتاز هذا المرض بحدوث خلل في الحياة الانفعالية أو العاطفية لدى المريض، من ذلك فقدان الحساسية للمثيرات الانفعالية، أو يصاب بالبلادة الانفعالية وبالاضطراب، بحيث لا يبدي أية انفعالات على وجه الإطلاق في المواقف التي تحتاج إلى التعبير عن بعض الانفعالات، أو يبدي انفعالات لا تتفق مع طبيعة الموقف المثير، كأن يضحك في موقف جاد أو في موقف مثير للحزن، ومن أعراض الفصام كذلك عدم التحكم في الانفعالات والمعاناة من الهلاوس، وهي مدركات حسية زائفة، حيث يدرك أشياء وموضوعات غير موجودة في عالم الحقيقة، فقد يسمع أصواتاً أو يرى أشباحاً. ويعاني من الهذيان أو الضلالات أو الهذاء، والهذاء فكرة زائفة كأن يتصور أن الناس تحيك له مؤامرة لاغتياله[1] أو غير ذلك من الضلالات.

وفي هذا الاضطراب العقلي الخطير تجري الدراسات والبحوث، ولذلك تم تصنيفه إلى عدة أنماط فرعية، وتم استحداث أعراضه صناعياً عن طريق تعاطي بعض

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، أمراض العصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣ م.

العقاقير، من ذلك ما يعرف بإسم فصام العمليات Process Schizophrenia وهناك فصام رد الفعل Reactive Schizophrenia ويمتاز هذا النوع من ذلك الاضطراب العقلي بالظهور فجأة ويمر بمراحل.

أما فصام العمليات فينمو ببطء وبالتدريج، ويمتاز بفقدان الاهتمام، وأحلام اليقظة، والعزلة، وما إلى ذلك من الأعراض. ويكمن فيها كثير من العوامل الوراثية والعضوية Genetic and Organic Factors بمعنى أن المريض يرث الاستعداد للإصابة بالفصام عن طريق ما ينقل إليه من جينيات(١).

ويوجد فروق بين هذين النمطين في الدافعية، والإدراك، والتعلم، والآداء، والاستجابات الشعورية.

وهناك تصنيف آخر لمرض الفصام، يقسمه إلى فصام داخلي المنشأ Endogenous/Schizophrenia وفصام خارجي المنشأ Exogenous.

ولقد وضع هذا التصنيف كربلين Kraepelin لكل الذهانات العقلية، وطبقه بعض الأطباء على حالات فصام الشخصية. الفصام داخلي المنشأ ينشأ من عوامل وراثية أما الفصام خارجي المنشأ فينشأ من ظروف خارجية.

ولقد تم قبول هذا التقسيم في الأوساط الطبية بعد القيام بسلسلة من التجارب على ما يسمى بالذهان النموذجي Model Psychosis أو الفصام التجريبي Experimental Psyohosis أي ذلك الفصام الذي يمكن إحداثه في الأشخاص الأصحاء عن طريق تعاطي بعض العقاقير. وقد وجد تشابه كبير بين هذه النماذج وبين مرضى الفصام الخاليين من الاضطرابات العقلية. وكانت هذه النماذج تظهر أعراض التسمم أو مرحلة أعراض التسمم Toxic Syndrome. وهناك منهج آخر يستخدم في إحداث الفصام هو الحرمان من النوم Sleep Deprivation.

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الطبي، منشأة المعارف بالاسكندرية، ١٩٩٠ م.

وهناك أقسام أو أنواع فرعية من ذهان الفصام مثل الفصام البسيط، والفصام المبكر، والفصام التخشبي أو التصلبي أو الجمودي، وفصام الاضطهاد، ويمكن إضافة فصام الطفولة، وفصام الشعور أو الوجدان، والفصام الحاد، والفصام المزمن، والفصام غير المميز، والفصام المتبقي.

بالنسبة للفصام البسيط، فتنمو في حالته مظاهر الشذوذ في السلوك، ويجد المريض صعوبة في الاتصالات الاجتماعية، ويمتاز بعدم المعقولية وانخفاض في معدلات الآداء والعزلة عن الحياة الاجتماعية(١).

وقد يخلط بعض الناس بين الفصام البسيط وبين التخلف العقلي Mental Retardation وذلك لأنهم (المرضى) يظهرون نوعاً من البلادة وعدم المبالاة والعجز عن تركيز الانتباه، ولديهم مستويات ضعيفة من الدافعية إلى جانب العجز العقلي الواضح، ومع ذلك فالاختبارات النفسية تكشف عن عدم إصابتهم بالتخلف العقلي، كذلك قد يخلط البعض بين الفصام البسيط والشخصية غير المتلائمة، وإن كان أرباب الشخصية غير المتلائمة يحاولون أن يقوموا بوظائفهم بكفاءة، بينما الفصاميون لا يحاولون ذلك إطلاقاً. تدل الدراسات الميدانية أن معظم مرضى الفصام البسيط ينحدرون من بيوت محطمة أو من بيوت التبني أو من البيوت غير السعيدة.

ويظهر المرض لأول مرة فيما بين البلوغ الجنسي وبداية وسط العمر، وقبل ظهور الأعراض عليهم كانوا يعانون من العجز عن التكيف الجنسي، ويمتازون بالخضوع والخجل وشدة الحساسية Hypersensitiveness. وللأسف الشديد قد ينجرف عدد من مرضى الفصام البسيط إلى الجنوح والدعارة والتشرد

Vagrancy, delinquency and prostitution

والخلاصة أن أعراضهم بسيطة أو خفيفة، ويتمكن المريض من الاتصال المعقول بالبيئة، ومن هنا يصطدمون بالقانون، وقد يتعرضون للحبس أو السجن.

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، باثولوجيا النفس، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية ١٩٨٩ م.

أما فصام الشباب أو الفصام المبكر Hebephrenic ويشير الأصل الاشتقاقي إلى عقل الشباب، ولقد كان الاعتقاد السائد بأن هذا الاضطراب يحدث في السنوات الأولى من حياة الإنسان. ومن أعراض هذا المرض الهلاوس Hallucinations وخاصة الهلاوس السمعية Auditory والضلالات أو الهذاءات المتصلة بالحياة الدينية والجنسية وبحالات توهم المرض والاضطهاد أو الاتهام. ويبدو السلوك شاذاً أو سخيفاً وتافهاً، فقد يقهقه المريض بطريقة طفلية، ويتحدث بلا تناسق وبلا تعقل. ويربط بعض الأصوات ويخترع لغة غريبة ولا يهتم بصحته الشخصية، ويعتري المريض نوبات الإثارة Excitability.

هذه أهم أعراض ذهان الشباب أو الذهان المبكر، أما الفصام التخشبي أو التصلبي أو الكاتاتوني Catatonic Schizophrenia. والأصل الاشتقاقي بأنه من انخفاض معدلات النغم العقلي، ومعظم الاضطراب، ينحصر في الاضطرابات الحركية Motor distrubances حيث يجلس المريض أو يقف في وضع واحد، ويرفض أن يتكلم أو يعير لأي شيء أمامه هتمامه. ويبدو بعيداً كلية عن الاتصال بالعالم الخارجي المحيط به، ومع ذلك هناك أدلة تشير إلى أنه يعرف ما يحدث، ولكنه لا يستجيب للمثيرات العادية للبيئة المحيطة به. ولكن الكتاتوني لا يبقى بلا حراك على طول الخط، ولكنه يتناوب بين عدم الحركة أو الحراك وبين الإثارة الشديدة Wild excitement.

في نوبات التخشب، تلك النوبة التي قد تستمر لساعات طوال، تجمد وتتخشب أطراف المريض وتتورم. ويشبه المريض تمثال الشمع مع الميل إلى الرفض أو النفيية. بعض هؤلاء المرضى يتقبل الإيحاءات، وينفذ بصورة ميكانيكية الأوامر التي تصدر إليه، أو يقوم بتقليد الغير. ويعاني أيضاً هذا المريض من الهلاوس، وقد يردد الكلمات Echolalia وقد يردد الأفعال Echoprexia وقد يعاني من الحزن الشديد والانسحاب من عالم الحقيقة. وقد يعود ظهور هذه الأعراض بعض الخبرات الصدمية التي تفوق احتمال المريض.

ويمثل هذا الذهان أكثر أنواع الفصام تعقيداً، ومن حسن الحظ إن حالاته تقل

تدريجياً بسبب تقدم المعالجات.

ويمتـاز مـريـض الفصـام الاضطهـادي أو البـارنـوي Paranoid Schizophrenia بالمعاناة من الهذاءات المتعددة والمنتظمة Delusions والهلاوس ذات الطابع الاتهامي أو الاضطهادي Persecutory nature مما يؤدي إلى فقدان القدرة على اتخاذ الأحكام الناقدة، والسلوك الذي لا يمكن التنبؤ به. لدى هؤلاء المرضى أفكار مرجعية حيث ينسجون الأفكار الهذائية أو الضلالية مع الأحداث غير المهمة للخروج من ذلك بمعان خاصة عن سلوك الآخرين، فمثلاً يسمع المريض الناس يتحدثون عنه، ويقررون (المرضى) أنهم يرون شخصاً ما دائماً أمامهم كرجل البريد، بمعنى أنه يخطط لإيقاع الأذى بهم. كذلك فإن الأحداث التي يشاهدونها على شاشة التلفـاز أو التي تنشرها الصحف والمذياع تشير إليهم أو تتصل بهم أو تقصدهم. المريض بفصام الاضطهاد يكون دائماً يقظاً، ثائراً، متحدثاً أو متكلماً، عدوانياً وأيضاً مضطرباً ومختلطاً وخائفاً لا تبدو على المريض منهم علامات النكوص Regression بالمقارنـة بالأنماط الأخرى من ذهان الفصام، ويبدي هذا المريض انفصالاً أقل عن عالم الحقيقة والواقع.

وتكشف الدراسات أن هؤلاء المرضى شكاكون Suspicious ويجدون صعوبة في الارتبـاط بـالنـاس. ولقـد قـرر سيجمنـد فـرويـد أن لـديهـم صـراع جنسـي مثلـي Homosexual Conflict في كل حالات البارانويا أو ذهان الاضطهاد. وهناك دراسة كشفت على أن نحو ثلث المرضى الذين شملتهم الدراسة كان لهم نشاط جنسي قبل الانهيار. وهناك درجات خفيفة من هذا الاضطراب يميل أصحابها إلى توجيه الاتهامات لبعض أفراد المجتمع، ولكن هؤلاء الناس أقل خطورة على المجتمع.

وهناك كثير من الدراسات الميدانية التي يحفل بها التراث العلمي والتي أجريت حول مرضى الفصام وقدراتهم النفسحركية وقدراتهم الإدراكية والدافعية واضطراب الذاكرة والذكاء وطرائقهم في تكوين المفاهيم والتصورات العقلية (Shunmugan T.E.P. 119)

Psychomotor abilities, perceptual processes, motivation, disorders of memory, intelligence and conceptualizations of the schizophrenic patients[1].

وما يزال حقل الفصام حقلاً خصباً أمام الدراسات النفسية وخاصة ما يتعلق منها بوسائل العلاج والوقاية والتأهيل.

---

(١) Shunmugam, T.E, Abnormal psychology, 1981.

نظريات تفسير ذهان الفصام

طبيعة الفصام:

الفصام ذهان شديد، يتضمن اضطراباً في عمليات الفكر، وغير ذلك من الأعراض السلوكية أو الانفعالية

A severe psychosis involving disturbed thought processes and various emotional and behavioural symptoms (Martin, B.P. 531).

وهناك تعاريف تشير إلى اضطراب وظائف لشخص الفصامي، تلك الوظائف العقلية كالتفكير، والنفسية كالانفعالات، والشعورية.

Schizophrenia: psychosis with the breakdown of integrated personality functioning, withdrawal from reality, emotional blunting and distortion, and disturbances in thought and behaviour (Shanmugam EE.P. 357).

إشارة إلى أن الفصام يصاحب انهيار في تكامل الشخصية وفي وظائفها، والانسحاب من عالم الحقيقة والواقع، والبلادة الانفعالية، وفساد الحياة الانفعالية أو تدهورها وتشوهها، ووجود اضطرابات في الفكر أو في التفكير وفي السلوك.

وهناك من يوضح طبيعة الفصام الوظيفية مثل Strange حيث يعرف الفصام بأنه واحد من الذهانات الوظيفية، يتسم بالبلادة والانسحاب الاجتماعي.

One of the functional psychoses characterized by apathy and social withdrawal (Strange[1], J.R.P. 472).

وذلك لأن معظم حالات الفصام وظيفية، وليست عضوية، بمعنى أن العطب أو الخلل أو الفساد أو التدهور يصيب وظائف العضو كالدماغ مثلاً بينما تبقى الأعضاء، من الناحية العضوية، سليمةً كبقاء عضو المخ سليماً مع وجود الاضطرابات العقلية. ومعنى ذلك أن الفصام ليس وراثياً أو عضوياً، وإنما هو وظيفي أي ناتج عن أسباب نفسية واجتماعية، كالأزمات والكوارث والضغوط، والتوترات، والصراعات، وخبرات الفشل والإحباط والحرمان والقسوة والنبذ والطرد. . . إلخ، وحقيقة الأمر، على خلاف ما جاء في هذا التعريف، فإن انسحاب الشخص المريض لا يكون انسحاباً اجتماعياً وحسب، ولكنه انطواء على الذات أيضاً. وإن الانسحاب يكون من عالم الحقيقة والواقع Withdrawal from reality كما يذهب إلى ذلك سورنسون وزملاؤه[٢] (Sorenson,H.,P. 415).

والحقيقة أن ذهان الفصام ابتكر اسمه عام النفس يوجين بلولير Eugen Blueler للإشارة إلى الاضطرابات العقلية الشديدة، وفيه يبدو على الشخصية الانقسام أو الانشطار أو التمزق، وكأنها أصبحت شظايا أو أقساماً. وقد تختلف الأعراض من حالة إلى أخرى، ولكن بوجه عام يصيب المريض الضلالات أو الهذاءات أو الهذيان الشاذ Delusions والهلاوس، وتسطح في الشعور أو بلادة في الشعور[٣] (Gallatin,J.P. 639) فالفصامي ينسحب من العالم الخارجي، ويرتد إلى عالم الداخل.

---

(١) Martin, B., Abnormal psychology, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1980.

(٢) Strange, J.R., Abnormal psychology, McGraw-Hill New York, 1965.

(٣) Sorenson, H., et al, psychology for living, Tata McGraw-Hill, Bombay, 1971.

نظريات تفسير الفصام:

كيف فسر علماء النفس أو مدارس علم النفس هذه الظاهرة المرضية الخطيرة؟ هناك كثير من النظريات التي وضعت لتفسير ذهان الفصام أو انقسام الشخصية منها نظرية التحليل النفسي:

فطبقاً لآراء سيجمند فرويد **Freud**، الفصام عبارة عن حالة من النكوص أو الارتداد أو العودة إلى الوراء أو السير القهقري **Regression** والرجوع إلى حالة أولية من النرجسية **Narcissism** أي عشق الذات أو عبادة الذات أو الولَع الشديد بالذات. والنرجسية في الفكر التحليلي، عبارة عن مرحلة من مراحل النمو في المرحلة الفمية **Oral Stage** قبل أن يتمايز «الأنا» عن «الهو» **.Ego from the id**.

وعن طريق الارتداد أو النكوص إلى المرحلة الأولى من النرجسية، فإن الفصامي يفقد الاتصال مع العالم، لأنه لا يوجد أنا منفصل. وفي مرحلة المراهقة والرشد يحدث تكثيف لدوافع أو مثيرات «الهو» تلك الدوافع ذات طبيعة جنسية في جوهرها، وهذا هو السبب في حدوث عملية النكوص أو الارتداد إلى الوراء.

أما أعراض الهذاء والهلاوس واضطرابات التفكير، فتحدث من جراء محاولة التكيف مع مطاب «الهو» والرغبة في الارتباط بشيء ما أو بشخص ما.

ويذهب أنصار التحليلية إلى تأييد هذا الرأي بالقول بأن عجز «الهو» في الفصامي يحدث من زيادة دوافع الهو.

ويفسر الفصام، وفقاً لنظرية التعلم الاجتماعي **Social Learning Theory**، وذلك بالقول بأن الناس الأسوياء يستجيبون للمثيرات الاجتماعية، ولكن في حالة الفصام هذه العملية يتم كفها أو منعها سوء الوظيفة هذا يؤدي إلى فساد الترابط، وإلى اضطرابات في العمليات الفكرية عند الفصامي وعدم اهتمام الفصامي بالمثيرات التي تنبع من البيئة تجعل الفصامي يبدو منسحباً.

وهناك محاولات لتفسير الفصام وفقاً لنموذج من نماذج التعلم الاجتماعي

فهم يرون أن الفصام دور اجتماعي Socialrole يحدده Social Learning Model العاملون في المستشفيات العقلية. وأصحاب هذا الرأي يرون أن كثيراً من أوصاف الفصام تشير إلى السلوك الذي يحدث داخل المستشفى العقلي Mental hospital من المواقف الاجتماعية داخل مستشفى الأمراض العقلية. فالعاملون بالمستشفى يهتمون بالمريض أكثر عندما يكون حديثه أو كلامه شاذاً His speech is bizarre.

وعندما يكون سلوكه شاذاً أو غريباً، عما لو كان سلوكه عقلانياً وممتثلاً. لذلك أجريت دراسات لتعرف عما إذا كان مرضى المستشفى يسقطون انطباعات أو تأثيرات على غيرهم من المرضى. ويوجه نقد حاسم لهذه النظرية. فالفصامي يخلق هو بنفسه دوره الاجتماعي لحماية نفسه من التوقعات الاجتماعية والمطالب الاجتماعية. يحدث له انقسام بين حياته الداخلية وحياته الخارجية وبين آماله وطموحاته.

وهناك النظرية التجريبية في تفسير ذهان الفصام

Experiential theory of schizophrenia

ترجع هذه النظرية إلى عالم النفس رونالد لانج Ronald Laing. لا ينظر إليها لانج على أنها مرض، ولكنها لوحة أو عنوان وضع على نوع معين من الخبرات المشكلة والسلوك المشكل.

وهنا في هذه النظرية، كما في غيرها من النظريات، تصبح الأسرة عاملاً هاماً في حياة الفصامي، ولكن بشكل مختلف. فالأسرة هي التي تطلق على السلوك اصطلاح الفصام بدلاً من قبوله كخبرة ذات معنى ودلالة وظيفية لصاحبها. الفصامي كما لو كان في رحلة يحتاج إلى الإرشاد أكثر من احتياجه إلى الضبط والتحكم.

وإذا اعتبرنا أن مرض الفصام عبارة عن خبرة إيجابية، فإن ذلك قد يفيد المريض نفسه لاعتناق هذا الاتجاه. ولكن الحقيقة أن هذه النظرية تعوزها الأدلة التجريبية التي تؤيدها وحتى الآن لا يوجد نظرية نفسية وحيدة قادرة على تفسير الفصام تفسيراً مقنعاً. وما يزال هذا المرض في حاجة إلى إجراء المزيد من الدراسات والبحوث.

العوامل المسئولة عن حدوث الاصابة بفصام الشخصية:

ما هي العوامل المسئولة عن حدوث الإصابة بهذا المرض الخطير؟

يدلنا التراث العلمي أن هناك كثيراً من العوامل، من ذلك:

١ ـ العوامل الوراثية Heredity Factors.

٢ ـ العوامل التكوينية أو الجبلية أو البنائية Constitututional Factors.

٣ ـ العوامل البيولوجية أو الحيوية Biological factors.

٤ ـ العوامل الاجتماعية Social factors.

٥ ـ العوامل السيكولوجية أو النفسية Psychological factors.

ويمكن أن نضيف العوامل الكيميائية أو المادية كتناول السموم والغازات وما إلى ذلك.

إن وجود نسبة كبيرة من المرضى الفصاميين ينحدرون من آباء فصاميين أيضاً يجعل بعض العلماء يعتقدون أن هناك عاملاً وراثياً Genetic Factor كذلك تدل الدراسات التي تناولت التوائم العينية أي تلك التوائم التي تتكون من انشطار بويضة واحدة مخصبة في الرحم، انقسامها لتكون طفلين

Identical twins Who develop from a single fertilized egg and share the same genetic inheritance.

ومقارنة هذه التوائم العينية بالتوائم الأخوية Fraternal twins وهم من الناحية الوراثية كالأخوة العاديين. لقد دلت إحدى هذه الدراسات على وجود (٨٦,٢٪) من التوائم العينية وفقط (١٤,٥٪) من التوائم العادية قد أصيبوا بذهان الفصام بفارق يعادل ٨٦,٢ ـ ١٤,٥ = ٧١,٧٪ زيادة في حالة التوائم العينية. وفي دراسات أخرى وجدت هذه النسبة تعادل ٣٨٪، ١٠٪ وفي دراسات أخرى كانت هذه النسبة ٢٣,٥٪، ٥,٣٪. هذه النسبة تبدو أهميتها إذا عرفنا أن نسبة الإصابة بالفصام في المجتمع العام لا تزيد (١٪) فقط. وفي دراسة أخرى تمت مقارنة أثر التعليم بأثر العوامل الوراثية، حيث تمت دراسة أطفال أنجبوا من آباء مصابين بذهان الفصام،

ولكن تم عزلهم أو فصلهم وتربوا في بيوت تبني، مقارنة هؤلاء الأطفال بأطفال ليسوا من آباء فصاميين. ودلت المقارنة على وجود ١٦,٦٪ من هؤلاء الأطفال أصبحوا فصاميين، بينما لم يصب أحد إطلاقاً بالفصام من مجموعة الأطفال الضابطة. وهناك كثير من الدراسات التي توصلت لمثل هذه النتائج.

العوامل البيوكيميائية:

هناك أدلة على أن هناك بعض العقاقير التي يحدث تناولها أعراضاً للفصام النموذجي. ولذلك يجادل أصحاب هذه الفكرة بأنه إذا كان في الإمكان إحداث هذه الأعراض فورية، فمن المحتمل وجود عناصر أو مواد داخل الجسم، مثل هذه المواد يتم فرزها في مثل حالات التعرض للضغط الشديد.

ففي تجربة قام فيها الباحث بحقن بعض الأشخاص بمادة مستخرجة من دم مريض بالفصام. حقنها في شخصين متطوعين من السجناء. ماذا كانت النتيجة؟

لقد أظهر أحد المرضى أعراض الفصام الكتاتوني والآخر أظهر أعراض فصام الاضطهاد. وكلاهما كانت الأعراض عنده لمدة قصيرة. وهناك تجارب أخرى أجريت على أعداد أكبر من ذلك، وأسفرت عن نفس النتائج، حيث ظهر على المتطوعين أعراض الخلط، وعدم التنظيم في التفكير، والضلالات، وأعراض جنون العظمة، وجنون الاضطهاد Persecution and grandeur symptoms، والهلاوس السمعية Auditory hallucinations، وكان ظهور الأعراض تدريجياً، واستمرت الأعراض حوالي ١٥ ـ ٤٠ دقيقة.

وهناك من يدعي وجود تغيرات بيولوجية أو جود أنزيمات في جسد الفصامي، ولكن السؤال الهام هو هل هذه التغيرات هي التي أحدثت الفصام أم أنها نتيجة لوجود المرض؟ على أحسن تقدير لا نستطيع أن نقبل أكثر من القول بأن العوامل البيولوجية هي أحد العوامل المسئولة عن الفصام، ولكن هناك عوامل أخرى لا يمكن إنكارها. لأن هذه المواد التي يدعي مسئوليتها عن نشأة الفصام لا تختلف معدلات وجودها في الأسوياء عنها في الفصاميين.

العوامل العصبية الفسيولوجية Neurophysiological Factors

تأسساً على اقتراح إيفان بافلوف عالم النفس الروسي، بأن الفصاميين لديهم جهاز عصبي ثائر بصورة شاذة أو غير طبيعية، أجريت عدة دراسات على التوازن بين الإثارة والكف في الجهاز العصبي، ونتيجة لمثل هذه البحوث هناك فرض مؤداة أن الفصام قد ينشأ من، على القليل جزئياً، من عدم الانتظام في وظائف الجهاز العصبي المستقل أو الذاتي أو الأوتونومي Autonomic nervous system،

ويعد عدم الانتظام هذا الفرد للإثارة الزائدة أو الإثارة القليلة جداً. الإثارة قد تكون عالية ورد الفعل بطيء بالقياس إلى الحالات السوية.

العوامل الاجتماعية في نشاة فصام الشخصية:

هناك دراسات تكشف عن وجود علاقة بين الفصام والطبقة الاجتماعية، فلقد وجد أن نسبة حصول الفصام في المناطق المتدنية المستوى اجتماعياً واقتصادياً تصل إلى ضعف مثلها في المناطق الأخرى. بمعنى أن الفصام يزداد انتشاره مع الفقر، وخاصة في وسط النساء. وظهرت دراسات أيدت هذه النتائج في بلدان كثيرة، منها الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا والدينمارك والنرويج. ولكن كيف نفسر الارتباط الملاحظ هذا بين الفصام والطبقة الاجتماعية؟

فقد يرجع هذا الفرق إلى قلة المعالجة أو انخفاض مستواها، وإلى قلة توفير الفرص التربوية، مثل هذه الظروف تجعل حياة المرضى كلها سلسلة من الضغوط، وتعدهم إلى الإصابة بالفصام Predisposing them to schizophrenia.

وهناك تفسير يرجعها إلى ظروف معيشة الفقر، ونقص التغذية قد يهيىء الفرد للإصابة. ولكن هذه النقطة ما زالت في حاجة إلى مزيد من الدراسة لتحديد أثر العوامل الاجتماعية في نشأة فصام الشخصية. وهنا يجب أن نشير إلى دور الأسرة في نشأة الفصام.

دور الأسرة:

لا شك أن العلاقات الأسرية، وخاصة تلك العلاقة التي تقوم بين الأم والابن، لها تأثير كبير على شخصية الطفل. فالأم المتسيطرة أو المتسلطة والباردة عاطفياً والتي تخلق الصراعات تساعد في نشأة الفصام في أبنائها. الأمهات اللاتي أنجبن أطفالاً فصاميين كن يرفضن أبناءهن ويضغطن على أبنائهم من أجل الاستقلال، وفي نفس الوقت كن يمارسن منهج الحماية الزائدة على الأطفال Overproctive. وكن يضحين بأنفسهم. هذه الدراما أو المأساة المزدوجة تنمي الصراع لدى الأطفال. وكان هؤلاء الأطفال يشعرون بعدم المبالاة نحو شعور الآخرين، وكانوا يمتازون بالجمود، وكانوا أخلاقيين للغاية فيما يتعلق بالأمور الجنسية، وكانوا يخافون من العلاقات أو الصداقات الحميمة.

ودلت دراسة أسر الفصاميين، أنه لا يوجد أسرة واحدة متكاملة. كانت العلاقة بين الزوجين علاقة احتقار مما يهدد الحياة الزوجية بالانهيار وعدم التقدير وعدم الاعتراف بدور الطرف الآخر. وكان يسودها عدم التكيف في السلوك بين جميع أعضائها بما في ذلك الذرية، إلى جانب سوء الاتصال (١) Communication.

فللأسرة أثر في تمتع أفرادها بالصحة العقلية، أو معاناتهم من الأمراض والاضطرابات، ومن هنا لزمت العناية بالأسرة وضرورة توفير الإرشاد الأسري والتوجيه الأسري وقيام دراسات الأسرة، دراسة علمية.

---

(١) Shunmagam, T.E., Abnormal psychology, Tata McGraw-Hill, New Dillhi, 1981, P. 126.

الفصل الرابع

الوعي السيكولوجي والحرب النفسية

- عملية غسيل المخ وآثارها
- دراسة حالة غسيل مخ
- تحليل هذه الحالة نفسياً

عملية غسيل المخ وآثارها

غسيل المخ Brainwashing من أخطر العمليات التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان، ومن أكثر العمليات العقلية أهمية في تغيير اتجاهات الفرد وأفكاره وآرائه ومذاهبه وسلوكه. وجدير بالذكر إن هذا المصطلح مصطلح استعاري، حيث لا يوجد عملية غسيل فعلية، وإنما تتضمن دفع الفرد دفعاً لكي يتخلى، وبصورة متطرفة، عن أفكاره وآرائه وأساليب سلوكه التي تعلمها من قبل، وأن يعتنق الأفكار والآراء الجديدة التي تريد غرسها فيه الهيئة أو الجهة التي تمارس عليه هذه العملية. وقبل شيوع استعمال هذا الاصطلاح كان يستعمل اصطلاح آخر يمكن أن نطلق عليه «التربية العقائدية» أو «التبشير العقائدي» أو «التلقين العقائدي» أو «التعليم» أو «الانقداح» Indoctrination ومعناها حث الناس على قبول عقيدة ما عن طريق نوع خاص من التربية الذي يعتمد على قبول المتعلم لما يلقي عليه أكثر من حثه على التفكير الناقد والفحص والتمحيص وتقليب وجهات النظر المؤيدة والمعارضة، ومعرفة مزايا ونقائص مادة التعلم[1]. ويشاع، خطأ، إن عملية غسل المخ عملية مخيفة ورهيبة، ولذلك تنتشر الشائعات حول فظائع هذه العملية وأهوالها، ولقد انتشرت مثل هذه الشائعات، التي تضخم من هذه العملية في أثناء الحرب الكورية (١٩٥٦) ويشاع أن

(١) English, H.B., and English, A comprehensive dictionary of psychological and psycho analytical terms, Longmans, 1958, London.

هناك اختراعات رهيبة وحديثة تستخدم في غسيل مخ أسرى الحرب، كما كان يشاع إن هذه العملية تعتمد على الأبحاث التي أجراها عالم النفس الروسي إيفان بافلوف، (١٨٤٩ ـ ١٩٣٦) على الكلاب في تجاربه الكلاسيكية في التعلم الشرطي. حيث استطاع هذا العالم أن يعلم الكلب أن يستجيب بإسالة لعابه، لا عند تقديم الطعام أو شم رائحته، وإنما عند سماع دقات ناقوس معين أو رؤية ضوء آخر. إنما الحقيقة الواقعية إنه ليس هناك شيئاً جديداً ورهيباً كما تذهب هذه الشائعات، ذلك لأن معظم الأساليب المستخدمة في عملية غسيل المخ معروفة منذ زمن بعيد بالنسبة لكثير من الدول. والحقيقة إن هذه العملية لا تتضمن أخطاراً تهدد حياة الفرد، وإنما كل ما تستهدفه هو تغيير اتجاهاته العقلية وآرائه وأفكاره ومذاهبه واستبدالها بغيرها.

وجدير بالملاحظة أن عملية غسيل المخ لا تحدث فقط في الحروب مع الأسرى لانتزاع اعترافاتهم أو للحصول على الأسرار العسكرية منهم أو لإثارة حقدهم على أوطانهم، وغرس الولاء في نفوسهم للجهة التي أوقعتهم في الأسر، وإنما تستخدم هذه العملية في كثير من المجالات، ولتحقيق كثير من الأغراض السلبية. ولذلك فإن لهذه العملية درجات متفاوتة من الكثافة والشدة أو البساطة. وعلى مر التاريخ عرف كثير من المجتمعات أنماطاً مختلفة من التربية العقائدية أو من غسيل المخ لجموع غفيرة من أبناء هذه المجتمعات. وعلى سبيل المثال، فلقد عرف الصينيون كثيراً من الأساليب التي استخدموها في برامجهم التي أطلقوا عليها برامج الإصلاح الإيدلوجي Ideological reform وذلك من أجل تعديل الفلسفة الاجتماعية والسياسية السائدة في المجتمع، وتغيير أفكار الناس، وإلى صياغة الإيدلوجية الاجتماعية وتغيير العقائد السياسية والفكرية للناس Thought reform وإذا كانت هذه الأهداف ليست جديدة في عالم السياسة، حيث تستهدف في كل دولة إعادة تشكيل عقول الناس، وصقل شخصياتهم وأفكارهم وآرائهم ومذاهبهم، بما يجعلهم مواطنين صالحين من وجهة نظر الدولة، وبما يشجعهم على اعتناق مبادىء الدولة وفلسفتها ونظمها وعقائدها، بل ودفعهم على التحمس نحو تحقيق سياسة الدولة واحتضان هذه السياسة وتبنيها والتصدي للزود عنها، واعتبارها جزءاً لا يتجزأ من كيانهم الشخصي. إلا أن الصينيين

قد أعدوا لذلك برامج منظمة ومعدة إعداداً دقيقاً، واستخدموا الأساليب المتعمدة والمقصودة لتغيير اتجاهات الناس[1].

على كل حال، يجب أن تكون برامج الإصلاح الفكري والثقافي والعقائدي أو المذهبي أو التربوي أو الاجتماعي قائمة على الأسس العلمية المستمدة من نظريات علم النفس وعلم التربية وعلم الاجتماع، ومن الخبرات المتراكمة عن وسائل وأساليب الوعظ والإرشاد والإصلاح. ولا ينبغي أن تكون هذه العملية عفوية أو عشوائية أو ارتجالية، ذلك لأنها في المحل الأول عملية تعلم Learning وإن كانت تختلف عن التعليم المدرسي، وهي أكثر أهمية وخطورة من التعليم المدرسي، لأنها تتناول عقول الناس وفكرهم وعواطفهم ووجدانهم وضمائرهم، وتلك هي القوى الدافعة والمحركة لسلوك الإنسان، والتي تدفعه على البذل والعطاء والتضحية بلا حدود في سبيل إعلاء شأن وطنه والنهوض بمجتمعه. ولذلك فإن عمليات غسيل المخ قد تتصف بالعمومية والشمول وقد تستخدم في مجالات الخير وفي مشاريع السلم والسلام. ومن الأمثلة التاريخية التي استخدمت فيها أساليب غسيل المخ ألمانيا النازية في عهد هتلر، حيث عمد إلى غرس مبادىء الفلسفة النازية في عقول وأذهان الشباب الألماني. وكانت فكرته تقوم على أساس إقناع الناس بالفلسفة النازية التي كانت ترى، خطأ، إن الجنس الألماني هو أسمى الأجناس البشرية وأكثرها ذكاء، ومن ثم يحق له ـ وفقاً لهذا التصور ـ أن يحكم العالم. على كل حال، أثبتت التجارب والدراسات النفسية الحديثة خطأ نظرية هتلر، حيث تبين أنه لا يوجد فروق سلالية واسعة في الذكاء أزيد مما يوجد من فروق بين أبناء السلالة الواحدة، وإن ما يعانيه أبناء المجتمعات النامية من تأخر إنما مرده، لا إلى السلالة أو الجنس الذي ينتمون إليه أو التركيب الجسماني، وإنما مرده إلى الظروف الاستعمارية القاهرة، وظروف الفقر والحرمان الثقافي والتعليمي الذي فرضته الظروف على أهل هذه المجتمعات. وإن أبناء هذه المجتمعات قادرون على إحراز التقدم والنبوغ عندما تتاح لهم الفرص،

---

(١) Brown, J.A., Techniques of persuation, 1968.

وتتحسن ظروفهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية. وبالفعل لقد أحرز كثير من أبناء هذه المجتمعات التفوق على أبناء المجتمعات الراقية. المهم أن يعرف القارىء الكريم إن رجال السياسة والدين ودعاة الإصلاح الاجتماعي يعملون على غرس قيم معينة في عقول الناس. بل إن حركات التبشير بالدين المسيحي كانت وما زالت تستخدم هذه الأساليب، وإن كانت تتستر في بعض الأحيان وراء نشر العلم أو تقديم الخدمات الطبية لأهالي المناطق التي يبشرون فيها. ووفقاً لهذا المفهوم الواسع لغسيل المخ في السلم والحرب، تصبح له مؤسسات كثيرة من بينها المدرسة ومعاهد العلم المختلفة ووسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية كالإذاعة والتليفزيون والمعارض والمتاحف والمهرجانات والمسارح والأندية وقصور الثقافة والجمعيات الدينية والثقافية، وكلها تسعى لطبع عقول أعضائها بقيم واتجاهات معينة وغرس: مبادىء وأفكار وفلسفات وآراء ترى المصلحة في غرسها وتأصيلها وترسيخها في عقول الناس. ومن ذلك ما تلاحظه على جماعات الكشافة والشبان المسلمين من جهود لتربية أفرادها على نوع معين من القيم. وفي السجون والإصلاحيات يخضع النزلاء لعمليات تأهيل وإعادة بناء الشخصية. ومن هنا يقال إن السجن تهذيب وإصلاح.

ومن الأساليب المستخدمة في تغيير اتجاهات الناس، سواء في السجون أو في الفصول الدراسية ودورات التأهيل والوعظ والإرشاد الديني والخلقي والوطني، إجراء المقابلات الشخصية مع الأخصائيين، ثم عقد الندوات والمناقشات والمناظرات والحوار، وتوزيع النشرات والكتب والكتيبات والملصقات والنداءات والشعارات وعمل الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية والأناشيد الحماسية وغير ذلك من الوسائل التي تستهدف الاعتراف بالذنب والتعود على الطاعة وعلى احترام القانون وكذلك تستهدف تزويد الناس بالوقائع السياسية، وتستهدف مثل هذه البرامج تدريب النزلاء على العمل والإنتاج، وتعمل على طرد الأفكار العدوانية أو الإجرامية وتكوين قانون أخلاقي جديد A new Moral Code.

ولفهم مضمون عملية غسيل المخ وما يتم فيها من خطوات إجرائية وعملية، نسوق للقارىء الكريم هذه الحالة الواقعية التي حدثت لطبيب إنجليزي كان يعمل في شنغهاي.

دراسة حالة غسيل مخ

بينما كان يسير الطبيب الإنجليزي «فينسنت» Vincent في أحد شوارع المدينة وإذا بقوة مسلحة تلقي القبض عليه وتقتاده إلى السجن أو ما كان يسمى مركز إعادة التعليم Re-education center حيث ألقي به في زنزانة صغيرة جداً لينضم إلى ثمان سجناء آخرين من القدماء الذين سبق أن غسلت أدمغتهم، وأصبح عليهم القيام بتدريب النزلاء الجدد، كنوع من العمل الذي يساعد على سرعة الإفراج عنهم. أمره السجان بالجلوس في وسط الزملاء الثمانية الذين التفوا حوله في شكل دائرة تحيط به وأخذ كل واحد منهم في التشهير به واتهامه بالقول: هذا هو الاستعماري، ها هو الجاسوس.. ويرددون هذه الشعارات العدائية. ويطلب الواحد منهم تلو الآخر منه: أن أعترف بجرائمك.. أدل بكل شيء للحكومة. فاعترض الطبيب فينسنت على ذلك قائلاً بأنه طبيب وليس جاسوساً، وإنه يعمل في هذه الدولة كطبيب منذ أكثر من عشرين عاماً. فصاحوا فيه يتهمونه بأن الحكومة لديها كل الحقائق والأدلة والبراهين ضده، وإنها لا يمكن أن تخطىء في هذه الأمور، وإنهم لم يلقوا القبض عليه بلا سبب. ثم انهالوا عليه بسيل من الأسئلة حول الأنشطة التي كان يقوم بها لإخفاء نشاطه التجسسي. ويطلق على هذه العملية اصطلاح «مساعدة السجين» على الاعتراف، ولذا فإنه تعرض لها في الأشهر الأولى من سجنه. وبعد ذلك اقتيد لقاعة المحاكمة لأول جلسة، حيث وجه إليه القاضي تهمة غامضة. وكانت المحاكمة تتم في غرفة صغيرة لا يوجد بها سوى ثلاثة أشخاص هم القاضي والمترجم والسكرتير. قال القاضي قد ارتكبت جرائم ضد هذا الشعب وعليك أن تعترف بكل شيء. اعترض السجين مؤكداً إنه بريء من كل شيء. قال القاضي إن الحكومة لا يمكن أن تعتقل رجلاً بريئاً. ثم ناقشه في مناشطه وأعماله ومهنته وأصدقائه ومعارفه خلال العشرين عاماً الماضية. راح القاضي يكـرر مراراً: إن الحكومة تعلم كل شيء عن جرائمك والمسألة ترجع لك الآن... تستطيع أن تعترف بكل شيء، وبذلك يمكن حل مسألتك بسرعة، ويمكن الإفراج عنك حالاً.. استمرت الأسئلة على هذا النحو لعدة ساعات ثم تركزت حول علاقته ببعض السفارات وبعض الجماعات الأخرى. استغرقت المحاكمة عشر ساعات كاملة. ولكن السجين كان ما زال يتعجب لماذا قبض عليه. فثارت ثائرة القاضي فأمر

بإغلال يديه بأغلال حديدية من خلف ظهره وطرده من الغرفة، وأمره أن يفكر ثانية في المسألة. ولم تمض سوى عشر دقائق حتى استدعاه القاضي ثانية، فأصر المتهم على براءته، فأمر القاضي بتقييد رجليه بالسلاسل الحديدية، واقتيد إلى الزنزانة. وهناك كان في استقباله الزملاء الثمانية حيث واجهوه بالاتهامات والهتافات التي استمرت طوال اليوم بعد أن قضى ليلته ساهراً مع القاضي المذكور. وأخبره الزملاء بما يلي: سوف تبقى والسلاسل تكبل رجليك، بينما تعلق يديك وراء ظهرك. وإنهم لا يساعدونك لأنك رجعي كبير. إنك تأكل مثل الكلب بفمك وأسنانك. وعليك أن تعد وعاء الطعام وكوب الشاي بأنفك وأن تشرب الحساء بهذه الطريقة. وإذا أردت أن تقضي حاجتك فإنهم هم الذين يفتحون لك البنطلون وعليك أن تقضي حاجتك في علبة صغيرة في ركن من أركان هذه الزنزانة. وإذا ذهبت إلى المرحاض، فإن شخصاً يذهب معك، وعندما تنتهي، عليك أن ينظفك هو. وستظل مقيداً، ولن يهتم أحد بصحتك أو باستحمامك. . ذلك لأنك رجعي. أما إذا اعترفت فسوف تعامل معاملة أفضل.

بعد فترة من البقاء على هذا الحال استولت على «فينسنت» فكرة ضرورة التخلص من تلك السلاسل البغيضة فأعطى اعترافات عن نشاط جاسوس ما، ألف هو قصتها. ولكن القاضي اكتشف في هذه القصة الزائفة بعض الثغرات، فأمر باستمرار المحاكمة والسلاسل وضوضاء الزملاء. فاستمرت محاكمته واستجواباته التي كان يتخللها كل ثلاث ساعات فترة من الراحة لكي يتمشى حتى يتغلب على النعاس. وكان المشي بطبيعة الحال يزيد بدنه إرهاقاً. وفي أثناء النهار كان يكلف بأن يملي على سجين آخر ليكتب كل ما اعترف به في الليلة الماضية مضافاً إليه كل ما يستطيع أن يتذكره من التفاصيل والدقائق. وفي أثناء الراحة من الزملاء كان الزملاء يعودون إلى نشاطهم ضده، وكأن الزنزانة كلها تهتم باعترافاته، حيث كانت تحسب عليه كل حركاته وسكناته وتسجل جميع ألفاظه وترسل إلى رجال السلطة. . واستمر على هذا الحال يخضع خضوعاً شديداً لضغط الآخرين الذين كانوا يقولون له:

إنك تريد السلاسل. .

إنك تريد أن ترمى بالرصاص. .

وإلا لماذا لا تكون أكثر إخلاصاً.

وبعد استمرار الحال أنهكه التعب والإرهاق والاضطراب والشعور باليأس فاستسلم وكف عن المقاومة. ثم قالوا له من هذه اللحظة عليك أن تعتبر القاضي سيدك الحقيقي وأن تعمل على إرضائه بكل السبل، فإذا سألك كم جاسوساً كان معك، عليك أن تعطي أي عدد لكي ترضيه. وإذا قال أهذا العدد فقط؟ عليك أن تقول لا بل كان هناك أكثر من ذلك يا سيدي القاضي. فإذا قال هل كانوا مائة قل نعم يا سيدي. . والآن لا تهتم بالسلاسل، وليس من الضروري أن تميز بين الصواب والخطأ، وما عليك إلا أن تنتظر حتى ترمى بالرصاص وتتخلص من هذه المتاعب. وأعطى فعلاً تفاصيل عن حياة أصدقائه، فاستخدمت هذه المعلومات لتهديده بالفضيحة والتشهير. وظل الجميع يطالبه: بأن أعترف بكل شيء. . أظهر ولاتك. . وإخلاصك للحكومة، أظهر نظافتك، اعترف على زملائك وأصدقائك. وأدت هذه الضغوط إلى أن ينظر لنفسه من زاوية الناس الآخرين. وعندئذ طرأ على معاملته كثير من التحسن، حيث فكت الأغلال الحديدية، وسمح له بالجلوس في المحكمة، وأصبح القاضي يتحدث إليه بكثير من الود. وأخبره أن الحكومة تعبر له عن أسفها على الوقت الصعب الذي قضاه، وسوف يفرج عنه إذا أدلى باعترافات كاملة وساعدوه في كتابة اعترافاته وفي إصلاح نفسه. ولكنه عندما كان يرفض القيام بعمل ما كان يحرم من النوم وتعود إليه السلاسل. ولإزالة شعوره بالهوية الذاتية لم يكن ينادى عليه بإسمه وإنما برقمه. . وكان عليه أن يمشي على رأسه في سباق مع غيره من السجناء. وبعد مضي ثلاثة أسابيع على اتباع سياسة «التدليل» هذه، أصبح يشترك في برامج إعادة تعليم الزملاء لمدة تصل إلى ست عشرة ساعة يومياً. وكان المادة والنصوص التي يعلمها للغير تدور حول تجسسه. وكان يطلب منه أن يحلل نفسه حتى يتخلص من نزعاته الرجعية. وباستمرار هذا النشاط قبل فينسنت هذه الأفكار وأصبحت تكون جزءاً من فكره الذاتي. في هذه المرحلة أصبح يطلق على السجناء إسم طلاب في

مدرسة وعلى الحراس إسم المعلمين. وكانت المناقشة تستهدف إقناع السجناء بالفكر الشيوعي. وبعد ذلك أعيد استجوابه لكي يدخل على اعترافاته بعض التحسينات، وكان القاضي يطلب منه أن يعطي اعترافات أكثر دقة وتجسيداً وإلا فقد التحسن الذي طرأ على معاملته. وأصبح عليه أن يقبل اعترافاته تجنباً للوقوع في المشكلات. وفي نهاية رحلة العذاب هذه استدعى لكي يدلي باعترافاته الرسمية في حضور رجال الصحافة والإذاعة والسينما وتمت محاكمته وقضي عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات كان قد قضاها في السجن، ثم تم ترحيله خارج البلاد.

تحليل هذه الحالة نفسيا

في عملية غسيل المخ يخضع الأسير لتأثير البيئة التي تسقط عليه بشدة بينما هو لا يستطيع أن يمارس عليها أي ضغط. ولكن أثر عملية غسيل المخ ليس أثراً مطلقاً وعاماً بل إنه يتوقف على قوة شخصية الأسير وقوة إرادته وشدة إيمانه بقضايا وطنه. ومن هنا كانت أهمية توعية الجنود وغرس الإيمان وترسيخه عميقاً في نفوسهم وفي وجدانهم حتى يتصدوا لكل المؤثرات ويظلوا على ولائهم للوطن المفدى.

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٤.

الفصل الخامس

الوعي السيكولوجي ومشكلات البيئة

- سيكولوجية البيئة
- سيكولوجية التلوث
- دور الإنسان في انتشار تلوث البيئة
- مصادر أو أسباب التلوث البيئي
- العوامل النفسية في التلوث
- العلاقة بين الصناعة والتلوث

سيكولوجية البيئة

أهمية البيئة:

لا شــك أن البيئــة Environment الفيــزيقيــة أي المــاديــة أو الجغــرافيــة Physical environment، وكذلك البيئة الاجتماعية Social enivironment، تؤثر في كل منا تأثيراً قوياً وبالغاً وحاسماً في سلوكه وفي سماته واتجاهاته وميوله وأفكاره وآرائه، فالبيئة الاجتماعية تشتمل على الجماعات البشرية التي ينخرط وإياها الفرد، كالأسرة وجماعة النادي، والمدرسة، والجامعة، والعمل، والجيرة. وكذلك تتضمن البيئة الاجتماعية مجموعة القيم والعادات والمثل والأعراف والتقاليد والقواعد والنظم والقوانين والمبادىء السائدة في المجتمع الذي يعيش الإنسان في كنفه، والبيئة هي المرآة التي تنعكس على صفحاتها أحداث الماضي والحاضر أيضاً.

والبيئة الفيزيقية من الممكن أن تغني وتثري وتنمي حياتنا أو تقضي عليها وتقتلها وتدمرها Enrich or detract our lives وتقللها وتنقص من شأنها.

فالبيئة هي «الحضانة» التي يتربى فيها الإنسان وينمو ويترعرع ويزدهر، أو يذبل ويضمحل ويضمر وينكمش ويزول. البيئة هي البوتقة التي تنصهر فيها وتتشكل شخصية الواحد منا، فهي التي تصقل الشخصية وتنميها وتغذيها وترعاها وتحيط بها وتتفاعل وإياها، أي تؤثر فيها وتتأثر بها. وهي التي تؤثر في القدرات الطبيعية والفطـريـة المـوروثـة، فتنميها أو تطمسهـا، وهـي التي تتحكـم فـي تـوظيـف واستخـدام واستغلال هذه الطاقات الفطرية.

فالبيئة هي المجال الذي تحدث منه الإثارة والتفاعل بين عناصره وبين الكائن الحي بكل قواه ولكل إنسان منا، باعتباره، وحدة حية بيئية فهي كل ما يوجد من عناصر طبيعة ومجتمعات بشرية ونظم اجتماعية وعلاقات شخصية، وتتضمن المؤثرات التي تدفع الكائن الحي إلى الحركة والنشاط والسعي.

وهناك تفاعل مستمر ومتواصل بين الفرد والبيئة، والأخذ والعطاء مستمران متلاحقان، ويشمل الشق الطبيعي أو الجغرافي من البيئة الأرض بأشكالها العديدة كالأرض الخصبة والجدباء والصحراوية والسهلية والجبلية والأنهار والمحيطات والبحار والمسطحات والوديان، والمناخ. ويتضمن الشق الاجتماعي منها الظروف الاقتصادية، والسكان والحالة الصحية والمستوى التعليمي(١).

ولا بد من حماية البيئة Environmental protection من الأضرار الناجمة عن الظروف الطبيعية وعن حركة الصناعة الحديثة والعمران ومشاريع التنمية ومن عوادم أو صرف المصانع والصرف الصحي الآدامي وهبوب الرياح وانتشار الأتربة والغبار وعوادم السيارات ودخان المصانع والفضلات وبقايا الإنسان والنفايات ومخلفات الحيوان والضوضاء والزحام، ومن القوارض والفئران وغيرها من الحشرات والحيوانات ناقلة وحاملة العدوى.

وفي مجال ضرورة تحسين البيئة وتجميلها يقول د. أحمد زكي بدوي «ويتم تحسين البيئة بالمسكن المناسب، وتطوير استخدام المياه العذبة والنظيفة، والتنسيق بين مجالات التطور الصناعية والاجتماعية حتى لا يحدث خلل في هذا التوازن، يؤثر على الإنسان ومجتمعاته وحماية المصادر الطبيعية من أنهار ومحيطات وأرض وأجناس النبات والحيوان، وحماية الهواء من التلوث بكل أنواع الملوثات الطبيعية والصناعية، باعتبار الغلاف الجوي ثروة إنسانية وحيوية في نفس الوقت. والتنسيق بين زيادة سكان العالم وزيادة موارد الثروات الطبيعية والزراعية والصناعية، لمواجهة

---

(١) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦ م، ص ١٣٥.

متطلبات حياتهم[1]. فللإنسان الدور الأكبر في تحسين البيئة، ولكننا للأسف الشديد، نلمس اليوم أنه يعمد إلى تدميرها.

يلعب الإنسان دوراً رئيساً في تاويث البيئة وتدميرها، والقضاء عليها، وكذلك في تعميرها وتجميلها. والبيئة قد تشعرنا بالتعب أو الراحة أو بالاستثارة، وقد نستمتع بالاسترخاء من الذهاب في رحلة في وسط حديقة عامة، وقد تشعر بالضيق من الجلوس في قاعة محاضرات مزدحمة، أو من ركوب سيارة نقل عام مكدسة بالبشر. الأطفال قد يصابون بالأمراض المعدية من الزحام داخل فصول الدراسة. وقد نشعر بالفرح من التمتع بجو يوم ربيعي، وقد نشعر بالضيق من الجو الرطب والحار، وكذلك من الجو المطير البارد، وكذلك بالكآبة Blues. البيئة تسبب أما السعادة وإما التعاسة، أما الضيق أو الفرح، التعب أو الراحة، الصحة أو المرض أو حتى الحياة أم الموت.

البيئة تلعب دوراً رئيساً في تحديد سلوك الإنسان، وسماته، وميوله، واتجاهاته، واستعداداته، وقدراته، وفي «توظيف» هذه القدرات، بل إنها إما أن تبعث على الصحة أو تسبب المرض والموت. وإذا كنا نسلم بأن البيئة تلعب دوراً هاماً وحيوياً في حياتنا، فإن كل سلوك نأتيه يؤثر أيضاً في البيئة أو يترتب عليه أثراً ما في البيئة. الإنسان غيّر معالم البيئة، وجفف البحيرات والمستنقعات، وأقام الجسور والسدود والكباري، وشق الترع والقنوات وبنى ناطحات السحاب وقطع الغابات، واستزرع الأراضي البور، واستصلح الصحراء، وأقام المدن والقرى، وجاب الفضاء، واستأنس الحيوان وطوّعه، واستغل ما في باطن الأرض وما في سمائها وما في هوائها من خيرات، وما في مياهها من كنوز، وصنع الحضارات. كل سلوك يقوم به الإنسان يؤثر في البيئة الفيزيقية، المحيطة، إذا اقتاد سيارته في رحلة خلوية، وإذا شغلنا مكيف الهواء البارد أو الساخن، وإذا التحقنا بزحام ما، وإذا قمنا بزراعة حديقة

---

(١) أحمد زكي بدوي، مرجعه السابق ص ١٣٦.

المنزل، وإذا قضينا حاجتنا في المرحاض، وإذا ألقينا بالنفايات في الطريق، وإذا أشعلنا السيجار، كل هذا يؤثر في البيئة الفيزيقية المحيطة بنا. وكلها عادات «سلوكية متعلمة»، إما أن تكون عادات طيبة أو عادات سيئة، فالإنسان هو صانع التلوث وهو أيضاً صانع الحضارة والرقي، يهدم بيده اليسرى ما تبنيه يده اليمنى.

والحقيقة أن هناك علم ناشىء وفتي من فروع علم النفس التطبيقية هو علم النفس البيئي Environmental Psychology يهتم بدراسة العلاقة المتبادلة بين الإنسان وبيئته. حيث يدرس هذا العلم كيف تعبر هذه العلاقة التبادلية عن نفسها ولماذا؟ وكيف يمكن زيادة جانبها الإيجابي أي الجانب الإيجابي من العلاقة التبادلية بين الإنسان والبيئة، وكيف يمكن جعل هذه العلاقة إيجابية وبناءة ومستمرة؟ وكيف نقلل من الجانب السلبي أو التدميري أو التخريبي أو الإفسادي. يهتم علم نفس البيئة بكيفية جعل العلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة بناء وعمران وتنمية وتجميل وتحسين بدلاً من كونها علاقة تدمير وتخريب وقضاء على مظاهر الطبيعة الجيدة.

والحقيقة أن هذا الفرع من علم النفس ما يزال حديثاً ويثير عدداً من الأسئلة أكثر من عدد من الإجابات، ولكن التدمير المتلاحق الذي يصيب البيئة من اختراق طبقة الأوزون، وتكدس النفايات، وانتشار الغازات والغبار، والأتربة، وتلويث مصادر المياه العذبة النقية، وقتل الأسماك وباقي الثروة السمكية وما إلى ذلك، كل هذا يجعل هناك ضرورة لهذا العلم الناشىء والذي ما يزال فتياً في حاجة إلى إجراء الدراسات والبحوث وخاصة في بيئتنا العربية التي دخلت عالم التصنيع والتنمية، وعرفت المباني الشاهقة والأماكن المزدحمة. ويقدم هذا الفرع خدمات طيبة للعلم وللمجتمع أيضاً، ذلك لأن علم النفس البيئي يتصل بأحداث الحياة اليومية، فأنت قد تشعل سيجارتك في غرفة مغلقة فتلوثها وقد تفتح نوافذها وقد تقلع كلية عن التدخين (هذا أفضل) وهكذا.

وقد تتخلص من النفايات بطريقة صحية أو غير صحية، وقد تحرص على نقاوة مصادر المياه العذبة وعلى نظافة الشوارع والطرقات، وقد تسهم في تلويثها.

موضوع دراسة هذا الفرع هو العالم المحيط بنا كله والمشكلات التي نتسبب نحن في حصولها، ثم تواجهنا بعد ذلك. نحن الذين نفسد البيئة، ونحن الذين ندفع الثمن. نحن الذين نجعل البيئة سامة وملوثة ومملوءة بالجراثيم الفتاكة والروائح الكريهة والغبار والتراب والضوضاء والنفايات. فمدير المصنع هو الذي يأمر أو يوافق على صب الصرف الصناعي السام في المياه العذبة فيلوثها، ويقتل ما بها من أسماك، ويصيب من يشربها بالفشل الكلوي مثلاً. كل المشاكل من جنوح الإنسان للأسف الشديد، والفلاح هو الذي يلقي بجثث حيواناته النافقة في عرض الترع أو الأنهار فتصبح الجثة سفينة متنقلة تحمل الجراثيم والعدوى وتوزعها في كل مكان.

البيئة عامل مشترك أمام العديد من العلوم لدراستها، من ذلك علم النفس وعلم التربية والاجتماع والأنثروبولوجيا والطب البشري والطب البيطري والعلوم والزراعة والهندسة والقانون والدين إلخ، وعلى دارس البيئة أن يحلل الظواهر البيئية، وأن يتعرف على أسباب نشأة هذه الظواهر، وأن يضع البرامج لضبط هذه الظواهر والتحكم فيها. ولا يصلح أي نوع من التحليل وإنما التحليل القائم على أساس المنهج العلمي Scientific/method الذي تتوفر فيه عناصر الدقة والموضوعية ويقوم على أساس دعائم التجربة والملاحظة العلمية.

ويضاف إلى ذلك أن البيئة تتعرض للكوارث والنوائب Disasters الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والسيول والأعاصير والرياح. وهنا نتساءل عن العلاقة بين البيئة والسلوك؟ لا شك أن البيئة وليدة سلوك الإنسان في جلها، وفي نفس الوقت هناك مؤثرات بيئية على سلوك الإنسان

The environment influences on behaviour

هناك كثير من الضغوط البيئية Stresses منها الضوضاء Noise والحرارة والرطوبة والبرودة. كذلك هناك الألوان والتهوية والإضاءة[1]. وتشهد المجالات الصناعية تأثيراً كبيراً للعوامل الفيزيقية المحيطة بالعمل إلى جانب التأثير العام لعوامل المناخ والطقس

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، علم النفس في المجال المهني، دار المعارف بمصر، ١٩٨٩ م.

ومن الموضوعات الجديرة بالبحث أمام الباحث العربي الشاب Wether and Climate دراسة الأخطار Hazards والكوارث وتلوث المياه والهواء Air and Water Pollution والزحام Crowding ودراسة المدن. كيف يتعامل الإنسان مع البيئة وكيف يحركها ويطورها وكيف ينحط بها؟ هناك حاجة متزايدة إلى ازدهار التربية البيئية أو التعليم البيئي والإعلام البيئي والوعي البيئي والتشريع البيئي. كيف نعدل من سلوك الإنسان تجاه البيئة؟ وكيف نحسن علاقة الإنسان ببيئته؟ إذا كانت القضية عبارة عن سلوك إذن فعلى التعليم أن يسهم في تشكيل سلوكيات الناس وتعديل اتجاهاتهم العقلية نحو البيئة والإيمان بها وحبها والمحافظة عليها. ويتصل علم النفس البيئي بفرع آخر أكثر حداثة هو علم النفس المعماري Architectural Psychology.

البيئة، ولا شك، تؤثر في عملية الإحساس Sensation وعملية الإدراك الحسي أو تكوين المدركات الحسية والتصورات العقلية Perceptions والمعرفة البيئية Envirnmental Cognition.

وفي النهاية لا بد من تعديل سلوك الناس تجاه البيئة من أجل إنقاذ البيئة

Changing behaviour to save the environment

وهي الحضانة التي تحتضن الإنسان وترعاه ومنها يجد غذاءه وماءه وأمنه واستقراره ومستقبله.

سيكولوجية التلوث

مفهوما التلوث والبيئة:

التلوث Pollution أي القذارة أو الجراثيم أو الغبار أو الغازات السامة التي تصيب الهواء، والمجاري المائية العذبة وغير العذبة، وتلوث سطح الأرض وباطنها أو جوفها، بصبب النفايات الناشئة عن ازدياد النشاط الصناعي للصرف الصناعي، والناجمة عن الصرف الصحي وعوادم السيارات وكافة وسائل النقل الميكانيكية، والدخان والأتربة، وانتشار العدوى والجراثيم، والتلوث يصيب البيئة التي هي المجال أو الإطار الذي يحيط بالإنسان أو بالكائن الحي، وهي مجال التفاعل بين الوحدات الحية، والبيئة هي كل ما يحيط بالإنسان من الناس والأشياء والأحداث ومن مجتمعات بشرية كجماعة الأسرة، وجماعة العمل، إلى جانب ما يوجد من نظم وقوانين.

وللبيئة شقان: شق مادي جغرافي أو فيزيقي:

Geographical Environment:

وتشمل الأرض ما عليها وما بداخلها وما في جوفها والأنهار والبحار والمحيطات، وظروف المناخ، الشق الآخر اجتماعي؛ وهو البيئة الاجتماعية Social Environment.

ولا بد من قيام محاولات لحماية البيئة من الأضرار المختلفة الناجمة عن

الصناعات الحديثة، ودخان الآلات، وفضلات وبقايا ونفايات الإنسان والحيوان، والنفايات الإشعاعية أو الذرية، ومن الضوضاء وازدحام السكان. وهناك ضرورة لتحسين البيئة بتوفير المساكن الصحية الجيدة والمياه النقية والنظيفة، وحماية المصادر الطبيعية من التلوث، والحفاظ على نقاء الغلاف الجوي، ونظافة بيئة الإنسان جزء من نظافته الشخصية، وهي عادة نفسية وتربوية يمكن تدريب النشىء عليها.

وجزء من النظام القيمي السائد في المجتمع وترتبط بمشاعر الوطنية والانتماء والشعور بالمسئولية وتقدير الصالح العام، وكف الأذى عن الطرقات، كما علمنا رسولنا الكريم، والحماية من التهلكة اهتداء بتراثنا الإسلامي الخالد.

دور الانسان في انتشار تلوث البيئة

معظم أسباب التلوث ترجع إلى الإنسان، ومعظم آثار التلوث أيضاً ترتد على صحة الإنسان، فتصيبه بالأمراض أو الهلاك، والتي من بينها الأمراض الخطيرة، والإنسان هو المصدر الأول، بسلوكياته الخاطئة، في التلوث وهو الضحية الأولى لانتشار التلوث، ويعده تأتي الثروة الحيوانية والنباتية.

ولذلك لا تخلو ظاهرة التلوث التي يزداد انتشارها يوماً بعد يوم من عوامل نفسية تكمن في عقيدة الإنسان واتجاهاته نحو البيئة، وعاداته السلوكية ومقدار شعوره بالانتماء للبيئة، التي هي «الحضّانة» التي يتربى ويترعرع فيها الإنسان، ومع ذلك لا يألو جهداً في سبيل تدميرها وتحطيمها وتلويثها وملئها بالمواد السامة والجراثيم والأوبئة والطفيليات والروائح الكريهة والميكروبات والغبار ألسام والمدمر.

الإنسان هو الذي يلقى بنفاياته وصرفه الصحي في مجاري المياه العذبة فيلوثها ويقتل ما بها من ثروة سمكية، وهو الذي يصب عوادم المصانع في المجاري المائية، وهو الذي يلقي بجثث حيواناته النافقة في عرض النهر ليلوثه، وهو الذي يلوث الشوارع والمساكن والطرقات، وهو الذي يدير محرك السيارة التي ينبعث منها المواد الملوثة وما إلى ذلك.

وللتلوث أسباب كثيرة يجملها الدكتور محمد صابر سليم[1] وزملاؤه فيما يلي :

مصادر أو أسباب التلوث البيئي

يمكن إرجاع أسباب التلوث إلى أربعة مجموعات رئيسية من العوامل السببية :

١ ـ المصادر الطبيعية، ومنها العوامل والظروف المناخية كرياح الخماسين، وانتشار الصحاري حول الوادي الضيق.

وتصل كمية الأتربة أو الغبار والرمال التي تسقط فوق مدينة القاهرة وحدها إلى (٤,٦ ـ ٣,٢٢) طن من الميل المربع، بمتوسط حسابي قدره ١٥,٦ طن في الميل المربع. وتزداد هذه المعدلات في حالة التعرض للعواصف الترابية. يضاف إلى ذلك التلوث الناجم من حبوب اللقاح والبراكين والزلازل ومخلفات الطيور والحيوانات والحشرات.

٢ ـ المصادر الصناعية وما تخلفه الصناعات من مخلفات كيميائية تصيب الهواء أو الأرض أو المجاري المائية، فهناك بعض المدن العربية، كمدينة القاهرة التي أصبحت تضم مئات المصانع في مناطق مثل شبرا الخيمة وحلوان، وخاصة صناعة الحديد والصلب والإسمنت وإطارات السيارات والصناعات النسيجية والصناعات الهندسية والكهربية والكيميائية، والغذائية، وتكرير البترول، ومصانع تعبئة الغاز الطبيعي، والصناعات الثقيلة وصناعة الكوك والسماد ومحطات القوى الكهربائية.

ومعظم هذه الصناعات، قديمها وحديثها، لا تتوفر فيه وسائل الأمن الصناعي للتحكم في المخلفات والنفايات والعوادم والغازات، ومن الدخان والأبخرة المتسربة من هذه الصناعات.

---

(١) محمد صابر سليم وآخرون، الدراسات البيئية، جامعة عين شمس، ١٩٨٥، القاهرة.

ومن الأمثلة على ذلك ما أصاب بحيرة مزيوط وهي إحدى البحيرات الشمالية وتقع جنوب مدينة الاسكندرية، وهي لا تتصل بالبحر المتوسط كما هو الحال بباقي البحيرات الشمالية. ويقع بالقرب منها مناطق صناعية كبيرة في حي محرم بك وكرموز، وتصب هذه الصناعات مخلفاتها السائلة والمتجمدة في البحيرات مما أدى إلى قتل ما بها من ثروة سمكية عظيمة، فضلاً عما تسببه من أضرار جسيمة بصحة السكان المجاورين لها. ومصانع الإسمنت في حلوان وطرة لا يوجد بهاالفلاتر الكافية لتنقية الهواء من الغبار المتصاعد من هذه الصناعات.

٣ ـ وسائل النقل والمواصلات، وما يخرج منها من عوادم كالدخان والغازات الضارة التي تنتشر في الجو، ويشعر بها الناس جميعاً، وخاصة في الميادين المزدحمة ومحطات السكك الحديدية وأمام إشارات توقف السيارات من جراء ما تستخدمه من البنزين أو السولار أو الكيروسين أو المازوت، لدرجة أنه وفقاً لأحد التقديرات، فإن ما يصيب مدينة القاهرة يصل ٧٥٠ ألف طن سنوياً.

ويضاعف من حجم هذا المصدر تشغيل سيارات أو مركبات محركاتها ليست في حالة جيدة، مما يزيد من انبعاث العادم القاتل منها. الأمر الذي يلقي بمسئولية على رجال المرور لإيقاف كل سيارة يتصاعد منها العادم.

٤ ـ المصادر الزراعية والمرتبطة بأعمال الزراعة، من ذلك استخدام المبيدات الحشرية والأسمدة، أو المخصبات، والتوسع التكنولوجي في استخدام الطائرات في رش المبيدات الزراعية. ولقد أدى ذلك إلى الإضرار بصحة الفلاح المصري، والطيور التي كانت تنفعه والحيوانات والحشرات النافعة، فضلاً عن تلوث الهواء ومصادر المياه.

وقد يؤدي إهمال الفلاح في التخلص من البقايا الزراعية كقش الأرز أو قش الذرة إلى نمو الحشرات والقوارض كالفئران وغيرها مما ينقل العدوى ويلوث البيئة.

وهناك نمط آخر من التلوث إلى جانب أنماط التلوث السابقة هو التلوث بالضوضاء الزائدة، وهو من أخطر أنواع التلوث على الصحة الجسمية والنفسية

للإنسان، وقد يؤدي تعرض الإنسان لكثير من الضوضاء العالية أو المرتفعة إلى إصابته بالصمم، فضلاً عن شعوره بالقلق والضيق، وعدم الراحة، وشعوره بالتوتر العصبي، أو على القليل إصابته بضعف السمع[١].

وتزداد مشكلة الضوضاء، وخاصة في المدن الكبرى بسبب النشاط العمراني ودك أساسات المباني الضخمة. ومن مصادر التلوث بالضوضاء وسائل النقل وأجهزة التنبيه، خاصة في مواكب الأفراح التي تمتلىء بالفوضى، وعدم الانضباط، ومكبرات الصوت في الأفراح والمآتم والحفلات. وعلى الرغم من وجود تشريعات تمنع هذه الضوضاء التي تصم الآذان، إلا أن تنفيذها لا يتخذ شكلاً جاداً. فمواكب الأفراح وما فيها من سيارات تبدد سكون المناطق التي تمر بها أمام مسمع ومرئى من السلطات المسئولة. الأمر الذي يدعو رجال المرور لضرورة ضبط وإيقاف هذه المواكب وتلك الأبواق.

والضوضاء المتقطعة في مناطق العمل تزعج العمال، وتقلل من معدلات الإنتاج، وتجعل الاتصال بين العمال وبين المشرفين صعباً، وتحدث الضوضاء آلاماً في الأذن، وتؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم، وصعوبة التركيز، والصداع، وتعرقل نشاط المعدة، وتسبب التوتر العضلي، وسرعة النبض، وتؤدي إلى حدوث تغييرات في نشاط الغدد الصماء، وقصور في بعض الوظائف الحيوية، والحرمان من النوم ومن الراحة ومن الاستجمام.

وهناك جهود كثيرة لحماية البيئة وتجميلها وتحسينها والعمل على حسن استغلاها واستثمارها، ومن ذلك عقد المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية وانتشار المراكز العلمية والمتخصصة ودراسة البيئة. وتساهم في ذلك المنظمات الدولية[٢]، وإدخال مادة التربية البيئية ضمن المناهج والمقررات الدراسية.

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، علم النفس في المجال المهني، دار المعارف، بمصر، ١٩٩٠.

(٢) محمد صابر سليم، وآخرون، الدراسات البيئية، وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع جامعة عين شمس، ١٩٨٥، القاهرة.

يجب أن يستشعر إنسان العصر بالأخطار التي تحدق بالبيئة التي يعيش فيها ويستظل بسمائها ويرتوي من مياهها ويستنشق هواءها ويمشي على أرضها، وأن يستقر في عقله أن العلاقة التي تربطه ببيئته هي علاقة تفاعل أي أخذ وعطاء أو تأثير وتأثر أو تأثير متبادل وعلى ذلك فليست حماية البيئة ضرباً من ضروب الترف، وإنما هي، في جوهرها، محافظة على صحة الإنسان نفسه، وحماية لأمنه ورزقه وطعامه، ولذلك لا يقبل العبث بالبيئة إلا كل فاقد للعقل والقوى الإدراكية.

لقد أساء إنسان العصر التعامل مع البيئة، وأخذ في إتلافها وتدميرها وتحطيمها والإساءة إليها بكل الطرق حتى انخرق الأوزون وانتشرت أمراض كالفشل الكلوي والأمراض الصدرية والسرطان من جراء التلوث.

ولا تقتصر إساءة الإنسان للبيئة على تلويث أرضها ومياهها وهوائها بل يتلف الأراضي الزراعية ويصيب مساحات شاسعة بالتصحر. ولقد استنزف وأهدر الموارد الطبيعية والزراعية، وأقام المدن في غير موضعها الصحيح، ودمر المناطق الجميلة التي كان يروّح عن نفسه فيها، وقطع الغابات وجفف البحيرات وبسببه انقرضت فصائل من الكائنات، ولذلك أنشئت الأجهزة التي ترصد مواد التلوث وعناصره في الهواء والماء وفي التربة وفي جوف الأرض، وتم إنشاء منظمة عالمية متخصصة في البيئة وشئونها وهي برنامج الأمم المتحدة للبيئة UNEP.

وقتل الإنسان الأشجار التي كانت تزين الشوارع وتنشر الخضرة في المدن. وكان من نتائج جهود حماية البيئة إدخال مادة «التربية البيئية» ضمن المناهج والمقررات الدراسية، وظهرت بحوث تتناول الوعي البيئي لدى جمهور الطلاب بغية ترشيد الطلاب للبعد عن العبث مع البيئة أو الإساءة إليها[1].

والحقيقة أن البيئة لا يختص علم واحد بدراستها وحمايتها والعمل على تحسينها، وإنما يمكن لجميع العلوم أن تهتم في هذا الصدد، وخاصة العلوم الإنسانية

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، دراسة ميدانية للوعي البيئي لدى شباب الجامعة، بحث غير منشور.

وما يمكن أن تقوم به من تكوين الاتجاهات العقلية الإيجابية نحو حب البيئة والمحافظة عليها والانتماء إليها والعمل على تجميلها وتحسينها وحسن الاستفادة منها.

ويتوقف وجود الإنسان على مقدار تعامله مع البيئة، وما تحتويه من الهواء والماء والتربة وضوء الشمس وحرارة الجو وبرودته ورطوبته وما يوجد في باطن الأرض من خيرات ومعادن وما يوجد علي سطحها من نباتات وأشجار وأحراش، وما يعيش على سطحها من الحيوان، وفي مياهها من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى.

وإلى جانب هذا البعد المادي أو الفيزيقي من البيئة، هناك شق معنوي آخر أو اجتماعي يتمثل في العادات والتقاليد والنظم والقوانين والقواعد والعقائد والأفكار والآراء السائدة والمثل والمعايير والأعراف واللغة والدين والعلوم والحرف المختلفة، إلى جانب ما يوجد من جماعات بشرية كجماعة الرفاق وزملاء المدرسة أو النادي أو العمل وجماعة الأسرة وأبناء الجيرة ومن إليهم.

والعلاقة المثلى التي يتعين أن تقوم بين الإنسان وبيئته هي علاقة التوازن والوئام والانسجام، ليست علاقة الحرب أو العداء أو الإهمال والكراهية.

الإنسان ابن البيئة ومحصّلة لتفاعلها مع ما يولد به من قوى وراثية. والإنسان يعتمد اعتماداً كلياً على ما يوجد في عناصر البيئة من خيرات وموارد، ويتوقف تقدمه على مقدار استغلاله واستخراجه لعناصر البيئة من معادن ونفائس. ولقد أدى سوء معاملة الإنسان للبيئة إن ساءت حالتها وانقرضت حيوانات كثيرة وتصحرت الأراضي الزراعية وتلوثت المياه والهواء بالمخلفات الصناعية أو الطبيعية كالرياح وما تحمله من الأتربة والنباتات وما يتطاير منها من حبوب اللقاح التي تسبب إصابة الإنسان بالحساسية وبعض أمراض العيون، وكذلك مخلفات الطيور والحيوانات، ونقل العدوى من الحيوانات المصابة بالعدوى إلى الإنسان السليم.

ومن مصادر التلوث الطبيعية كذلك الذباب والحشرات والباعوض والقوارض كالفئران، والزواحف والقواقع والبراكين والزلازل والأعاصير والعواصف.

لقد أصبح التلوث أحد مشاكل المجتمع، ولا يقل خطراً عن الإدمان والإرهاب والجريمة والجنوح والتطرف والعنف والغلاء والبطالة. ولا شك أن البيئة ذات أهمية حيوية لحياة الإنسان، فهي الإطار الذي يحيا فيه الإنسان مع غيره من الكائنات الحية، ويحصل منها على مقومات حياته من مأكل وملبس ومسكن، ويمارس فيها مختلف علاقاته مع بني البشر، وأنها تشتمل مجموعة من المكونات الحية وغير الحية الدائمة التفاعل مع بعضها البعض مؤثرة، ويهتم علم البيئة بما يلي:

١ ـ وقاية المجتمعات البشرية من التأثيرات الضارة لبعض عوامل البيئة.
٢ ـ وقاية البيئة محلياً وعالمياً من النشاط الإنساني الضار.
٣ ـ تحسين نوعية البيئة وتطويعها لصحة ورفاهية الإنسان[١].

وقصارى القول، فإن قضية تلوث البيئة قضية تربوية في المحل الأول والمطلوب أن يتربى الناس، كبيرهم وصغيرهم، على حب البيئة وحسن التعامل معها، وحمايتها، والمحافظة عليها، وتحسينها، وتجميلها، وعدم تدميرها أو تحطيمها أو إلحاق الضرر بها، لأن ذلك كله يرتد إليه هو ذاته.

---

(١) محمد صابر سليم، وآخرون، علوم البيئة، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٨٩.

العوامل النفسية في التلوث

الجانب السيكولوجي في قضية التلوث:

تعتبر قضية التلوث قضية سلوكية في المحل الأول، ذلك لأن الإنسان يعتبر المصدر الأول للتلوث. وتلويث البيئة هو نوع من السلوك كغيره من أنماط السلوك الأخرى، له دوافعه ومثيراته، ومن ثم يمكن التحكم فيه والسيطرة عليه وتعديله[١]. ولا بد أن للشخص الذي يسهم في تلويث البيئة له صفات وسمات خاصة، لا بد من إظهارها بغية توجيه الأنظار لوضع البرامج الإرشادية لترشيد سلوك الناس نحو الحفاظ على البيئة نظيفة نقية، ونحو العمل على تحسينها وتجميلها، واستثمارها، والاستفادة منها، وحماية البيئة من التلوث والدمار والتخريب، لأن التلوث إذا ما ترك فسوف يستفحل أمره وسوف يقضي على الحياة على هذا الكوكب بما في ذلك الإنسان نفسه[٢]. أمر غريب، الإنسان يقتل نفسه بلا حروب، وإن كان ذلك لا يلغي دور الطبيعة في تلويث البيئة، بما يصدر عنها من الرياح والأتربة والغبار والعواصف والفيضانات والزلازل والبراكين، ولكن الإنسان له دور أكثر خطورة في تدمير[٣] البيئة.

---

(١) عبد الرحمن العيسوي «دراسات في السلوك الإنساني»، منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٧٥.

(٢) عبد الرحمن العيسوي، الإرشاد النفسي، دار الفكر الجامعي الاسكندرية ١٩٨٠.

(٣) عبد الرحمن العيسوي، علم النفس في المجال المهني، دار المعارف سنة ١٩٩٠.

قضية التلوث قضية تربوية تحتاج إلى تربية الإنسان على حب هذه البيئة والارتباط بها والرغبة في حمايتها، والحفاظ عليها، والتوحد وإياها، واعتبار نفسه جزءاً من هذه البيئة التي يعيش في وسطها. وقضية البيئة قضية مجتمعية تختص بأبناء المجتمع كلهم، ولا يمكن إلقاء مسئوليتها على عاتق الدولة وحدها مهما بلغت إمكانات الدولة، ذلك لأنه حتى في حالة قيام الدولة باتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية البيئة، فإن ما تبينه الدولة يدمره الأفراد. ولا يمكن أن تعين الدولة حارساً يقف بجوار كل مواطن يحرس سلوكه ويوجهه ويرشده، إنما لا بد أن ينبع الترشيد من الداخل، من الذات، من الإنسان نفسه، صاحب هذه البيئة والمستفيد الأول والأخير منها. فكل ما فيها من خيرات وكائنات سخرها الله تعالى من طيور وأنعام وبغال وحمير أسماك وغلال ومعادن... الخ، مسخرة لخدمة الإنسان ولسعادته. كقوله تعالى في سورة النحل **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾** (الآيات من رقم ٥ حتى رقم ٧) [١].

في هذا البحث المتواضع إبراز للجوانب النفسية في قضية التلوث، ذلك لأنه ينتج من عادات سلوكية معينة تتسم، للأسف الشديد، بالعبث والإهمال واللامبالاة وضعف الشعور بالانتماء والعدوان والرغبة في التخريب وضعف عادة النظافة وسمة النظام، وعدم تفضيل المصلحة العامة والاستهتار والفوضى... ما هي سمات الشخص أو المسئول الذي يعمد إلى تلويث البيئة وقتل الأخضر واليابس فيها؟ أو ذلك الذي يهمل فيراها تتدمر ويقف منها موقف المتفرج؟

---

(١) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨١.

العلاقة بين الصناعة والتلوث

في الحقيقة إننا كنا نتوقع أن تسهم الصناعة في تحقيق رفاهة الإنسان وسعادته لا أن تسهم في قتله أو إصابته بالأمراض التي تنجم عن التلوث. ومعروف أن التقدم التكنولوجي الحديث لم يصاحبه تقدم في الأمور الأخلاقية والمعنوية التي تحكم استخدام العلم ومنجزاته في الذرة أو في غيرها، فهناك فجوة بين القيم المعنوية وبين التقدم المادي الذي سار بخطوات سريعة ومتلاحقة، ومن هذه الأمراض كما تعرف، الفشل الكلوي والسرطان والسل الرئوي والتسمم، كذلك فإن المواد المشعة المتسربة من الصناعات تسبب أمراض العين والجلد والدم والسرطان. كذلك فإن ما تصدره المصانع من ضوضاء قد يصيب الناس بالصمم أو ضعف السمع. وقد تؤدي الإشعاعات للإصابة بالإينمياء والعقم وقصر العمر. وللمعادن أضرار كالزئبق والكروم والمنجنيز والزرنيخ والنيكل، إلى جانب أضرار الغازات[1]. ويضر بصحة الإنسان غبار القطن وغبار القصب وغبار الفحم والتلك والألياف، وتصيب الإنسان بأمراض الجهاز التنفسي من ذلك ما يلي:

١ ـ التحجر الرئوي.
٢ ـ مرض الحرير الصخري.
٣ ـ مرض عمال الفحم.
٤ ـ مرض عمال التلك أو الطباشير الفرنسي.
٥ ـ أمراض الأتربة العضوية أي القطن والكتان.
٦ ـ مرض السل الرئوي.

وهناك كثير من الصناعات التي تضر بصحة الإنسان إذا لم تتخذ الإجراءات الوقائية، من ذلك صناعة القطن كالحلج والغزل والنسيج وصناعة الصابون، وخاصة

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، علم النفس في المجال المهني.

تأثير الصودا الكاوية، والدباغة عن طريق تأثير الجير والأملاح والأحماض والزرنيخ، وصناعة الزجاج وصناعة السكر، ويتأثر المشتغلون بها من جراء الحرارة وبعض أنواع البكتيريا التي تعيش في القصب وتكثر عند العمال الدمامل من تأثير السكر[1].

اتساع دائرة التلوث:

كان الناس منذ وقت قريب، نسبياً، يعتقدون أن التلوث عبارة عن واحدة من المشاكل العديدة الناتجة عن التحضر أو الانتقال من الريف إلى الحضر، مما أدى إلى نشأة العديد من المشكلات من ذلك ازدحام المدن، وصعوبة المواصلات، وتفشي البطالة، والجريمة والانحراف والإدمان، وتدني مستويات معظم الأحياء السكنية، وضعفت مستوى الخدمات من جراء زيادة السكان وانتشار الحوادث، ومن أخطر مشاكل التحضر التلوث، ولكنه امتد للأسف الشديد ليشمل الريف والمناطق الصحراوية أيضاً، والتلوث أصبح ظاهرة عامة لا تعرف الحدود.

ما هو التلوث؟

هناك معاني ومدلولات كثيرة للتلوث، فهو لغة يشير إلى خلط الشيء بالشيء وتمرسه به، فيقال لوث الشيء في التراب أي لطخه به، ولوث الماء أي كدره، والتلوث أي الالتفاف، كأن يلتف النبات بعضه بعضاً. والتلوث بالدم أي تلطخ به، وتلوث ثوبه بالطين أي تلطخ به والماء أو الهواء ونحوه، أي خالطته مواد غريبة ضارة.

واللوثة أي الحمق والتهيج أو الجنون والبطء والحبسة في اللسان، أو مس من

---

(١) المرجع السابق.

الجنون[1]. والتلوث يشير إلى عدم النقاء أو الصفاء أو الطهارة أو النظافة. ويطلق على العوامل المسببة للتلوث اصطلاح «الملوثات» كالضوضاء والمواد الكيميائية والإشعاعات والأتربة والغبار[2]...

ولا يقتصر خطر التلوث على الإنسان وحياته، وإنما على جميع الكائنات الحية التي تعيش على هذا الكوكب. والإنسان، وإن كان هو مصدر التلوث الرئيسي في هذه الأيام، إلا أن ذلك لا يلغي وجود مؤثرات أو ملوثات أخرى صادرة عن الطبيعة من ذلك بعض الإشعاعات الطبيعية وغبار اللقاح المنتشر من النباتات والبراكين وما يصدر من بعض الأشجار.

وفي الوقت الحاضر تتضافر على هلاك البيئة الملوثات الطبيعية، وتلك التي هي من صنع الإنسان، كالمبيدات الحشرية ومبيدات الأعشاب والطحالب، هذا إلى جانب جثث الحيوانات النافقة والتي يلقى بها في المجاري المائية، فضلاً عن عوادم السيارات في شكل ثاني أكسيد الكربون وهو في الأصل مكون طبيعي، وإنما يزيد الإنسان عليه بزيادة استخدامات الوقود في تسيير السيارات وغيرها من المركبات. إن بيئة الإنسان تعيش في أزمة قاتلة في هذه الأيام، وللأسف معظمها من صنع الإنسان الذي تحضر ثم أراد أن يقضي على حضارته بنفسه، مع ملاحظة أنه في الإمكان الاستفادة من بعض الملوثات، كفضلات الحيوانات، في تخصيب التربة، ولكن إذا تركها الإنسان تحولت إلى مصدر للتلوث. بل إن النفايات نفسها أمكن، في ضوء الصناعة الحديثة، تحويلها إلى سماد يستفاد منه في الزراعة. ومعروف أن التلوث إذا زاد عن قدرة الكائنات الحية ماتت هذه الكائنات. ويتخذ التلوث أشكالاً عديدة، منها تلوث الهواء وخاصة في المدن، وينتج ذلك من تصاعد الدخان والكربون والغازات.

---

(١) المعجم الوسيط ص ٨٤٤.

(٢) د. السيد عبد العاطي، الإنسان والبيئة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٣٧٦.

وتزداد هذه المشكلة بزيادة كثافة وازدحام المدن بالسكان، ولذلك يتعين أن يخضع استعمال النار إلى رقابة القانون، ومن العوامل السببية في انتشار تلوث الهواء زيادة عدد محركات الديزل وتضاعف كميات الفحم والعادم والدخان من المصانع وكافة المركبات، مما يزيد من نسبة الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي.

ومن أشكال التلوث الخطيرة تلوث المياه، ومن العبث أن نرى أن الإنسان الذي تتوقف حياته كلها على المياه هو الذي يلقي بفضلاته في مصادر المياه فيلوثها، ويقتل ما بها من أسماك وحيوانات مائية وثروات أخرى ويمكن تلخيص مصادر تلوث المياه فيما يلي:

١ ـ الفضلات الخام.
٢ ـ المخصبات الكيماوية.
٣ ـ الأحماض.
٤ ـ السموم الصناعية.
٥ ـ الغرين.
٦ ـ الأملاح.
٧ ـ الزيوت.
٨ ـ الشحوم.
٩ ـ المنظفات.
١٠ ـ البكتيريا.
١١ ـ المبيدات الحشرية.
١٢ ـ الأعشاب.
١٣ ـ الإشعاعات وخاصة الذرية منها.
١٤ ـ يضاف إلى ذلك تصريف الصرف الصحي في المجاري المائية.

ويستعرض الدكتور السيد عبد العاطي السيد في مؤلفه القيم التلوث بالنفايات والفضلات الصلبة على نحو دقيق كما يلي:

تسهم النفايات أو القمامة أو الفضلات الصلبة بنصيب لا يستهان به في مشكلات تلوث البيئة في المدن والمناطق الحضرية الكبرى. فإلى جانب ما ينتج عن سكان المدن من فضلات طبيعية وما تفرزه المصانع من مخلفات كانت سبباً مباشراً كما سبق وأن رأينا في تلوث المياه بقذر البالوعات أو الفضلات الصناعية، نجد أن المدن والمراكز الحضرية تنفرد بخاصية أساسية هي تلك الكميات الضخمة من النفايات أو القمامة الناجمة عن مختلف أنواع النشاط والحياة في المدن. ومعروف إحصائياً أن معدلات الإنسان المصري من إنتاج النفايات يفوق كثيراً من المجتمعات الأخرى.

ولقد حتمت طرق الحياة الحضرية بخصائصها المعروفة زيادة الاتجاه نحو تغليف المنتجات في أوعية يسهل التخلص منها كعلب الكرتون والبلاستيك والزجاج والمعادن. وكثير من هذه الفضلات يعتبر ملوثات كيفية لأنها تقاوم عمليات التحلل الطبيعي. ومن هنا نظر إلى التحضر أو العيش في المدن على أنه اتجاه نحو زيادة ما ينتج من قمامة أو نفايات، لقد جاء في إحدى التقديرات إن متوسط ما يخلفه الفرد الواحد من سكان المدينة في أمريكا من نفايات أو فضلات صلبة أكثر من طن في العام الواحد، وأن المدن الأمريكية قد خلفت ما يقرب من ٣٠ مليون طن من الورق ومنتجاته. و ٤ مليون طن من البلاستيك، و ١٠٠ مليون إطار كاوتشوك، و ٣٠ مليون بليون زجاجة فارغة و ٦٠ مليون علبة صفيح، وملايين الأطنان من فضلات الطعام ومواد أخرى. ومما يزيد المشكلة تعقيداً زيادة اتجاه السكان إلى الإقبال على استخدام المعلبات بأنواعها المختلفة في الوقت الذي تفجر فيه الإمكانيات المتاحة للتخلص من الفضلات والقمامة عن مسايرة هذه الزيادة[1].

---

(٩) المرجع السابق.

التلوث بالضوضاء:

ومن مصادر التلوث كذلك الضوضاء وتصدر هذه الضوضاء عن المصانع والآلات الضخمة واستخدام آلات التنبيه في السيارات أو الأصوات الموسيقية العالية أو مكبرات الصوت في الأفراح والمآتم.

من الأخطار الناجمة من تلوث الضوضاء فقدان السمع أو ضعفه.

ولقد أصبحت شوارع المدن مليئة بالضوضاء، وتؤثر الضوضاء على الحالة النفسية والانفعالية والصحية للفرد.

وليست جميع الأصوات عبارة عن تلوث، وإنما الأصوات المزعجة فقط أو عديمة الأهمية بالنسبة لمن يستقبلها، ويتوقف تأثير الضوضاء على الاتجاه العقلي الذي يتخذه الإنسان حيالها، فالآلة الضخمة التي تدك أساس العمارة تزعج كل الناس، ما عدا صاحب العمارة الذي يرى فيها «لحناً موسيقياً جميلاً». وأكثر أنواع الضوضاء إزعاجاً الضوضاء المتقطعة وليست المستقيمة أو الرتيبة. ومن الأمور المؤسفة التي نلاحظها في شوارعنا انطلاق السيارات في مواكب الأفراح أو اندفاع الدرجات البخارية محدثة ضوضاء لا تحتمل. وقد تعمد بعض المقاهي إلى رفع أصوات التلفاز أو المذياع وتزعج كل الناس وخاصة المرضى وطلاب العلم وطالبي الراحة. وهناك بعض السيارات التي يصيبها بعض العطب، فتحدث ضوضاء لا تطاق. فالمدن الكبرى تعاني من مشكلة تلوث سمعي يصم الآذان، ويتلف الجهاز العصبي[١] أيضاً.

ويرى الكاتب أن معظم المصانع يوجد بها قدر ما من الضوضاء. ولقد لاحظ المشرفون على الأعمال الصناعية أن الضوضاء عامل يعوق إنتاج العامل، ولذلك

---

(١) المرجع السابق.

ابتكروا الحجرات المضادة للصوت، ولكن من الممكن أيضاً أن يتكيف الفرد مع الضوضاء بمرور الوقت، وكذلك من الملاحظ أن هناك بعض الأفراد الذين لا يتأثرون بالضوضاء.

ولقد وجد أن الأثر النفسي للضوضاء يتوقف على نوع هذه الضوضاء وعلى الاتجاه النفسي نحوها. هل هو بالقبول والرضا أم بالرفض والاستنكار؟

فالضوضاء المتصلة المستمرة التي تحدث على وتيرة واحدة وعلى نسق واحد ربما تؤثر على نفسية العامل، على حين أن الضوضاء المتقطعة أو غير العادية تؤثر على العامل.

الضوضاء المستقيمة مثل التي تصدرها الآلة الكاتبة ربما لا يكون لها أثر في الشعور بالاضطراب مثل الضوضاء غير المنتظمة التي تصدرها آلة تنبيه السيارة أو كالضوضاء التي يحدثها شخص قادم يطرق باب الحجرة، أو الشخص الذي يتكلم بصوت مرتفع في وسط مجال هادىء.

ولكن الضوضاء قد تساعد على الإنتاج إذا تعود عليها العامل، وإذا كان العامل قد كون اتجاهاً إيجابياً نحوها، فقد تساعد على خلق معدل سرعة موحد كأن يشجع العامل على العمل على سرعة موحدة وطبقاً لنغمة أو نسق واحد.

وعلى كل حال، فإن كثيراً من العمال يقبلون درجة معينة من الضوضاء في خلفية العمل، كضرورة يتطلبها العمل، كذلك هناك كثير من الأبحاث التي أثبتت أن أثر الضوضاء يتوقف على معناها بالنسبة للفرد أكثر من توقفه على كثافتها أو طبيعتها.

كذلك فإننا لا نشكو من الضوضاء التي يحدثها جهاز تكييف الهواء لأن الراحة التي نشعر بها تفوق أثر هذه الضوضاء، أو لا تشكو من الضوضاء التي تحدثها موسيقى الجاز إذا كنت أنت «العريس» المنتظر.

كذلك يتوقف أثر الضوضاء على نوع العمل الذي يؤديه الفرد، فقد وجد مجلس

بحوث الصحة الصناعية في بريطانيا أن الضوضاء لا تؤثر كثيراً على الأعمال الحركية البسيطة، ولكنها تقلل من الكفاءة الإنتاجية في الأعمال الصعبة المعقدة، لأن الأعمال المعقدة تحتاج إلى درجة عالية من التركيز. وعندما تسمع الضوضاء لأول مرة سواء أكانت ضوضاء محببة أو غير محببة «من أمثلة الضوضاء المحببة الموسيقى» يكون لها أثر في نفسية السامع. ولكن بعد فترة يعتادها الفرد ولا يهتم بها. والأعمال العقلية تتأثر بالضوضاء أكثر من الأعمال الميكانيكية البسيطة، لأن الأعمال الميكانيكية بعد فترة من المران تصبح آلية بينما الأعمال العقلية تحتاج إلى تركيز مستمر[1].

(١) عبد الرحمن العيسوي، علم النفس والإنتاج، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ص ١٣٦.

الفصل السادس

الوعي السيكولوجي
وتفهم مشاكل الأسرة العصرية

- الأسرة المثالية في ضوء الهدي الإسلامي والتراث العلمي
- أهمية الأسرة
- تعريف الأسرة
- تأثير العوامل الوراثية وزواج الأقارب
- العوامل النفسية في تجربة الطلاق
- تعريف الطلاق
- العوامل المسئولة عن حدوث الطلاق

الأسرة المثالثة في ضوء الهدي الاسلامي والتراث العلمي

أهمية الأسرة

الأسرة هي النواة التي يتكون منها المجتمع فإذا صلحت صلح المجتمع كله، وهي الحضانة التي يتربى ويترعرع في أحضانها الأبناء، الذين هم رجال الغد، وحملة الراية، وعدة المستقبل وعتاده، وأمل الغد المشرق، والذين تؤول إليهم، لا محالة، المسئولية الاجتماعية والسياسية والأسرية في حراسة المكاسب التي حققتها إرادة الشعب ونضاله وتقدمه ورقيه وتراثه وتقدمه الحضاري.

فالأسرة هي «صانعة» الأجيال وهي التي تتولى شخصية الطفل، منذ نعومة أظفاره، بالرعاية والعناية والإشراف والتوجيه والتربية، وهي التي يتوفر فيها إشباع حاجات الطفل المادية والاجتماعية والنفسية والروحية والأخلاقية، فيشعر في ظلها بالانتماء Feeling of belongingness فهي المأوى والمسكن والملاذ، وهي مصدر الدفء والحب والحنان والعطف وفيها[1]، إما أن يشعر الطفل بالوداد والتراحم والمودة والسكينة، فيشب مؤمناً بربه وبوطنه وبعروبته، خالياً من الأمراض

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٦ م.

والاضطراب وإما أن يتربى على القسوة والإهمال[1] والحرمان والنبذ والطرد والعنف، فيشب غير متكيف مع نفسه أو مع المجتمع الذي يعيش فيه، فيصاب بالمرض النفسي أو تجرفه الجريمة.

والأسرة هي التي تقدم لنا المثال الأعلى الذي يقتدي به، والنموذج الذي نحذو حذوه ونقتفي أثره، وتسير على هداه، وهي مصدر القدوة الحسنة، ولذلك تهتم بدراستها علوم كثيرة من أظهرها علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلوم الطب والتربية والقانون والخدمة الاجتماعية، وتقام من أجلها المؤسسات التي ترعاها وتعمل على تنظيمها والتخطيط لها وحمايتها من المشكلات والأزمات التي تبدد طاقاتها وتعترضها عن آداء رسالتها الإنسانية الرفيعة وفوق كل شيء اهتم بتأسيسها وبقائها وسلامتها ديننا الإسلامي العظيم بما كفله لها من سلامة النكوين وصحة الاختيار، ورسم لها مبادىء المودة والسكينة والتراحم والألفة والمحبة والتعاون والتساند والتعاطف والأمانة والصدق والولاء والوفاء والإخلاص...

والأسرة صاحبة الدور الأول في عملية تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية وإسلامية وسياسية وأخلاقية. ومن خلال الأسرة يتم الإشباع الحلال لكثير من العواطف والدوافع والغرائز كالأمومة والأبوة والجنس والاجتماع.

تعريف الأسرة

يمكن النظر للأسرة على أنها الوحدة الاجتماعية الأولى التي تستهدف المحافظة على بقاء النوع الإنساني واستمراره عن طريق الإنجاب والرعاية، وهي التي تقوم على الشكل الذي يقبله المجتمع، والقواعد التي يضعها لها. وهي نواة المجتمع وأساس كافة النظم الأخرى، وفيها يتعلم الطفل الوطنية التي تنشأ على شكل ولاء للأسرة أولاً، ثم سرعان ما ينتقل ليصبح ولاءً للوطن كله فإذا تربى الفرد على الجحود لأسرته، فقلما يدين بالولاء لوطنه. ولذلك نشأت علوم حديثة تختص بدراسة الأسرة، فمنها علم

النفس[1] الأسري وعلم الاجتماع الأسري والتوجيه الأسري والإرشاد الأسري والتخطيط الأسري واقتصاديات الأسرة والتدبير المنزلي.

وتختلف الأسرية باختلاف المجتمع الذي توجد في كَنفه، فالأسرة الإسلامية تختلف عن الأسرة في مجتمعات أخرى. ويختلف حجم الأسرة اتساعاً ليشمل كل أفراد العشيرة كما هو الحال في الأسرة القديمة وهناك الأسرة الصغيرة كما هو الحال في الأسرة الحديثة، وتعرف هذه الأسرة الصغيرة بإسم الأسرة الذرية Nuclear Family. وهناك الأسرة الأموية Maternal Family وفيها ينتسب الأولاد للأم، وهناك الأسرة الأبوية Paternal Family حيث ينسب الأطفال إلى الأب وحده، وفيها تتركز السلطة في يد الرجل. وعندما نزلت المرأة لميدان العمل حديثاً ظهرت الأسرة الثنائية Biarchal Family وفيها يتقاسم الرجل والمرأة مسئولية الأسرة وتربية الأبناء[2].

الخدمات الأسرية:

وتستهدف خدمة الأسرة Family Case Work دراسة أحوال الأسرة، وتعمل على تقوية أواصر الصلة بين أعضائها، وذلك عن طريق تنمية قواهم الكامنة وقدراتهم الشخصية، وذلك تمكيناً لهم على مواجهة الصعاب التي تعترض سير حياتهم، وللتغلب على المشكلات التي تقف في سبيل سعادة الأسرة، ومن هذه المشاكل في العصر الحديث كثرة عدد الأبناء، وضعف صحة الأم، وغلاء المعيشة في بعض المجتمعات، وبطالة بعض أفراد الأسرة، وجنوح بعض أفرادها وتأثرهم بتيارات العنف والتطرف والإرهاب والوقوع في براثن الجريمة والجنوح والانحراف، والإدمان وما إلى ذلك، علاوة على التفكك الأسري وتصدع الأسرة وانهيار كيانها وحرمان أبنائها من الرعاية والإشراف والعطف والحب والحنان والتوجيه الصائب والإرشاد الوالدي السليم.

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الأسرى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣ م.

(٢) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦ م.

وإذا زادت مشاكل الأطفال القصر عرضت مشاكلهم على المجلس الأسري Family Council أو المجلس الحسبي ويرأسه أحد القضاة، وذلك لحماية حقوق الأطفال القصر. وتسعى المجتمعات لحماية أسرها من خطر التصدع والانهيار أو التحلل أو الانحلال الأسري Family Disorganization في هذه الحالة تعجز الأسرة عن آداء رسالتها ووظائفها، مما يتطلب معه توجيه الإرشاد الأسري Family guidance بقصد حماية الأسرة من التصدع والتفكك ويقوم به الأخصائي النفسي في المجال الأسري، ولحل المنازعات التي تنشأ بين الزوجين والتي تهدد بحدوث الطلاق والانفصال Divorce، أو حل مشاكل الهجر والإهمال.

وتقدم مؤسسات رعاية الأسرة Family Welfare Agencies المساعدات المالية، وخاصة للأرامل والمطلقات أو الأسر المهجورة، وذلك في حالة مرض الزوج أو هجرته أو غيابه. هذا وتخضع الأسر في المجتمعات الحديثة للتخطيط Family Planning لتنظيم الأسرة وتحديد عملية الإنجاب[1].

للاسلام فضل السبق في رعاية الأسرة ووضع قواعد الأسرة المثالية:

لقد كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في رعاية الأسرة والحفاظ عليها وصيانتها، وضمان سعادتها واستقرارها، ومساعدتها على القيام بوظائفها المهمة. ولقد اهتم الإسلام الحنيف بسلامة الأسرة منذ اللحظة الأولى لتكوينها، فتراه ينصح الرجل الراغب في الزواج على لسان سيدنا ونبينا رسول الله ﷺ بقوله: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها ولجمالها ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه البخاري) وذلك للإرشاد نحو اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين، الذي هو أسمى ما يوجد في الكون، وفي الشخصية، وهو أعظم ما يقوّمها ويربيها ويهذبها، ويصلح من

---

(١) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦ م.

شأنها. فالأساس الأول الذي وضعه الإسلام هو دين الزوجة والزوج أيضاً، فإن كان الدين قوياً لدى المرأة أو الرجل، فقد صلح الأساس الذي يقوم عليه الزواج الصالح، وبقي النظر في أمور المال والحسب والجمال[1]، وإذا صلح الدين صلح الفرد بل والمجتمع بأسره، بل العالم كله، ومن هنا كانت الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية.

ويضع الإسلام قواعد أخلاقية ودينية لقبول طلب الزوج يد زوجته، فلقد روي أن رجلاً قال للحسن بن علي رضي الله عنهما «إن لي بنتاً، فمن ترى أن أزوجها؟ قال زوجها لمن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها»[2].

وفي الهدي النبوي الشريف قال رسول الله ﷺ «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها». ومؤدى ذلك أن أساس الاختيار السليم هو القيم الإنسانية والروحية والأخلاقية النبيلة والمبادىء الدينية الأصيلة لتكون الأسرة المسلمة، بصرف النظر عن الغايات الدنيوية كالمال والحسب والنسب والجمال وإن كانت تؤخذ في الحسبان. فلقد جاء في الهدي النبوي «إياكم وخضراء الدمن: قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء». وحرصاً من الإسلام على سلامة الأسرة وإنجاب الأطفال قال رسول الله ﷺ «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

لقد وضع الإسلام الحنيف نبراساً يضىء الطريق أمام تكوين الأسرة المسلمة الصالحة نبراساً يضىء الطريق، ويوضح الرؤية، ولنسر على هداه منذ بداية الزواج.

---

(١) عكاشة عبد المنان الطيبي، الزوج المثالي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣ م.

(٢) أورده عكاشة عبد المنان، في مرجعه السابق.

تأثير العوامل الوراثية وزواج الأقارب

وكان لإسلامنا فضل السبق على العلم الحديث في التحذير من زواج الأقارب نظراً لتأثير العوامل الوراثية والولادية السلبية على الذرية Congenital and hereditary factors التي دل البحث على أن اتحاد الجينيات الوراثية Genes الضعيفة لدى الزوجين اللذين تربط بينهما علاقة دم وقرابة، هذا الاتحاد يزداد أثره السلبي في الذرية، ولذلك يتعرض الطفل الوليد للإصابة بالصمم أو العمى Blindness and deafness أو التخلف العقلي Mental retardation أو ضعف السمع أو الأبصار والقزامة أو التشوهات الجسمية والعاهات والإعاقات الجسمية Physical handicapps.

ويرشدنا الإسلام إلى دقة الاختيار للنطف ذلك لأن العرق دساس، والبعد عن زواج الأقارب. فعلى المسلم ألا يقترب حتى لا تضمر ذرته، وتصاب بالسقم.

والعلم الحديث يؤكد، على سبيل المثال، خطر زواج الأقارب، وسبقه في ذلك الإسلام الحنيف، فالعلم الحديث يرى أن مريض السكر مثلاً ليس ممنوعاً من الزواج، وهو قادر على ممارسة الحياة الزواجية كاملة، ولكنه ممنوع من زواج الأقارب أكثر من غيره، وخاصة من الدرجة الثانية، حتى الدرجة الرابعة، ذلك لأنه من المعروف أن جينات مرض السكر التي تحمل الكروموزومات تورث في العائلات، فإذا تزوج مريض السكر بأحد أقربائه من الدرجة الثالثة أو الرابعة، فيكون الاحتمال كبيراً في إنجاب أطفال مصابين بمرض[1] السكر. وتكون إصابة الأطفال بمرض السكر شديدة، أو يصابون بغيبوبة السكر بصفة مستمرة، لأنهم لا يعرفون نظام التغذية المفروض لمريض السكر، كذلك يصابون بقصر القامة ذلك لأن زيادة نسبة السكر في الدم تمنع إفراز هرمون النمو. والمرأة المصابة بالسكر قد يصاب حملها بالتسمم والاستسقاء بالسائل الموجود داخل الرحم، وعلى الرغم من أن مرض السكر

---

(١) د. مفازي علي محجوب في عكاشة المنان، مرجعه السابق.

Diabetes ليس من الأمراض المعدية إلا أنه ينبغي أن نبتعد عن زواج الأقارب. وفي هذا الصدد يقول الهدي النبوي المبارك «اغتربوا حتى لا تضعفوا» أي يضعف نسلكم أو يضمر.

وبعد الزواج وتكوين الأسرة الصالحة وإنجاب الأطفال، يوصي الإسلام بالتوسعة على العيال من فضل الله إشباعاً لحاجاتهم، بصورة معقولة ومعتدلة، حتى لا يعانوا من الحرمان أو البخل أو العوز. كما يدعو إلى العدل في الأولاد فلا تفرق في المعاملة بين طفل وآخر، حتى لا تتأثر نفسية المظلوم منهم، ويشب على الحقد. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال إني غلت إبني هذا غلاماً كان لي. فقال رسول الله ﷺ أكل ولدك غلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ فارجعه. وفي رواية فقال رسول الله ﷺ أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا قال: اتقوا الله وأعدلوا في أولادكم. فرجع أبي فرد تلك الصدقة. وفي رواية فقال رسول الله ﷺ يا بشير ألك ولد سوي هذا فقال: نعم. قال: أكلهم وهبت له مثل هذا قال: لا قال: فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور». فالمسلم يسره أن يكون أبناؤه في البر سواء والثراء سواء، ويتمشى ذلك مع الطبيعة الإنسانية.

ويوصينا الإسلام بالنساء خيراً كما في قول النبي ﷺ «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وأن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» ويدعو الإسلام للنظرة الشمولية الإجمالية لخصال المرأة الإيجابية والسلبية في الحكم عليها والتعامل وإياها لقول النبي ﷺ «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» فالرجل إن بغض صفة في زوجته، كان فيها كثيراً من الصفات الطيبة، فيحدث الشعور بالتعادل والرضا. ويدعو الإسلام للاستمتاع بالمرأة، لقول الرسول ﷺ «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[1].

---

(١) يحيى بن شرف الدين النووي، مختصر رياض الصالحين، دار القلم، بيروت، لبنان.

ومن المبادىء الإسلامية الرفيعة في العلاقات الأسرية الحفاظ على صلة الأرحام وبر الوالدين والإحسان إليهما وإلى الأقارب واليتامى لقوله تعالى **﴿وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب الجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم﴾** ولقول الرسول ﷺ «من أحب أن يبسط له في رزقه وينساله في أثره فليصل رحمه. بمعنى أن يؤخر له في أجله ويطيل عمره. وروى الشيخان عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ فقال النبي ﷺ: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم» وقوله ﷺ كذلك «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[٢]. هذا إشعاع من نور الإسلام لمن أراد أن يستضيء وأن يحيا حياة أسرية سعيدة موفقة قوامها المودة والسكينة.

---

(١) المصدر السابق.

العوامل النفسية في تجربة الطلاق

تعريف الطلاق

يعرف الطلاق بأنه فسخ رابطة الزواج لسبب منصوص عليه قانوناً، وتختلف الأعراف التي تبيح الطلاق، باختلاف المجتمعات، ومن أهم الأسباب التي تجيز طلب الطلاق أو الأسس التي يبنى عليها الطلاق Grounds of divorce الزنا، والهجران عدة سنوات، والقسوة، والجنون الذي لا يرجى شفاؤه... إلخ، وحق المرأة في طلب الطلاق أقل نطاقاً من حق الرجل.

وهناك فرق بين الانفصال والطلاق Scparatian and divorce ففي الطلاق يكون الطرفان أحراراً في إقامة علاقات زواجية جديدة، بينما في الانفصال يقتصر الأمر على الانفصال الجسماني، وعدم الاتصال الجسماني، واستقلال كل طرف في المأكل والمخدع[1] مع بقاء الرابطة الزوجية كما هي.

ويمكن النظر للطلاق على أنه ترتيب نظامي لإنهاء علاقة الزواج، والسماح لكل طرف بحق الزواج مرة أخرى، وقد يساعد ذلك على إعادة تكيفه. كذلك من معاني الطلاق انتهاء رابطة الزواج، أو إصدار إعلان قانوني ببطلان هذه الرابطة، وقد يشير هذا

---

(١) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦ م، ص ١١٦.

المصطلح إلى حدوث انفصال بين الزوجين، بحيث لا يغير هذا النظام من العلاقات القانونية بينهما، التي تجمت عن الزواج. ويجد علم الاجتماع المقارن صعوبة في تعريف معنى الزواج في الثقافات المختلفة، وهذه الصعوبة هي التي تجعل من العسير تكوين فكرة محددة وواضحة عن الطلاق في كل المجتمعات.

ولذلك هناك صعوبة أيضاً في تحديد معدلات الطلاق في المجتمعات المختلفة[1]، ولكن لا بد من التفرقة بين مجرد الانفصال والطلاق، ففي الطلاق يصبح كل طرف من الأطراف حراً في إقامة زواج جديد. ولا يصلح هذا التمييز في المجتمعات التي تتعدد فيها الزوجات، إذ الزوج حر في أن يجمع في عصمته أربعة زوجات. والطلاق عبارة عن انفصام علاقة الزواج بسبب منصوص عليه شرعاً أو قانوناً.

ومن أخطر أسباب الطلاق الزنا، والهجران، والقسوة، والجنون الميؤوس من شفائه. والطلاق معناه رفع القيد كأن يتم إطلاق سراح الأسير أو السجين أي رفع قيد الزواج أو رفع قيد النكاح.

العوامل المسئولة عن حدوث الطلاق

وهناك عوامل كثيرة من أهمها العوامل النفسية أو انعكاساتها التي تؤدي إلى حدوث الطلاق، تعد مسئولة عن حدوث الطلاق. من ذلك صغر سن الزوجين، فكلما كان سنهما عند الزواج صغيراً كلما زادت احتمالات الطلاق، ومرجع ذلك قلة الخبرة، وقلة النضوج Lack of maturity and experience، فلقد وجد أن الذين يتزوجون قبل بلوغ سن العشرين تبلغ نسبة الطلاق بينهم ضعف الذين يتزوجون بعد سن العشرين. وبالتالي يقصر عمر الزواج في هذه الزيجات، حيث وجد أن نصف حالات الطلاق تحدث في السنوات السبع الأولى من عمر الزواج.

---

(١) محمد علي محمد وآخرون، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، بالاسكندرية ١٩٨٥ م ص ١٣٩.

وقد يسبق حالات الطلاق خطوات كثيرة من الانفصال الجزئي أو الهجر ومحاولات إصلاح ذات البين، ومعنى ذلك أن خطوات الطلاق تبدأ قبل ذلك بكثير، منذ أن يتسرب التصدع إلى الكيان الزواجي. ومن العوامل السببية كذلك طلاق الوالدين، حيث وجد أن الأزواج الذين ينحدرون من آباء وأمهات مطلقين أميل إلى أن يطلقوا هم أنفسهم.

وليس معنى وجود مشكلات في الحياة الزوجية أن ينتهي الزواج حتماً وضرورة بالطلاق، فقد يظل الطلاق، إلا عندما يصل الطرف الذي يطلبه إلى القناعة بأن الطلاق أفضل من الحياة الزوجية التعيسة.

ومما يدل على أن حياة الزواج مفضلة عن حياة العزلة أو الوحدة. إن هناك زوجة من كل أربع زوجات مطلقات يتم زواجها مرة ثانية والعودة إلى حياة الزواج[1] وذلك في المجتمع الأمريكي.

ومن العوامل المرتبطة بحدوث الطلاق انخفاض مستوى المعيشة للزوجين أو ضعف المستوى الاقتصادي والاجتماعي. فالطلاق بين الفقراء أكثر منه بين الأغنياء. لأن عدم الراحة الناجمة من قلة الدخل تؤثر في الزواج، وقد تدفع إلى الطلاق. كذلك فعدم استقرار الدخل قد يؤدي إلى الطلاق، وإذا كان الدخل المنخفض جداً وغير المستقر من أسباب الطلاق، فإن الثراء الفاحش أيضاً قد يدفع إلى الطلاق، كما يلاحظ في أوساط المهن الفنية.

والغريب أن هذه العوامل ليست مطلقة سواء أكانت صغر السن أو قلة الدخل أو زيادته، لأن هناك ملايين الحالات من هذه الفئات التي لا تنفصل، ومؤدى ذلك أن الإحساس النفسي بهذا العامل السببي أو ذاك هو المسئول عن الطلاق، وليس العامل في ذاته، والحقيقة أن الشعور النفسي هو الذي يكمن وراء الرغبة في الطلاق، حينما

---

(١) ثروت محمد محمد شلبي، الطلاق والتغير الاجتماعي في المجتمع السعودي، دار المجمع العلمي، جدة، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م ص ٧٩.

يتصور الزوج أو الزوجة أنه لم يعد جذاباً بالنسبة لشريكة حياته، وأن حياته قد تغيرت بهذا الزواج عما كان يرغب فيه أو عما كانت قبل ذلك. فالطلاق قد يرجع لعوامل حقيقية أو عوامل «وهمية متخيلة» يتوهم أحد الأطراف بأن الطرف الآخر أصبح لا تربطه به علاقة حب وعاطفة، فيفكر في الانفصال عنه.

وهناك من يرجع الطلاق إلى حالة نفسية أخرى حين يوازن الفرد بين مزايا بقاء الزواج وعيوبه، ومزايا الانفصال، فإذا شعر أن للانفصال مزايا أكثر، فإنه قد ينزع إلى الطلاق. وسواء كانت حسابات الخسائر والأرباح هذه حقيقية أم «وهمية» فإنها قد تدفع إلى الطلاق.

وقد يقبل الزوج على الطلاق بتأثير ما يلقاه من عوامل جذب من خارج نطاق الزواج، كالصحبة أو الصداقة أو الزملاء أي البديل عن حياة الزواج الفاشل.

فإذا فاقت كفة الزواج في عقد المقارنات بقي، وإذا قلت انفصم الزواج. وقد لا تكون هذه الموازنة عادلة أو موضوعية، فقد يتحيز الفرد فيقلل من مزايا الزواج في نظره، ويضخم من عيوبه، أو من مزايا الانفصال.

وهناك عوامل نفسية تقاوم الطلاق، من ذلك الخوف على مستقبل الأولاد أو نسيان علاقات الحب والتعاطف والمشاركة الوجدانية التي سبق أن قامت بين الزوجين، والخوف من المجهول بعد الطلاق. وكذلك مقاومة الأهل والخوف على إفساد علاقة الود بين الأسرتين، وخاصة في حالة القرابة.

تشابك وتعقد العوامل المسولة عن الطلاق:

والطلاق عملية معقدة ومتشابكة، وليست بسيطة، ولا يحتمل أن يقف ورائها سبب واحد دون سواه، ولكن تتشابك وتتفاعل في حدوثه العوامل الموضوعية المحددة والواضحة والعوامل الغامضة أو اللاشعورية، فقد يدخل فيه زيادة أعباء العمل، ووجود مشكلات مع الأهل، والأقارب، أو وفاة أحد أفراد العائلة، وتغير الوظيفة أو الانتقال لمكان بعيد أو وجود طرف ثالث. وقد يعزوها البعض إلى القضاء

والقدر. ويصعب تحديد المسئول عن الطلاق، فإذا سئل الزوج قال: إن الزوجة هي المسئولة. وإن سألنا الزوجة قالت إنه الزوج.

عدم النضوج وقلة الخبرة:

وفي بعض الدراسات كان عدم النضوج من بين الأسباب المؤدية للطلاق، وفقدان الشعور بالثقة في الطرف الآخر، وزيادة المطالب الجنسية الزوجية من جانب الزوج، وانشغال الأم أكثر من اللازم مع الأولاد، وإدمان الخمور والمخدرات، والمشكلات المالية والوظيفية والمشاكل العاطفية والشخصية.

وفي دراسة أمريكية جاء في مقدمة الأسباب فقدان عنصر التفاهم، والنزاع حول الأدوار التي يقوم بها كل من الرجل والمرأة، وتعاطي الخمور وعدم الانسجام، وتغيير الاهتمامات والقيم، والانهماك في العمل، وقلة الحياة الاجتماعية، عدم الإحساس بالحياة العائلية. وإذا كان لكل من الزوج والزوجة أسبابه، فإن هناك أسباباً مشتركة عند الطرفين مثل تعاطي الخمور أو انعدام الثقة أو قلة التفاهم[(1)].

ويعتقد كثير من الناس أن طلاق الأم يؤثر تأثيراً سالباً على نفسية أبنائها، ولذلك يتعين تحاشي الطلاق بقدر المستطاع حماية لصحة الأبناء.

والطلاق، من الناحية الشرعية، مباح لرفع الضرر عن أحد الزوجين، أو كلاهما لقوله تعالى: ﴿**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**﴾ البقرة، وقوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**﴾ الطلاق. ويجب الطلاق إذا كان ما لحق أحد الزوجين من الضرر لا يرفع إلا به، كما أنه قد يحرم إذا كان يلحق بأحد الزوجين ضرراً، ولم يحقق منفعة تفوق ذلك الضرر أو تساويه، وذلك لقول

---

(1) ثروت محمد محمد شلبي، الطلاق والتغير الاجتماعي في المجتمع السعودي، دار المجمع العلمي، جدة، ١٩٨٨ ص ٨٦.

النبي ﷺ «للذي شكا إليه بذاء امرأته طلقها» وقوله «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»[1].

ولا يقع الطلاق إلا من الزوج المكلف، فليس لغير الزوج أن يوقع طلاقاً، ويجب أن يكون الزوج عاقلاً بالغاً مختاراً غير مكره لقول النبي ﷺ «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه» ولا يقع الطلاق لامرأة ليست للمطلق، ولا على امرأة بانت منه بالطلاق الثلاث، أو بالفسخ أو بطلاق قبل الدخول بها. فالطلاق لا يقع إلا على الزوجة التي تربطها بالزوج المطلق رابطة زواج حقيقية، بأن تكون في عصمته، لم تخرج عنه بفسخ أو طلاق أو حكماً، كالمعتدة من طلاق رجعي أو بائن بينونة صغرى. ولا بد لحدوث الطلاق شرعاً أن يتوفر اللفظ الدال على الطلاق صريحاً كان أو كناية فالنية وحدها بدون تلفظ بالطلاق لا تكفي ولا تطلق بها الزوجة لقول النبي ﷺ «إن الله تجاوز لأمتي عما حدّثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به» متفق عليه[2].

وجوب محاولات الصلح وحل النزاع:

والحقيقة أنه على المسلم واجب الصلح بين الزوجين قبل أن يصل الأمر إلى حد الطلاق، فهناك دعوة عامة من إسلامنا الحنيف لإصلاح ذات البين، واعتبار الصلح خيراً، والنظر للمسلمين أو المؤمنين على أنهم أخوة جميعاً. فقد جاء الهدي الإسلامي فقال تعالى **﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾** النساء ١١٤ وقوله تعالى **﴿والصلح خير﴾** النساء ١٢٨ وقوله

---

(١) أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر، قطر، ١٩٦٤ م.

(٢) أبو بكر جاء الجزائري، منهاج المسلم، مكتبة الدعوة الإسلامية وشباب الأزهر، القاهرة، ١٩٦٤ م.

تعالى ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ الأنفال ١ وقوله عز وجل ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ الحجرات ١٠ ولقول الرسول ﷺ «كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[١] متفق عليه.

وعلى المجتمع الحديث أن يتصدى لظاهرة الطلاق لتقليل انتشارها بقدر المستطاع، ذلك لأن الدراسات الأوربية الحديثة تدل على أن الطلاق أحد عوامل الجريمة والجنوح Divorce is a factor in crime and delinquency. بل إنه يرتبط بالمرض، وبعض حالات القرح Cancer والانتحار Suicide.

فلقد وجد أن الطلاق يحتل المكانة الثانية مباشرة بعد موت شريك الحياة Death of Spouse في قائمة أحداث الحياة الضاغطة التي تتطلب إعادة التكيف Readjustment[٢]. فالطلاق وجد أنه منتشر أكثر بين المترددين على دخول المستشفيات، ولقد وجد أن المطلقين صحتهم أقل من صحة المتزوجين Poorer health.

فهناك علاقة بين الضغط والقرح Stress/and/Cancer وتظهر هذه العلاقة في الرجال أيضاً.

كذلك تؤكد الدراسات، وقوع تأثير سيء على الأطفال من جراء الطلاق أو مصاحبة للطلاق، فالأطفال الذين انحدروا من آباء وأمهات مطلقات، وكذلك الذين

---

(١) الإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، وكالة المطبوعات الكويت ودار القلم بيروت لبنان.

(٢) Gallatin.

كانوا يعانون من النبذ والطرد وعدم القبول والهجر والمعاملة الوحشية، كل هذه الخلفيات تظهر لدى الأطفال أصحاب السلوك السيء. يجب منع، بقدر المستطاع، الأسباب التي قد تقود إلى الطلاق، من ذلك صغر السن. وحتى بقاء الزواج قائماً لا يدل على السعادة الزوجية، فهناك زيجات منفصلة عاطفياً أو انفعالياً، وإن كانت تعيش تحت سقف واحد وكذلك من العوامل السببية الإسراع في الاختيار، والإحباط الذي لم ينتظره أحد أو الزواج الذي يتم بالقوة كالزواج بين أبناء المدارس.

وإذا كنا نسعى لمنع انتشار ظاهرة الطلاق، فعلينا أن نتعرف على الأسباب المؤدية إليها للوقاية منها، ومن ذلك سوء الاختيار لشريك الحياة أو التوقعات الخيالية أو غير الواقعية من وراء الزواج[١].

تتطلب الحياة الحديثة، وما تفرضه من ضغوط، تخصيص أخصائي نفسي لبحث مشاكل المقبلين على الزواج، ومساعدة الحالات التي تعاني من المنازعات والخصومات الزواجية ولتعمل على التخفيف من وطأتها قبل أن يصل الأمر إلى حد الطلاق.

---

(١) Sorenson, H. and others, psychology for living, 1971.

الفصل السابع

الوعي السيكولوجي في مجال التسويق والإدارة

- دراسة الدفعية في مجال التسويق
- البحوث الكمية
- مشكلة التدخين
- مستويات الدافعية
- سيكولوجية الإدارة

دراسة الدافعية في مجال التسويق

اهداف دراسة الدافعية:

تهتم دراسات الدافعية في مجال التسويق Motivation research in marketing باكتشاف العلاقة بين السلوك الظاهري العلني Overt للناس في الأسواق والعمليات العقلية الداخلية التي تكمن وراء هذا السلوك، كالدوافع والرغبات، والانفعالات، أو العواطف، والاتجاهات العقلية والرغبة في تحاشي شيء ما أو الابتعاد عنه، والتفضيلات والاندفاعات. مثل هذه البحوث تحفر، عميقاً، تحت سطح السلوك بوسائل غير مباشرة، لكي تكتشف الدوافع التي لا يدركها الفرد أو يدركها إدراكاً جزئياً. نحن لا نعرف كل الأسباب التي تحدو بنا لشراء سلعة معينة ذات مواصفات خاصة. هناك دوافع لا شعورية لا يعلمها الإنسان ولا يعيها ولا يدركها ولا يفطن إليها تحدد سلوكه. من الأساليب غير المباشرة التي يستخدمها علم النفس في كشف مكنونات اللاشعور الاختبارات الإسقاطية Projective Tests[1] ومنها اختبار تكملة الكلمات وختبار تكملة الجمل، واختبار بقع الحبر لرورشاخ، واختبا تكملة القصص، وتكملة الصور والأصوات الخافتة وما إلى ذلك، ومن الممكن استخدام اختبارات

(١) عبد الرحمن العيسوي، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ١٩٩٣.

تـداعـي الكلمـات أو تـداعـي المعـانـي أو تـداعـي الصـور ومقـابـلات العمـق Depth interview. مثل هذه الوسائل المقنعة تكشف عن محتويات اللاشعور دون أن يعرف الفرد أنه يعترف لنا بما يجري على مستوى لا شعوره أو لا وعيه.

ومؤدى ذلك أن الباحث، في مثل هذا المجال، يتعين عليه أن يتلقى تدريباً أو تعليماً في حقل علم النفس التحليلي، ومعرفة المبادىء الأساسية لعلم النفس التحليلي، والتي من أظهرها أن سلوك الإنسان لا تحدده فقط العوامل الشعورية التي يعيها ويفطن إليها ويدركها، وإنما هناك دوافع كامنة في أعماق اللاشعور أو اللاوعي لا يدركها ولا يعترف بها. ومن المبادىء التحليلية، كذلك، أن جذور شخصية الإنسان توضع في مرحلة الطفولة الباكرة، وأن هناك عمليات أو حيل دفاعية لا شعورية تحرك الإنسان، منها التعويض والإزاحة والإسقاط والتبرير والإنكار والعدوان والتحويل والعكسية والتقمص أو التوحد وما إلى ذلك. مهمة عالم النفس التعرف على أسباب سلوك الناس، أو الإجابة على السؤال: لماذا يتصرف الناس هكذا؟ والحقيقة أن دراسات الدافعية لا تقتصر على منهج التحليل النفسي، وإنما قد تتخذ مناهج علم الاجتماع أو الأنثروبولوجيا الثقافية أو علم النفس أو علم النفس الاجتماعي أو الطب العقلي. وتستخدم مثل هذه الدراسات في مساعدة عمليات الإعلان، وعمليات البيع، وخاصة ما يجذب الناس أو طريقة النداء.

ولذلك يمكن أن يطلق على هذه النوعية من الدراسات بحوث العلوم السلوكية أو دراسات تحليل الدافعية.

البحوث الكمية

تزود البحوث الكمية أخصائي التسويق بإحصاءات عن إعداد الناس الذين يشترون منتجاً معيناً، والنسب المئوية التي تشتري صنفاً معيناً، ومعلومات عن المستهلكين، من حيث السن ودخولهم، وتوزيعهم الجغرافي. ولكن أخصائي التسويق الحديث يريد أن يعرف أكثر من كل هذا. على سبيل المثال، يريد أن يعرف

لما يشتري بعض الناس بينما لا يشتري البعض الآخر. إذا عرف ذلك، فإنه يستطيع أن يحدد أسواقه، وأن يستخدم أسلوباً أكثر جذباً وتشويقاً وفاعلية في أساليب إعلانه وبيعه[١].

وهنا نتساءل هل هناك حاجة إلى تحليل الدافعية؟

في الحقيقة إن الإحصاءات التي نحصل عليها في مجال التسويق لا تتفق مع الحقائق المعروفة. المعطيات أو الاستجابات التي يدلي بها الناس لا تتسم بالدقة أو لا تتفق مع الحقائق الواقعة. ففي إحدى الدراسات عرض الباحث سؤالاً إلى عدد من المستهلكين عما إذا كانوا يفضلون شرب نوع خفيف من المشروب أم أنهم يشربون النوع المعتاد من الشراب ووجد أن نسبة شرب النوع الخفيف إلى النوع المعتاد كانت (٣ , ١) كما قررت العينة. وكانت الحقائق تؤكد أن نسبة الشراب المعتاد إلى الخفيف (٩ ـ ١). قد يرجع هذا الخطأ إلى خطأ في صياغة السؤال أو عدم تحديد المقصود منه أو غموضه واختلاف فهم الناس المختلفين له كلما قرأوه، وقد يرجع ذلك إلى عدم رغبة الناس في الإفصاح عما يدور بخاطرهم، وقد يرجع لعوامل لاشعورية تدفع إلى تحريف الاستجابة أو تحويرها، وقد يكون ذلك رغبة في الظهور بمظهر براق اجتماعياً، أو قد يكون ذلك من جراء ما يعرف بإسم نزعة رياء الذات، وتملقها والرغبة في مديح الذات. الأسئلة الصريحة المباشرة قد تؤدي إلى الحصول على استجابات غير دقيقة أو غير مطابقة لواقع الحال. ومن الأمثلة على ذلك الإجابة التي تلقاها أحد الباحثين من عينته على السؤال الآتي:

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، الإحصاء السيكولوجي التطبيقي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣.

هل تقترض نقودا من شركات الاقراض الشخصي؟

كل الذين شملتهم الدراسة أجابوا بالنفي على هذا السؤال. ولقد تبين أن كل الذين استجابوا بالنفي قد اقترضوا فعلاً من إحدى الشركات المحلية منذ وقت قريب، كما دل على ذلك سجلات الشركة. وبالمثل نحصل على استجابات غير صادقة حول المجلات التي يقرأها الناس. فإذا أخذنا باستجابات الناس لوجدنا أن مجلة الأتلانتيك Atlantic تباع ستة أضعاف ما تباع في الواقع أي ستة أضعاف توزيعها الفعلي. بينما كانت المجلات التي تطبع على ورق خشن وتعالج موضوعات مثيرة، والتي كانت توزع فعلاً بالملايين ليست لها جاذبية إلا قليلة. الرغبة في عدم الظهور بمظهر متدني هي التي تكمن وراء مثل هذه الاستجابات التي لا تتفق مع الواقع. فإذا سألنا عدداً من الأشخاص هل يميلون إلى شراء الملابس أو الأثاث القديم أو المستعمل؟ لكانت الإجابة أقل مما هو في الواقع. أو هل تشتري من الأسواق الشعبية أو هل تشتري السلع المرتجعة؟ الإنسان يتحيز لنفسه، بحيث يميل إلى وضعها في موضع براق، ومن هنا يقرر أنه لا يشتري إلا السلع غالية الثمن، والميل إلى إظهار تفضيلاته بمظهر أحسن مما هي عليه في الواقع. فإذا سألنا شخصاً هل تشتري ملابسك من «محطة الرمل» أم من «العطارين» لأجاب من «محطة الرمل» لأنه حي راقٍ. الإنسان يقرر أنه يشتري المنتجات ذات المكانة الاجتماعية العالية. ولذلك لا يميل الباحثون في هذا الحقل إلى استخدام السؤال عن شراء صنف معين، وإنما المشتري يقرر عاداته في الشراء كما يراها هو. وإذا كان الباحث يستهدف التعرف على الميل نحو شراء صنف معين، فإنه يوجه بعد ذلك أسئلة خاصة حول هذه السلعة في ضوء السلع الأخرى. على سبيل المثال لماذا يميل الناس إلى شراء السيارات المستعملة أو السيارات الجديدة أو السيارات الكبيرة؟ لقد عبر بعض الناس أن شراء سيارة كبيرة يساعدهم في السيطرة على البيئة.

ما هو موقف الناس من شراء الحلويات وإلى أي مدى يخاف الناس من الإكثار من تناولها على صحتهم، وعلى سلامة أسنانهم؟ هل الإكثار من الحلوى شيء طيب

أم شيء سيء. البعض يعتبر الحلوى نوعاً من الطعام المدلل أو الترف «أو الدلع». ويفكر الناس هل يتحكمون في شهوتهم، ويتوقفون عن تناول الحلوى. وتكمن مشكلة هؤلاء في ضرورة تعديل سلوكهم، وحالة القمع أو الكف النهائي غير المبرر. والبعض الآخر يرى فيها ضرورة لإمداد الجسم بالطاقة في عالم أصبح مملوءاً بالضغوط والصعاب.

مشكلة التدخين

ما هو موقف الناس، وخاصة السيدات من التدخين؟

هناك بعض النسوة اللائي يعتبرن التدخين عادة سيئة وقذرة، وأنه يجلب الرائحة الكريهة. لقد عرض إعلان ظهرت فيه سيدة تقدم السيجار إلى ضيوفها من الرجال. وأراد الباحث أن يتحقق عما إذا كان هذا الإعلان قد أدى إلى انخفاض شعور النسوة بالكراهية أو الرفض أو المقت لفكرة السيجار، وأنها عادة سيئة وقذرة وتسبب الروائح الكريهة. ولقد تبين أن هذا الإعلان لم يغير من هذا الاتجاه لدى هؤلاء النسوة. ومن زاوية التحليل النفسي، فسر الباحث هذا الثبات في الاتجاه بالقول بأنه يرجع إلى رفض أمهات هؤلاء النسوة السماح لآبائهن بالتدخين ومعارضة هذا التدخين، فانتقل اتجاه الرفض إلى البنت وظل معها هذا الاتجاه في حياة الرشد. ولكن ماذا كان موقف الرجال من هذه القضية؟ أي من موقف النصح أو الرفض أو التحذير من جانب النسوة؟ لقد أخذوا هذا الموقف مأخذاً مختلفاً وهو موقف التمرد والرفض لهذا التحكم النسائي. لقد اعتقد الرجال أنهم عن طريق تدخين السيجار، إنما يؤكد الواحد منهم رجولته وفرديته وذكروته. وعندما تقدم له امرأة هذا السيجار، فإنها تحرمه من أحد الأسباب القوية للتدخين، فإنها تزيل فرصته لإثبات استقلاله.

طعام الافطار:

لقد تمت دراسة مجموعة من كبار الموظفين الذين لا يتناولون طعام الإفطار،

وتبين أن عدم تناول الرجل طعاماً للإفطار يرتبط بعلاقته بمنزله، وذلك وفقاً لمنهج دراسات الدافعية، فالشخص الذي يغادر منزله دون تناول أي طعام لا يرتبط ارتباطاً وثيقاً ببيته. ويتوقف ذلك على الزوجة التي تعد الطعام وبصورة جيدة، وتشجع زوجها على عدم مغادرة المنزل قبل تناول الطعام، والتي يخلو منزلها من جو النكد والغم والهم في الصباح كذلك تبين أن الشخص الذي لا يشعر بالأمان حيال وظيفته، والذي يشعر بالتوتر والقلق، فإنه لا يتناول طعام الإفطار، أما إذا حقق نجاحاً في عمله، فقد تعود إليه عادة تناول الطعام. ولقد تبين أن هناك ٤٠٪ من مجموع أفراد العينة يتناولون طعام الإفطار، وهم أكثر سعادة، ولديهم شغف للقيام بأعمالهم، وبغيرها من الأنشطة اليومية وتقبل التحديات.

الذين لا يتناولون طعام الإفطار كانوا أكثر توتراً وقلقاً وأقل سعادة. ونستطيع أن نقول إن عملية تناول الطعام عامة وطعام الإفطار على نحو خاص تتأثر بالحالة النفسية للفرد، وجميع الأمراض النفسية قد تؤثر تأثيراً سلبياً على هذه العادة الجيدة.

دراسة تناول القهوة سريعة الذوبان:

لقد تمت دراسة عادة تناول هذه القهوة باتباع منهج إسقاطي، وكانت المشكلة عدم تناول السيدات هذا النوع من القهوة رغم أنه كان معروفاً قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م) فأراد الباحث أن يتعرف على سبب عدم تناول النسوة القهوة بنسبة كافية، وعلى المؤثرات الدافعية وراء هذا العزوف. أجريت هذه الدراسة في جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية. فسأل مجموعة من النسوة لماذا لا يشربن القهوة البدرة، فقررن أنهن جميعاً يحببن طعمها. ولكن هذه الإجابة كما لو كانت استجابة نمطية لأن الطعم كان يراه هو غير محبب بالنسبة للجميع، فأراد أن يبحث عن سبب آخر أو استجابة أخرى ذات دلالة. ولذلك أجرى تجربة بموجبها عرض قائمتين من الأطعمة لا يختلفان إلا في المفردة رقم (٥) الخاصة بنوع القهوة، وكانت كل قائمة مكونة من (٧) مفردات من الأطعمة كالبطاطس، وعلب الخوخ،

والجزر، والخبز، وكان الاختلاف فقط في نوع القهوة ففي أحد القوائم كانت القهوة البدرة سريعة الذوبان في القائمة (أ) وفي القائمة الأخرى (ب) قهوة عادية، وأعطى القائمة (أ) إلى ٥٠ إمرأة، وأعطى القائمة (ب) إلى ٥٠ إمرأة أخرى، وطلب من المجموعتين أن توضح كل واحدة منهن نوع المرأة التي سوف تستعمل القائمة (أ) والقائمة (ب). ولكن الواقع أن تفضيل قائمة على أخرى لا يكشف عن شخصية المرأة. ولذلك طلب من النسوة أن يعبرن عن مشاعرهن على صورة معينة. بالنسبة للقائمة (أ) كان هناك (٤٨٪) صورن المرأة الكسولة التي لا تخطط لمشترواتها تخطيطاً جيداً، (١٢٪) وصفناها بالإسراف أو التبذير، (١٦٪) وصفاها بأنها ليست زوجة جيدة.

وبالنسبة للقائمة (ب) التي تتضمن البن العادي الذي يصنع في المنزل كانت النتيجة (٤٪) فقط وصفاها بالكسل (١٢٪) سوء التخطيط. ولم يكن هناك من وصف صاحبة القائمة بالتبذير أو الإسراف أو الزوجة غير الجيدة.

ولقد دلت هذه النتيجة على أن هناك بعض النساء اللائي لم يستعملن هذه القهوة، لأن استعمالها يعطيهن صورة عن أنفسهم لا يرضين عنها. على كل حال، يلجأ أخصائي التسويق إلى علماء النفس للتعرف على أساليب البحث السيكولوجي، وتطبيق المفاهيم السيكولوجية في مجال التسويق. وهناك كثير من علماء النفس الذين يرغبون في التعرف على الجوانب اللاشعورية من السلوك ودوافعه.

مستويات الدافعية

القوى الدافعة في الإنسان لا توجد عند مستوى واحد، ولكن يمكن تمييز ثلاثة أنواع من مستويات الدافعية.

١ ـ المستوى العقلي أو العقلاني، ويمثل منطقة فيها معرفة ذاتية، وفيها يكون الفرد مدركاً لما يدفعه أو يحركه أو يحرك سلوكه وتصرفه، ويكون الفرد قادراً ومستعداً

وراغباً أن يذكر لنا لماذا يسلك هذا السلوك. من ذلك بحث الرجل عن قميص يستطيع أن يغسله بسهولة عندما يكون في رحلات بعيداً عن منزله. يجب أن يكون القميص سريع الجفاف، ولا يحتاج إلى الكوى. وإذا تصادف وشاهد إعلاناً يصف قميصاً بهذه الأوصاف، فإنه يكون مدفوعاً أو مثاراً لشرائه. الإعلان يجب أن يتوفر فيه المعلومات التي يرغب فيها المشتري. يثير رغبة الشراء أو فعل الشراء.

٢ ـ المستوى الثاني من الدافعية عبارة عن منطقة عقلانية فيها يدرك الإنسان ما الذي يثيره نحو السلوك، ويكون قادراً على ذكر السبب، ولكنه غير مستعد لكي يقص علينا السبب، أي يعترف به. مثال ذلك الرجل الذي يشتري منزلاً غالياً في حي غال الثمن، لأنه يعتبر، كما يقول هو، لأنه استثمار أفضل، ولكن الحقيقة أنه يرغب، في داخله، أن يكون عضواً في حي من الأحياء الراقية أي ذات المستوى الاقتصادي الأفضل. ـإنه يسعى وراء الطبقة، ولكنه لا يعترف بذلك، من ذلك دراسة أجريت في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية على النساء، وتبين من خلالها أنهن لا يشعرن بالإثارة الظاهرية من جراء رؤية إعلانات عن الجوارب أو الملابس المحبوكة تلك التي تكشف عن الساقين أو القدمين فقط أو الجوارب فقط. والأفضل الإعلان الذي يعرض لسيدة أنيقة ترتدي الملابس الأنيقة ويعجب بها الآخرون. يجب أن يخلق أخصائي الإعلان صورة لجمـال للمرأة كشخص.

٣ ـ المستوى الثالث من مستويات الدافعية هو منطقة معقدة ومختفية، وفيها لا يدرك ولا يعلم ولا يلم الإنسان بما يدفعه أو يحركه نحو السلوك ولا يستطيع في الواقع أن يخبرنا لماذا يسلك هذا السلوك. من ذلك رغبة المقامر اللاشعورية في أن يخسر كنوع من عقاب الذات لوجود نوع من العدوان اللاشعوري، ومن ذلك أيضاً قيام ربة المنزل بالمساومة لإشباع حاجة لديها أن تتفوق في الجمال على غيرها، وللتعبير عن عدوانها تجاه الأم البديلة[1].

---

(١) Hepner, H.W, psychology applied to life and work, prentice-Hall, N. Jersy. 1966 P. 547.

معظم سلوكياتنا اليومية تتضمن أكثر من نمط من أنماط الدافعية، ولذلك هناك حاجة لاستكشاف الدافعية بكل أنواعها. من بين هذه المناهج المستخدمة في هذا الاستكشاف تطبيق أحد الاختبارات الإسقاطية وهو اختبار تفهم الموضوع The Thematic Apperception test. ويتكون هذا الاختبار من مجموعة من الصور المقننة لأشخاص وهم يؤدون سلوكاً غامضاً أو غير واضح أو غير مكتمل البناء أو التركيب، ويعطي هذا الغموض وعدم اكتمال البناء الفرصة لكي يسقط المفحوص على هذه الصور معبراً عن ذاته هو مشاعره وانفعالاته وإحساساته وعواطفه وصراعاته وتوتراته وآماله وآلامه، فمعنى كل صورة غامض، ويطلب من المفحوص أن ينظر في هذه الصور كل واحدة على حدة وأن يفسر ما يراه فيها من أشخاص وأحداث، وأن يروي قصة تدور حول هذه الصورة يختار أبطالها. ويقوم بتفسير استجابات المفحوص أخصائي نفسي في التحليل النفسي مدرب تدريباً[1] جيداً. كذلك يمكن استعارة منهج مقابلة العمق من مجال علم النفس الاكلينيكي إلى مجال دراسة التسويق.

---

(١) عبد الرحمن العيسوي، العلاج النفسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣.

سيكولوجية الادارة

هناك كثير من السمات والقدرات والمهارات والعوامل والمؤثرات النفسية التي تلعب دوراً كبيراً في العملية الإدارية أو في وظائف الإدارة وتحددها، وفي كيفية إصدار القرارات والأحكام الإدارية ونتائجها وأسبابها. وفي هذا المقال ـ المتواضع ـ يتناول الكاتب هذه السمات بالشرح والتوضيح. ذلك لأنه على أساس من هذه السمات وتلك العوامل السيكولوجية يتحدد نجاح المدير أو فشله، حب التابعين له أو نفورهم منه، اقترابهم منه أو بعدهم عنه وهكذا. بل إن سمات القائد تحدد نوع العلاقة التي تقوم بين أتباعه فيما بينهم، وأول ما نتناوله بالعرض تعريف مصطلح الإدارة management. فهو كما يورده أ. د كمال الدسوقي، توجيه التيسيرات أو الإمكانات أياً كان نوعها وتحريكها ودفعها وإثارتها والاستفادة منها وتوظيفها وضبطها، وقد تكون هذه الإمكانات أشخاصاً وذلك لتحقيق نتيجة أو أهداف مرسومه أو موضوعة أو مقدرة سلفاً، أي أن إدارة الأشخاص المنوط بهم القيام بعمل معين وتشمل الإدارة الوظائف الإدارية adminstrative functions والوظائف التنفيذية executive functions، وهناك الإدارة العامة والخاصة وتنصب على العلاقات وليس على التنظيمات والقيام بالاتصال فيما بين تسلسلها الهرمي كدينامية جماعات ودوافع العمل كالروح المعنوية للأفراد والتعريف بألقاب المديرين والرؤساء ووظائفهم الرسمية والقيادية وتدريبهم على أداء الوظائف الإدارية بنجاح.

أما المعنى القاموسي اللغوي فيشير إلى لفظ يدير mange بأنه يعني: يدير أو

يدبر أو يروض، أو يسوس أو يخضع أو يقتصد في الإنفاق أو يستعمل أو يستخدم أو يتدبر في الأمر أو يحتال للأمر أو يتأمل أو ينجح في تحقيق غرضه أو هدفه أو غايته أو حتى ترويض الخيل. والصفة من هذه اللفظة معناها: طيّع أو سهل القياد manageable أما لفظ الإدارة managment فيشير في معناه القاموسي إلى الإدارة أو التدبير أو اللباقة أو البراعة في الإدارة أو يشير إلى أهمية الإدارة في المؤسسة كمدير الشركة manger أو المؤسسة أو البنك أو القيم على النفقة في المنزل وتولى ذلك بحسن تدبير واقتصاد أو مدير الفريق الرياضي ونحوه، أما الصفة من وظيفة المدير فهي إداري أو مديري أي متعلق بالإدارة أو بالمدير managerial. أما لفظة managing فتشير إلى نوع من النزوع نحو التسلط وإصدار الأوامر والنواهي (المورد ص ٥٥٥).

تتضمن دراسات علم النفس الصناعي دراسة البيئة المحيطة بالعمل والحقيقة أن البيئة لا تقتصر على البيئة المادية أو الفيزيقية Physical environment مثل الإضاءة والحرارة والتهوية والرطوبة والضوضاء والألوان وشكل الأرضية وتجديد الهواء ventilation أما الأهم من البيئة المادية هذه البيئة السيكولوجية أو النفسية، لأنها أكثر تأثيراً في نفسية العاملين وفي أدائهم، وتتضمن هذه البيئة السيكولوجية عوامل كثيرة مثل الدافعية والتأثيرات المختلفة على العاملين والمكانة الاجتماعية والبناء التنظيمي داخل المصنع.

ويستهدف علم النفس الصناعي جعل المنظمة الصناعية أكثر فاعلية، وذلك عن طريق العديد من الوسائل والإجراءات من بينها جعل المدير يفهم ويتنبأ ويتحكم في العوامل الإنسانية أو المتغيرات الإنسانية. بمعنى أن هناك هدفين الأول زيادة فاعلية المؤسسة والثاني تحقيق رفاهة العمال ورفع الروح المعنوية وزيادة الإنتاج، وتحقيق التكيف والملاءمة مع العمل.

وهنا نتساءل عن مدى العلاقة بين ما يعرف بحركة الإدارة العلمية scientific management movement وعلم النفس الحديث أو بالأحرى علم النفس الصناعي.

الإدارة العلمية يقال أنها كانت السبب في تقدم الصناعة في الولايات المتحدة الأمريكية. الإدارة العلمية اتجاه هندسي وتتضمن عدداً من النقاط من بينها تحسين مناهج العمل، وذلك عن طريق تحديد الطريقة المثلى لأداء كل جزء من العمل. وفي ذلك يستخدم علم النفس دراسات الحركة motion للتحقيق من أن كل عامل قد استعمل الطريقة الأفضل أو الطريقة المثالية في الأداء. كذلك تستعمل دراسات الزمن time study لتحديد متوسط الزمن اللازم لأداء جزء معين من العمل بواسطة إكفاء العمال حتى يمكن استخدام هذا المعيار في تحديد ما يحصل عليه العامل من الحوافز (incentive) Competent worker على افتراض أن العمال سوف يعملون بأقصى طاقاتهم لمضاعفة دخولهم أو الوصول بها إلى الحد الأقصى الممكن. كذلك فإن الإدارة العلمية تتضمن تقسيم العمل أو تجزئته إلى أجزائه البسيطة simplest components أي تبسيط الأعمال وذلك بهدف أن يصبح العامل خبيراً في الجزء البسيط من العمل الذي يتخصص فيه.

في ضوء هذا النمط الإداري العلمي، يتم بناء المنظمة بحيث تخضع للإشراف الدقيق من أعلى وللتحكم فيها تخضع الإدارة لسلطة عليا مركزية، ويكتب كل ملاحظ تقريراً ويرفعه لمن هو أعلى منه، وبتكرار هذه المستويات قد لا يصل إلى المدير العام إلا صورة مشوهة عن العامل الفعلي.

تفترض الإدارة العلمية أن المدير سوف يتعامل مع مرءوسيه على أنهم أفراداً وليسوا أعضاء في جماعة اجتماعية. وهذا هو الأساس الذي يقام عليه نظام دفع الأجور بالإنتاج أو بالقطعة وتقدير العمل الفردي وتتجاهل الإدارة العلمية التعاون وفكرة دوران العمل. ويتعارض هذا مع اتجاه حل المشاكل جماعياً. وتسيطر الإدارة العلمية على المؤسسات الصناعية في أمريكا وتتفق مع الفلسفة الأمريكية المعروفة بإسم البراجماتية. ولقد تبين أن مناهج الإدارة العلمية تنجح إذا استعانت بعلم النفس ولقد نجحت فعلاً في زيادة الكفاءة efficiency عن طريق دراسة الحركة ودراسة الزمن وتحسين طرق العمل وتقليل الشعور بالتعب والتورط في الحوادث وتحسين الظروف

الفيزيقية بتوفير الإضاءة الجيدة والتهوية الجيدة وتوفير الأنغام الموسيقية المشجعة والتحرر من الضوضاء المكثفة والحرارة الزائدة.

فيما يتعلق بدراسات الحركة تستهدف هذه الدراسات تحليل عناصر الحركة الضرورية للقيام بالعمل وذلك بهدف تحديد الحركات التي تؤدي إلى أداء العمل في أقصر وقت ممكن. المهندسون يفترضون أن هناك طريقة مثالية واحدة فقط لأداء العمل، وعلى كل عامل أداء العمل وفقاً لهذه الطريقة المحددة. وبذلك أمكن تحسين سرعة العمل عن طريق إيجاد وطرق سهلة للأداء بقليل من الحركات. ولقد حاول علماء النفس إجراء العديد من دراسات الحركة بقصد تحسين مستوى الكفاءة.

ولكن علماء النفس لا يوافقون على إرغام جميع العمال على القيام بحركات واحدة ومحددة، تلك التي يستخدمها أسرع عامل في الشركة. العامل يتعلم الحركات الأسرع والحركات الأبطأ ويترك لكي يختار بحرية لكي يختار الطريقة المريحة بالنسبة له، قد يكون هي الطريقة الأسرع وقد تكون غيرها.

بعد إجراء دراسات الحركة، يقوم المهندسون بدراسة الزمن لوضع معايير أو مقاييس الوقت أو الزمن اللازم وكذلك لتحديد مستويات الأجور. تقوم دراسة الزمن على تحديد الزمن الذي يستغرقه العامل المتوسط والعامل السريع.

إنما قد ينطوي ذلك على إرغام العامل على العمل بصورة شاقة جداً.

وعلى كل حال، دلت الأبحاث على أن نظام العمل بالقطعة أو الأجر على حسب الإنتاج قد أدى إلى زيادة الإنتاج وزيادة الكفاءة الإنتاجية.

التعب fatigue قد يعني انخفاض قدرة العامل لأداء العمل أو قد يدل على حالة فسيولوجية في الجسم، وقد يدل على حالة نفسية هي الشعور النفسي بالتعب والإرهاق. في الصناعة يستخدم المصطلح ليشير إلى انخفاض قدرة العامل على أداء العمل. ذلك الشعور الذي يرجع إلى ممارسة الأعمال السابقة، والذي يرجع أيضاً إلى

الحالة الفسيولوجية، لا يتضمن مفهوم التعب الشعور بالملل boredom الناتج عن الرتابة في أداء العمل monotony ولقد أمكن حل هذه المشكلة في الصناعات الأمريكية عن طريق مكينة الأعمال الثقيلة أو العتيقة أو عن طريق تقليل ساعات العمل أو عن طريق توفير فترات من الراحة تتخلل ساعات العمل.

في الأسبوع يعمل العامل نحو ٤٠ ساعة، ويمكن إنجاز أعمال أكثر إذا زيدت الساعات إلى ٥٠ ساعة في الأسبوع، ولكن يقل معدل العمل في الساعة. فالإنتاج في نظام الأربعين ساعة أزيد في الساعة الواحدة عنه في نظام الساعات الخمسين أسبوعياً. ولقد أسفرت التجارب التي أجريت خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية أن هناك انخفاضاً في إنتاج الأسبوع كله عندما يطبق نظام السبعة أيام عمل في الأسبوع بدلاً من ستة فقط.

هناك فروق في الإنتاج في الساعة ترجع لاختلاف طبيعة العمل، وباختلاف نظام دفع الأجور عما إذا كان بالإنتاج أو باليومية.

ولقد دل التجريب على أن فترات الراحة أدت إلى زيادة كمية العمل في الساعة، بل كمية العمل في اليوم كله. ويفضل منح هذه الفترات قبل أن يصل الإنتاج إلى أعلى معدلاته. أما في نظام الماهيات الشهرية، فإن الشعور بالتعب يتخذ شكلاً نفسياً، إذ يدل التجريب على عدد من الموظفين أنهم لم يشعروا بالتعب عندما كلفوا بأعمال لمدة ٦٥ ساعة أسبوعياً، وإنما قرروا أن زوجاتهم يشكون من الحرمان من وجود الزوج في المنزل في صحبتهن.

ما هو تأثير الظروف الفيزيقية كالضوضاء على الانتاج:

لقد تبين أن الضوضاء المتصلة المستمرة العالية تسبب بذل مزيد من الجهد، ولكنها لا تقلل القدرة على العمل. الإنتاج لا يتأثر بالضوضاء العالية، ولكن جهود العمال تزداد، ولكن الإنتاج يعاني عندما ترتفع درجة الحرارة ارتفاعاً كبيراً، أو عندما

تنخفض انخفاضاً كبيراً، وعندما تزداد درجة الرطوبة Humidity وعندما تكون الإضاءة غير ملائمة لطبيعة العمل. لقد انتبه رجال الصناعة إلى هذه الظروف الفيزيقية وتلك البيئة الفيزيقية وحاولوا تعديلها وتحسينها وجعلها صحية.

من الأمور الهامة جداً في مجال علم النفس المهني وليس فقط في مجال علم النفس الصناعي، الوقاية من حوادث العمل وإصابات العمال، وذلك نظراً لفداحة الخسائر في الأرواح والمعدات والخامات وكثرة الإصابات والجروح مما يضطر الشركة لدفع مبالغ هائلة تعويضات للمصابين، فضلاً عن تعطيل العمل والإنتاج بسبب الحوادث. كيف يمكن الوقاية من وقوع الحوادث accident prevention ما زالت الحوادث تمثل مشكلة كبيرة في الصناعات الحديثة على الرغم مما يبذل من جهود للوقاية منها. ما هي أهداف تحقيق أعلى قدر من الأمان maximum safety بصرف النظر عن التكاليف المادية؟ وإن كان الاهتمام بالوقاية من حوادث العمل وإصاباته ليس واحداً في كل الشركات، ولكنه بصورة عامة محل اهتمام معظم الشركات، وله أولوية كبيرة في جهود الشركات.

ولعل أفضل تقدم تم الوصول إليه هو تدريب العامل تدريباً جيداً على أداء العمل بدقة وبصورة آمنة، وذلك بعد دراسة العمل وتحليله. ومن ذلك الحصول على آراء العمال ومرئياتهم ومقترحاتهم ووضعها أمام لجنة الأمن الصناعي في المصنع.

لقد تغيرت نظرة الناس إلى الحوادث وأسبابها وضعف الاعتقاد فيما كان يعرف بنزعة استهداف الحوادث في العامل أو الميل الفردي الاستحوازي للتورط في الحوادث ولم تعد هذه النزعة اللاشعورية مسئولة عن وقوع الحوادث إلا لدى عدد صغير جداً من العمال accident proneness.

التدريب الجيد أكثر أهمية من الاختيار الجيد للعمال. وإن كان ذلك لا يلغي أهمية الاختيار الجيد للعناصر الصالحة من العمال. فلقد كشفت دراسة أجريت على عمال النقل والمواصلات في الولايات المتحدة الأمريكية على أن الاختيار له قيمة جيدة

الاختيار القائم على وجود اتجاهات إيجابية والتكيف النفسي أو الانفعالي، أو على أساس توفر المهارات السيكولوجية يتبين أن هذه السمات هامة النسبة لقائد سيارة التاكسي والأتوبيس أو قائد الطائرة. ولذلك لقد اقترح الكاتب إنشاء مركز سيكولوجي للاختيار والتوجيه النفسي لاختيار أرباب المهن المختلفة وتدريبهم وخاصة قائدي سيارات النقل العام.

أما فيما يتعلق بالبيئة السيكولوجية أو المحيط النفسي المحيط بالعمل فله أهمية كبيرة في مسار العملية الإنتاجية والإدارية. لقد تحول الاهتمام إلى البيئة السيكولوجية على أثر الدراسة التي أجريت في شركة هاورثون Hawthorne plant لأعمال الكهرباء في أمريكا، وكان ذلك منذ زمن مبكر يرجع إلى عام (١٩٣٣) أي منذ نحو (٦٣) عاماً. مما يكشف عن تأخر الدراسات النفسية الميدانية عندنا في عالمنا العربي. ولقد كانت هذه الدراسات في بدايتها تستهدف دراسة البيئة الفيزيقية، مثال ذلك زيادة الإضاءة illumination على معدلات الإنتاج، وبعد ذلك أجرى ذلك للتعرف على تأثير فترات الراحة على الإنتاج، وبعد ذلك تمت دراسة تقديم وجبة إضافية للعمال. من ذلك وضع عمال التجميع في صناعة الغزل والنسيج في غرفة صغيرة، حيث استطاع المشرفون أن يمارسوا إشرافاً دقيقاً وملاصقاً عليهم لقد أدى هذا إلى زيادة الإنتاج greater attention by management. في هذه الدراسات، كان الباحث يستخدم «مجموعة تجريبية» هي التي تخضع للإشراف الإداري أو الانتباه الزائد بينما يوجد هناك مجموعة ضابطة من العمال لا تقع تحت هذا المؤثر وتؤدي عملها أيضاً، وذلك بقصد عقد المقارنات بين إنتاج «المجموعة الضابطة» والمجموعة التجريبية على شرط تساوي المجموعتين في كل الظروف والسمات والقدرات والإمكانات فيما عدا المتغير التجريبي الذي يسقط على الجماعة التجريبية وحدها دون الجماعة الضابطة.

ومن الأساليب المفضلة أن جماعة العمال هي التي تضع لنفسها المعيار الذي تسعى للوصول إليه في معدلات الإنتاج بدلاً من إرغامها على الوصول إلى معيار مفروض عليها من خارجها.

ما هو تاثير تطبيق منهج المقابلة الشخصية على حالة العمال؟

في هذه السلسلة من الدراسات التي أجرتها شركة هاوثورن تمت مقابلة أكثر من (٣٠) ألف عامل بطريقة غير موجهة أي مقابلة حرة وطليقة تدور حول أعمالهم وظروفها في هذه الشركة، ولم تكن الشكاوي دقيقة؛ ولكن العمال قرروا أنهم يشعرون أفضل عما قبل بسبب حديثهم لشخص يحسن الاستماع ويتفهم أمورهم. ولقد قادت هذه الدراسة إلى تطبيق برنامج للإرشاد غير التوجيهي أي الحر الطليق. وقام المرشدون المدربون بالاستماع إلى مشاكل العمال. واستمر هذا البرنامج الإرشادي لعدة سنوات. وبعد ذلك تم تدريب ملاحظي خطوط الإشراف الأولية الاستماع إلى شكاوى العمال بدلاً من المرشدين.

وهكذا نستطيع أن نلمس أن الإدارة الواعية تستطيع أن تستخدم كثيراً من أساليب العلم ومناهجه وتقنياته في سبيل رفع معدلات الكفاءة الإنتاجية وتحقيق تكيف العمال ورضاهم عن أعمالهم(١).

---

(١) Guilford. J.P., Fields of psychology, 1966; P. 314.

الفصل الثامن

معجم المصطلحات

Abnormal psychology	علم نفس الشواذ
Acquired amentia	التخلف المتكسب
Active therapy	العلاج النشط أو الفعال.
Adaptive behaviour	السلوك التكيفي أو التوافقي
Adjustment	التكيف ـ التوافق
Adolescence stage	مرحلة المراهقة
Adventitiously deaf	الصمم العارض
Aggression	العدوان ـ الاعتداء
Aging	التقدم في السن
Aiming	التصويب ـ التهديف
Aiming test	اختبار التصويب
Amentia eclampic	الضعف العقلي التشنجي
Amentia deprivative	الضعف العقلي الناتج من الحرمان
Amentia sub culture	الضعف العقلي الحضاري الثقافي
Antibiotics	المضادات الحيوية
Antisocial behaviour	السلوك المعادي للمجتمع ـ الإجرام
Anxiety	الحصر أو القلق (عصاب) مرض نفسي
Aphasia	الأفزيا ـ حُبسة كلامية ـ فقدان القدرة على النطق
Approval	القبول أو الموافقة
Arsenic	الزرنيخ
Atomistic	تقسيم المهنة تقسيماً فورياً
Asphexia	الولادة الجافة أو الاختناق

Autonomic	الأتونومية ـ الاستقلالية الذاتية
Baby talke	الكلام الطفلي
Behaviour therapy	العلاج السلوكي
Blood-gas balance	توازن الغازات في الدم
Blood group incomptibility	تركيب فصائل الدم للأم والأب والطفل
Biological	بيولوجية ـ حيوي
Brain surgery	جراحة دماغية
Brith-Register method	طريقة تسجيل المواليد
Bruch Field disease	مرض برش فيلد
Carbon monoxide	أكسيد الكربون
Cardiac diseases	أمراض القلب
Cansus-method	طريقة تعداد السكان
Cells of cord anterior horn	القرن الأمامي للنخاع الشوكي
Central visual acuity	حدة البعد المركزية
Cerebral palsy	الشلل الدماغي
Chicken pox	الجديري أو الحماق
Chore job	وظيفة روتينية
Choreatic	اهتزاز الصوت
Clearing table skills	مهارات ترويق المائدة بعد تناول الطعام
Cleaning table skills	مهارات تنظيف مائدة الطعام
Client-centered therapy	العلاج المتمركز حول العميل أو المريض
Cognitive knowledge	المعرفية العقلية
Compensation	التعويض حيلة دفاعية لاشعورية
Compensatory education	التعليم التعويضي
Comprehensive test	اختبار شامل
Conduct disorders	اضطرابات السلوك سوء الخلق
Congeniality	التلازم التجانسي
Congenital	ميلادي ـ موجود عند ميلاد الطفل
Congenital amentia	التخلف العقلي الولادي (عند الميلاد)
Congenitally deaf	الصمم الخلقي ـ الميلادي
Control group	مجموعة ضابطة
Convulsions	لتقلصات أو التشنجات
Cord	حبل

Corpus striatum	المراكز العصبية في المخ أو الجسم المخطط
Corrictive therapy	الصحيح أو التصويت
Cranial nerves	الأعصاب الرأسية والأعصاب الموجودة في الجمجمة
Cretenism	القصوع
Cretinism	القذامة ـ قصر القامة
Criticism	النقد
Cultural factors	العوامل الثقافية
Cylcloid and schizoid types	نمط المتآلف والمنفصم
Day-cate centers	مراكز الرعاية اليومية
Deafness	الصمم
Deficients	المصابون بالعجز أو بالنقص
Deficit	ضعف أو نقص
Delivery	الولادة
Dementia	الجنون
Denial	الإنكار ـ حلية دفاعية لاشعورية للإنكار
Diabetes	مرض البول السكري
Diabetes mellitus	داء البول المعسول مرض البول السكر
Diagnostic methods	الطرق التشجيعية
Diseases	الأمراض الجسمية
Distortion	تشوه ـ تشوه ـ تحريف إفساد
Domestic skills	أعمال المنزل أو مهارات المنزل
Dominant defciency	التخلف العقلي السائد
Dominant or recessive Genes	صبغية متسيطرة أو متنحية (جينات)
Dusting	الأتربة
Dysarthrias	عسر الكلام
Dysarthrias and dysalias	عيوب النطق
Dysphasia	احتباس الكلام
Dysphonias	اضطرابات الصوت
Eating Area	مجال تناول الطعام
Educable	قابل للتعليم
Educatable	قابل للتعلم
Educational Achievement tests	اختبارات تحصيلية أو تعليمية
Electroshocks	الصدمات الكهربائية (في العلاج)

Electroconvulsive therapy	العلاج الكهربائي الاهتزازي التشنجي
Emotions	انفعالات
Encephalities	التهاب المخيخ
Endocrine Disorder	اضطراب الغدد الصماء
Escape Reactions	ردود الفعل الهروبية
Experimental	التجريبي
Explosive Speech	يندفع مع الكلام كالقنبلة (اضطرابات الكلام)
Families	أسر
Familial retardation	التخلف العقلي الأسري
Family Counseling	الإرشاد الأسري
Family Therapy	العلاج الأسري
Feebleminded	شخص واهن العقل
Feelblemindedness	التخلف العقلي أو الضعف العقلي أو التأخر العقلي
Feed Back	التغذية المرتدة
To feel angry and rebellious	الشعور بالغضب والتمرد والعصيان
Fluid Transfusions	انتقال سائل ـ تخلل سائل
Finger dixterity	مهارة الأصابع
Foetus	الجنين
Forceps	أحد الآليات الجراحية ـ كلاب الجراح
Forward chaining method	طريقة السلسلة الأمامية
Frustration	الإحباط أو الفشل
Genelogical random test method	الطريقة العشوائية في دراسة الأنساب
General Intelligence	الذكاء العام
Genetic microcephaly	ضمور المخ
Graphological system	نظام الكتابة
Group therapy	العلاج الجماعي
Haemorrhage	النزف الدموي
Hand dixterity	المهارة اليدوية
Handicapped child	الطفل المعاق أو المعوق
Hereditary	وراثي ـ فطري ـ منقول بالعوامل الوراثية
Herpes	القوباء الجلدي
Hydrocephalus	التخلف العقلي الناتج عن استسقاء الدماغ
Hydro Cephaly	استسقاء الدماغ

Hyperactivity	النشاط الزائد (مرض)
Hypothalamic neclei	نواة الهيبوثلموث
Identification	التقمص ـ التوحيد
Immature	غير ناضج
Incomplete development	عدم اكتمال الارتقاء أو النمو
Independance	الاستقلالية ـ الاستقلال
Individual-centered programme	البرنامج المتمركز حول الفرد
Individual performance tests	الاختبارات العملية الفردية
Infant	مرحلة الرضاعة
Infections	العدوى
Injuries	الخروج
Inoculation	التلقيح ـ التطعيم
Irradiation	الإشعاع
Institutionlization	الإيداع في المؤسسات
Intellectual capacity	الوسع الذهني
Intellectual containing	المحتوى الذهني
Intellectual functioning	الوظائف العقلية
Intelligence	الذكاء
Intelligence Quctient (I.Q)	نسبة الذكاء
Interest	الميل
Interpersonal relationships	العلاقات بين الأشخاص (المتبادلة)
Intoxication	التسمم
Job	وظيفة أو مهنة أو حرفة
Job-analysis	تحليل العمل
Lead	الرصاص (معدن)
Learning through experience	التعليم من خلال الخبرة
Longitudinal studies	البحوث التتبعية أو الطولية
Low social/economic families	الأسر متدنية المستوى الاجتماعي والاقتصادي
Mixed	المختلط
Modeling	طريقة النمذجة أو التعلم بالنموذج
Moderate	متوسط ـ متوسط الشدة
Moderate mental retardation	التخلف العقلي المتوسط

Mongol	الشخص المتخلف عقلياً
Mongolism	المنغولية: ضرب من ضروب التخلف العقلي
Moping	مسح
Moral deficiency	النقص الإخلاقي
Moral Imbecility	البلاهة الأخلاقية
Motor	حركي/ حركية
Mumps	الغدة النكفية
Mental subnormality	التأخر العقلي
Mental retaradation	التخلف العقلي
Mentally Back Ward	الشخص المتأخر عقلياً
Mentally Dull	الشخص البليد العقل أو المتبلد عقلياً
Mentally Handicapped	الشخص المعوق عقلياً
Mentally Retarded	الشخص المتخلف عقلياً
Menincoccal meningitis	الالتهاب السحائي
Meningities	الالتهاب السحائي
Metabolsm disorders	اضطرابات التمثيل الغذائي
Microcephalus	التخلف العقلي الناتج عن ضمور اللحاء
Microcephaly (small headedness)	صغر حجم الرأس
Mild	البسيط ـ الخفيف
Mild mental retardation	التخلف العقلي البسيط أو الخفيف
Mind-body relationship	علاقة العقل والجسم
Macrocephaly (Large headedness)	تضخم الرأس
Making Beds Skill	مهارة توضيب الأسرة
Malnutrition	سوء تغذية
Manual attention test	اختبار الانتباه اليدوي
Maternal virus	الفيروس الدموي
Maturity scale	مقياس للنضج
Measles	الحصبة الألمانية
Medical Therapy	العلاج الطبي
Memory Span For Digitest	اختبار الذاكرة
Mental Ability	القدرة الذهنية
Mental Age (M.A.)	العمر العقلي
Mental Decay	الانحطاط العقلي

Mental Defective	شخص ناقص العقل
Mental deficiency	الضعف العقلي
Mental Deficient	الشخص ضعيف العقل
Natal Factors	عوامل أثناء الولادة
Nerve deafness	الصمم العصبي
Neuro Fibromatosis	تورم الشعيرات العصبية
Non-educable	غير قابل للتعليم
Non-Verbal	غير لفظية
Norms	معايير
Objective test	اختبار موضوعي
Omission	الحذف
Operate in utero	إجراء عمليات تحدث (قبل الولادة) في الرحم
Optimal learning	التعلم الأكاديمي الأفضل
Overprotection	الحماية الزائدة (على الطفل) نمط من أنماط التربية
Paper and pencil test	اختبار الورقة والقلم
Parent Counselling	الإرشاد الوالدي
Percentiles	المينتيات
Perception deafness	صمم الإدراك
Performance abilities	القدرات العملية الآدائية
Performance tests	اختبارات عملية ـ اختبارات الأداء
Period-method	طريقة المرحلة الزمنية
Personal adjustment	التوافق الشخصي أو التكيف الشخصي
Personal cleanliness	النظافة الشخصية
Personal and demostic skills	المهارات الشخصية والمنزلية
Personal and social skills	المهارات الشخصية والاجتماعية
Personality	الشخصية
Perventive Treatment	العلاج الوقائي
Phenylketonuria	البول الفينيلكتيوني يصاحبه تخلف عقلي
PKU: phenylketonuria	اضطراب بولي يؤدي للضعف والتخلف العقلي
Pick up Garbage and put in skills	مهارة جمع النفايات ووضعها في سلة المهملات
Pick up soiled and clothes	جمع الملابس والملايات غير النظيفة
Placental barrier	حواجز المشيمة

Play therapy	العلاج باللعب
Polio	شل الأطفال
Pollution	التلوث ـ اللوث ـ الوسخ ـ القذارة
Polygenic	متعددة أو متنوعة المصدر
Post-Natal Factors	عوامل بعد الولادة
Pregnancy	الحمل ـ الحبل
Premature birth	الميلاد المبكر (للطفل) غير الناضج
Pre-natal in fectious conditions	حالات العدوى قبل الميلاد
Pressure	الضغط
Productivity	الانتاجية
Prognosis	مآل المرض أو مصير المرض
Programs Reinforcement	تدعيم البرامج
Projection	الإسقاط ـ حيلة دفاعية
Prvention, remedy and care	الوقاية والعلاج والرعاية
Psychoneurosis	عصاب ـ مرض نفسي
Psychosomatic	السيكوسوماتي ـ نفسجسمي النفجسدي أو النفسبدني
Psychosomatic dieases	الأمراض السيكوسوماتية ـ النفسجسمية
Psychosurgery	الجراحة النفسية
put in Designated place	ووضعها في مكان ' العزل
Putting Dishes Away	مهارات حفظ أواني وأدوات الطعام في أماكنها
Pyrovicacid	حمض البروفيك
Quinine	الكينيين
Rabies	داء الكلب
Radiation/Poisoning	التسمم بالإشعاع
Rapport	التعاطف ـ الرباط العاطفي (بين المريض والمعالج)
Rationalization	التبرير ـ حيلة دفاعية
Reessive deficiency	التخلف العقلي المتنحي ـ التراجعي
Recessive Genes	الجينات المتنحية
Re-education	إعادة التعليم
Regression	النكوص حيلة دفاعية
Reliable	ثابت
Repression	الكبت ـ حيلة دفاعية
Respiratory	التنفس

Retardate	الشخص المعاق
Rh/incompatibilitics	اختلاف في تركيب دم الأم ودم الطفل
Rubella	الحصبة الألمانية
Salicylates	الأحماض
Satisfaction	الارتياح ـ الرضا ـ الإشباع
Scanning	كلام السكير
Schizoid Trends	الاتجاهات شبه الفصامية
Shcizophrenics	حالات ذهان الفصام ـ مرض ذهان الفصام
Secondary Amentia	التخلف العقلي الثانوي
Seizures	نوبات صرعية
Self Confidence	ثقة بنفسه ـ ثقة بالذات
Self-esteem	احترام الذات
Semi Skilled Jobs	الأعمال نصف الماهرة
Sensory	حسي ـ حسية ـ متعلق بالحواس
Sensorimotor Tests	الاختبارات الحسية الحركية
Setting Table Skills	مهارات إعداد مائدة الطعام
Severe and profound mental retardation	التخلف العقلي الشديد والقوي
Severe or pround	القوي أو الشديد
Sheltered Workshop	ورش المأوى
Shining Skill	مهارة تلميع الأسطح الزجاجية
Skilled Trade	المستوى الفني للتجارة
Smallpox	الجدري
Social Maturity	النضج الاجتماعي
Socilization	تنشئة اجتماعية ـ عملية التطبع الاجتماعي
Spatial Ability	القدرة على التصور البصري المكاني
Special Education	التعليم الخاص (لذوي العجز والتخلف)
Special mental abilities	القدرات العقلية الخاصة
Speech therapy	علاج النطق والكلام
Standardised test	الاختبار المقنين
Stuttering	التمتمة أو التلعثم ـ اللجلجة
Subaverage	دون المتوسط
Subnormal	اللاسوي أو غير سوي
Substitution	إبدالية ـ إبدال

Sucking	الامتصاص
Supersivion	الإشراف
Sweeping skill	مهارة الكنس
Syphilis	مرض الزهري
Takc Analysis	طريقة تحليل العمل
Task Analysis Method	طريقة تحليل العمل (المهنة)
Teberous	إصابة أنسجة الجسم بالسل
The behaviour modification technique	منهج تعديل السلوك
Thyroid	الغدة الدرقية
Temperament -Character	النواحي الخلقية والمزاجية
Toddler stage	مرحلة المشي
Total Job pattern	النموذج الكلي للعمل
Toxoplasmosis	إسم مرض (عدوى في الخلايا)
Trade tests	اختبارات صناعية أو تجارية
Training	تدريب
Tranquilizer	عقار مهدىء
Trauma	الجروح أو الرضوض أو الصدمات
Tumours	الأورام
Type of emotional infantalism	النمط الوجداني الطفلي
Typhoid	التيفود
Vaccinatition	التطعيم ضد الأمراض
Valid	صادق
Verbal Ability	القدرة اللفظية
Viral infection	عدوى فيروسية
Viruses	الڤيروسات
Visceral	الحشوية ـ حشوى ـ متصل بالأحشاء
Vocational skills	المهارات المهنية
Vocational training	التدريب المهني
Von Reckling hausens disease	مرض فون ركلنجها وزنز
Wisdom of body	حكمة البدن
Washing Dishes skills	مهارات غسل أواني الطعام وتجفيفها
Waste Basket	سلة المهملات النفايات
Young Adulthood	مرحلة الرشد الأولى
Youth stage	مرحلة الشباب

«قائمة عامة بالمراجع العربية
في علم النفس الحديث وفي
التربية والاحصاء التطبيقي»
للدكتور عبد الرحمن محمد عيسوي

١ ـ علم النفس في المجال التربوي، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٩ م.

٢ ـ سيكولوجية المراهق المسلم المعاصر، دار الوثائق، الكويت، السالمية، ط ١، ١٩٨٧ م.

٣ ـ مشكلات الشباب المعاصر، منشورات لجنة مكتبة البيت، شركة الشعاع للنشر، الصفاة، الكويت، الكتاب (٨)، ط ١، ١٩٨٦ م.

٤ ـ طبيعة البحث السيكولوجي، دار الشروق، القاهرة، مصر، وبيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٩ م. (مترجم).

٥ ـ قاموس مصطلحات علم النفس الحديث والتربية، الدار الجامعية، الاسكندرية، مصر، وبيروت، بنان، ١٩٨٧ م. مؤسسة مكاوي.

٦ ـ الإرشاد النفسي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٨ م.

٧ ـ مناهج البحث في علم النفس: أساليب تصميم البحوث وطرق جمع البيانات مع دراسة حقلية، منشأة المعارف بالاسكندرية، مصر، ط ٢، ١٩٨٩ م. مع ترجمة كتاب طبيعة البحث السيكولوجي.

٨ ـ العلاج النفسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٨ م.

٩ ـ سيكولوجية الجنوح، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤ م.

١٠ ـ سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي: مع دراسة ميدانية مقارنة على الشباب

المصري والعربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
١١ ـ الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤ م.
١٢ ـ الإحصاء السيكولوجي التطبيقي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩ م.
١٣ ـ سيكولوجية النمو: دراسة في نمو الطفل والمراهق، دار النهضة العربية، بيروت، بنان، ١٩٨٧ م.
١٤ ـ الإسلام والتنمية البشرية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.
١٥ ـ سيكولوجية الإبداع: دراسة في تنمية السمات الإبداعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م.
١٦ ـ علم النفس العام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧.
١٧ ـ علم النفس بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤ م.
١٨ ـ معالم علم النفس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤ م.
١٩ ـ اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٢.
٢٠ ـ التوجيه التربوي والمهني: مع دراسة ميدانية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، السعودية، ١٩٨٦.
٢١ ـ أمراض العصر: الأمراض النفسية والعقلية والسيكوسوماتية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٩.
٢٢ ـ القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٥.
٢٣ ـ سيكولوجية الشباب العربي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٥.
٢٤ ـ علم النفس والإنسان، المكتب العربي الحديث بالاسكندرية ١٩٩٦.
٢٥ ـ الإسلام والعلاج النفسي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٦.

٢٦ ـ مقومات الشخصية الإسلامية والعربية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٦.
٢٧ ـ سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٥.
٢٨ ـ تطور التعليم الجامعي العربي: دراسة حقلية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
٢٩ ـ د. عبد الرحمن العيسوي ود. علي عبد الحميد سيد: صحتك النفسية والجنس، مطبعة دار التأليف، القاهرة، مصر، ١٩٧٠.
٣٠ ـ دراسات في السلوك الإنساني، منشأة المعارف بالاسكندرية، مصر، بدون تاريخ.
٣١ ـ د. عبد الرحمن العيسوي ود. محمد جلال شرف: سيكولوجية الحياة الروحية في المسيحية والإسلام، منشأة المعارف بالاسكندرية، مصر، ١٩٧٢.
٣٢ ـ علم النفس علم وفن، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٩.
٣٣ ـ علم النفس في الحياة المعاصرة، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٠.
٣٤ ـ النمو الروحي والخلقي: مع دراسة تجريبية مقارنة، الهيئة المصرية العامة لكتاب، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٠. مع ترجمة كتاب النمو الأخلاقي عند الأطفال.
٣٥ ـ دراسات سيكولوجية، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، ١٩٨١.
٣٦ ـ علم النفس في المجال المهني، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٩.
٣٧ ـ علم النفس الفسيولوجي: دراسة في تفسير السلوك الإنسان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٧.
٣٨ ـ دراسات في علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٥.
٣٩ ـ علم النفس ومشكلات الفرد: دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩ م.

٤٠ ـ العصاب والانبساط والكذب في عينات عربية لبنانية: دراسة حقلية منهجية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٥.
٤١ ـ دراسات في علم النفس المهني، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٨.
٤٢ ـ علم النفس والإنتاج، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
٤٣ ـ الأيدلوجية العربية الجديدة ووسائل تحقيقها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٦٣.
٤٤ ـ دور علم النفس في الحياة المعاصرة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٠.
٤٥ ـ قراءات في علم النفس الاكلينيكي، الدار الجامعية، الاسكندرية، مصر، ولبنان، بيروت، ١٩٩٠ (مكاوي).
٤٦ ـ علم النفس الجنائي، الدار الجامعية، الاسكندرية، مصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠.
٤٧ ـ مبحث الجريمة: دراسة في تفسير الجريمة والوقاية منها، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٩٠.
٤٨ ـ دراسات نفسية ميدانية. مؤسسة مكاوي-بيروت.
٤٩ ـ مشكلات الطفولة. دار العلوم العربية بيروت.
٥٠ ـ الكفاءة الإنتاجية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠ م.
٥١ ـ مع الشباب العربي. دار المعرفة الجامعية الاسكندرية.
٥٢ ـ الكفاءة الإدارية، دار النهضة العربية، بيروت.
٥٣ ـ سيكولوجية الشيخوخة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩.
٥٤ ـ دراسات في الشخصية الإسلامية والعربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩.
٥٥ ـ الأعصبة النفسية والذهانات العقلية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ٩٨٩

٥٦ ـ باثولوجيا النفس، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٩٠ م.
٥٧ ـ اختبار الأعصبة النفسية الست. المكتب العربي الحدث الاسكندرية.
٥٨ ـ اختبار الأمان/ الخوف. المكتب العربي الحديث الاسكندرية.
٥٩ ـ اختبار العصابية الانطوائية/ الانبساطية والكذب. المكتب العربي الحديث الاسكندرية.
٦٠ ـ شخصية المجرم ودوافع الجريمة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، السعودية.
٦١ ـ دراسات في الشخصية الإسلامية والعربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
٦٢ ـ علم النفس الطبي، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٠ م.
٦٣ ـ أصول علم النفس الحديث، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٢ م.
٦٤ ـ علم النفس القضائي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٢.

مراجع البحث الحالي:

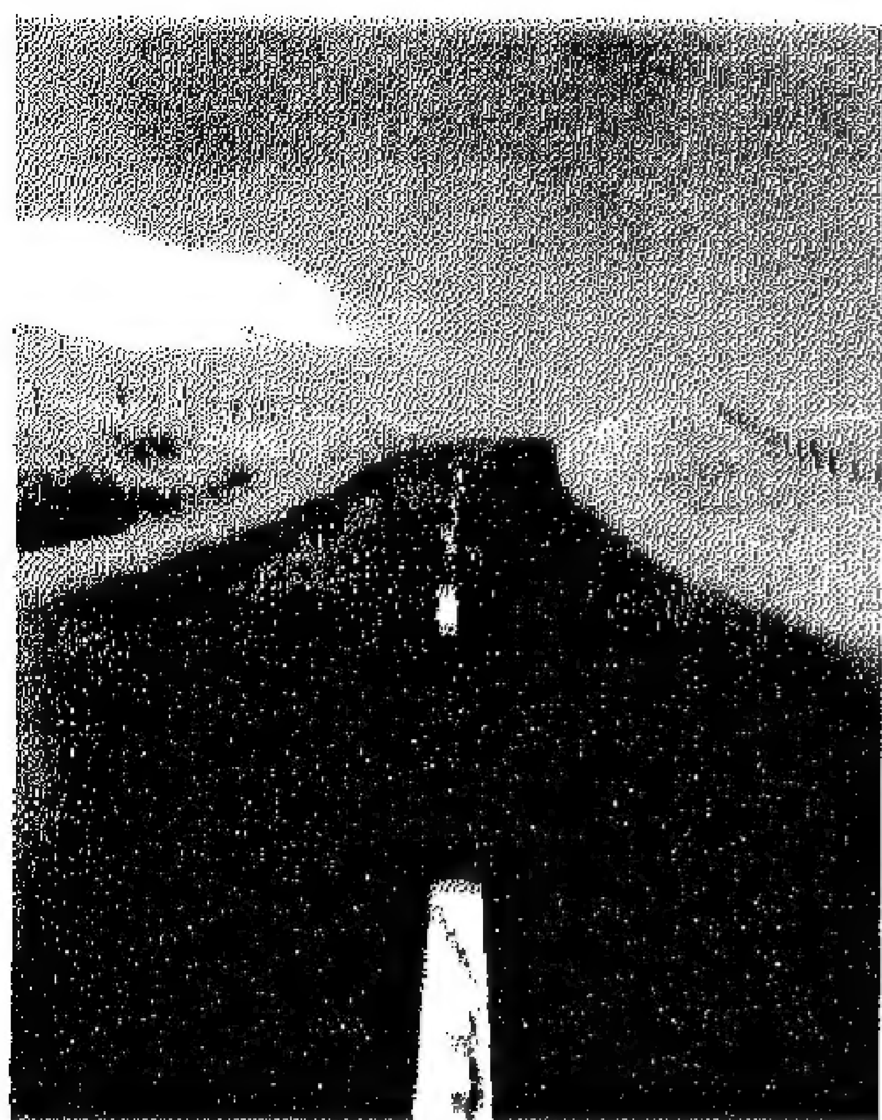
ـ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جـ ١، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٢.
ـ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير، المطبعة الأميرية، مصر، ١٩١٢ م.
ـ أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار القلم، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
ـ أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ م.
ـ أحمد عمار وآخرون، الموسوعة الطبية الحديثة، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، بدون تاريخ.
ـ أسعد رزوق، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٧ م.
ـ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٨٦.
ـ المنجد اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٧٣ م.

- حسن سعيد الكومي، المنار «قاموس إنجليزي عربي»، ١٩٨١.
- حامد عبد السلام زهران، قاموس علم النفس، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢ ٨٧
- جان لابلانش وج. ب، بونتاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٧.
- عبد الفتاح عثمان، الرعاية الاجتماعية والنفسية للمعوقين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩ م.
- عبد المنعم الحفني، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، جـ ٢، ١٩٧٨.
- فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، دار الغد العربي، مؤسسة الأهرام، القاهرة، العدد ٨، ١٧.
- فرج عبد القادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط ١، بدون تاريخ.
- كمال دسوقي، ذخيرة علوم النفس، مؤسسة الأهرام، جـ ٢، القاهرة، ١٩٩٠ م.
- محمد عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩ م.
- محمد بن أبو بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار القلم بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- مجمع اللغة العربية، معجم علم النفس والتربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٤ م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، القاهرة، ١٩٩١ م.
- ميلادبشاي، المعجم الطبي الحديث مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦.
- منير وهيبة الخازن، معجم مصطلحات علم النفس، دار النشر للجامعيين، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- منير البعلبكي، المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٩٨٠ م.

المراجع الأجنبية

- **Duke M.P. Nowicki,** Stephen, Abnormal Psychology: A New York, HRW International Editions, 1986. CBS publishing Japan.
- **English, H.B., and Engglish, A.C;** A Comprehensive Dictionary of Psychologlal and Psychoanalystical Terms, Longmans, London, 1958.
- **Gallatin. J.** Abnormal Psychology Concepts, Trends, Macmillan Publishing Co., Inc. New York Collier Macmillan Pubishers, London, 1982.
- **Guillford. G.P.** Edited by, Fields, of Psychology, D. VAN Nostrand Company, INC. Prinecton, New Jersey, 1966.
- **Hepner H..,** Psychology Applied To Life and Work, Prentice-Hall, Inc. Englewood Cliffs, New Jersey, 1966.
- **Martin.B.,** Abnormal Psychology, Second edition Holt, Rinehart and Winston New York Chicago San Francisco Dalla Montreal Toronto, London, Sydney 1980.
- **Perlman, D. and Cozby P.C.,** Social Psychology, Holt Rinehart and Winston, New York, Chicago San Francise, Philadelphia Montreal, Toronto, London, Sydney, Tokyo, Mexico City, Rio de Janeiro, Madrid 1983.
- **Shanmugam. T.E.,** Abnormal Psychology, Tata McGraw-Hill Pubishing Company Limited, New Delhi 1981.
- **Serenson Herbert and others,** Psychology For Living, TATA McGraw-Hill Publishing Company Ltd. Bombay-New Delhi.
- **Strange.J.,** Abnormal Psycholosy, McGraw-Hill Book Company New York, St. Louis, San Francisco, Toronto, London, Sydney 1965.

الفهـرس



مَوسُوعَة كُتُب

عِلم النّفس الحَدِيث

الدكتور عبد الرحمن العيسوي

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

- العِلاج السُّلوكي
- سَيكولُوجيّة المجْرِم
- الوعي السّيكولوجي
- سَيكولُوجيّة الجِسم وَالنفس
- سَيكولُوجيّة العَمل والعُمّال
- سَيكولُوجيّة الإعاقة الجِسميّة وَالعقلية
  مَع سُبُل العِلاج وَالتأهيل
- أُصول البَحث السّيكولُوجي
- سَيكولُوجيَة التلوُّث
- الطّريق إلى النبوغ العِلمي

دار الراتب الجامعية

ص . ب 5229 - 19

بيروت ـ لبنان

تلفون 317169 313923 862480

009611 317169

ص . ب 19/5229